الحاج أحمد سهوم

الملحون المغربي

من منشورات « شؤون جماعية »
صحيفة الجماعات المحلية بالمغرب والبلديات العربية والدولية

● الطبعة الأولـى : نونبر 1993
طبع منها 3000 نسخة
حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة
« شؤون جماعية»

الفهـــــرس

تقديم : ثمرة الاحتضان . 6

مــوجـز عن حـيـاة المـؤلـف 7

المـقــدمـــة 9

الفصل الاول : فنون الملحون الثلاثة 15

☆ "لـمبيت" أو الملـحـون العـمـودي

☆ "مكســور جنــاح" أو الملحون المرسل

☆ "السوسي" أو النثر الفني في المـلحـون

☆ "السـرابـا" أو الاغنية الملحونـــة

☆ أصطلاحات تقنية مطيلعات .. عروبيات .. سارحا ..

الفصل الثانـي : أغراض الملحون 65

☆ "التوسلات الالهية" بين الذهن والشعور والتصوف

☆ "المدائـح النبوية" بين العقل والـوجــدان

☆ "لوصيات" بين الدين والدنيـا والمجتمع والنـاس

☆ "الربيعيات" أو شعر الطبيعة في الـملحــون

☆ "العشاقي" في العاطفة والغزل ، والنسيب والتشبيب

☆ مـلحون الغـربة ، والرحــلات والمـراسـلة

☆ "الساقي" خمريات الملحون ، والرمزية الصـوفية

☆ "التـرجـمـا" أو القصـة المـلـحـونـة

الفصل الثالث : بديعيات الملحون ، تضمين ـ تجريد ـ جناس .. 215

☆ وأخيـرا مـا معنـى كلمة ملحــون ؟

هذا الكتاب

ثمرة الاحتضـــــــان

لايحتاج الاستاذ أحمد سهوم الى تقديم .. كما لا يحتاج الملحون الى تعريف، فقد ظلا ملازمين لبعضهما ما يزيد عن اربعين سنة ، بليلاتها ونهاراتها ، حتى أصبح الواحد منهما لايذكر في غيبة الآخر .

وإذا كان عمر الملحون يقاس بعمر الأمة المغربية ،منذ أن رأت نور الشمس ، فإن شخصيته واغواره وسحر بيانه... ماكان لها أن تتجلى في شفافياتها، لو لم يقيض لها الله فنانا مبدعا ، وبحاثا مقنعا ، كالشاعر أحمد سهوم . فلقد كافح الرجل كفاحا مريرا منذ مطلع الخمسينات ، لكي يكون اليوم للملحون هذا الحضور الواسع في حياتنا اليومية ، وعبر أرجاء البلاد كلها ، ببيوتاتها ، وأنديتها ، وأن يحوله الى سمير للفقراء ، وجليس للأغنياء

ولا ريب أن مدينة الصويرة كانت محظوظة يوم انتقل إليها علم من أعلام الملحون ، واختار الإقامة فيها مواطنا صالحا ، وعبقريا مثقلا بالاحلام والهموم المقترنة بمحنة الميلاد والنشوء والارتقاء . فلعل الصويرة ، بما تحمله من دلالات تراثية وشاعرية ، وبما تمتاز به من سكينة وحوار داخلي مع التاريخ ، ومع الانسان ، كانت ، كقطع من الاحجار الكريمة ، قد ترسبت في وجدان هذا الشاعر ، بأزقتها الضيقة ، وحصونها الجبارة ، ودفئها الذي لا يضاهى ، فبقيت في قرار ة الكأس الى أن حان الوقت المناسب .

وإذ تقوم اليوم مؤسسة « شؤون جماعية » باحتضان أستاذ الملحون والمنتج الاذاعي الشهير ، ساعية الى نشر كتابه <<الملحون المغربي>> الذي كتبه في رحاب الصويرة ، فإنها بذلك تكرم الملحون ورجاله في شخص أحمد سهوم ، وتؤكد مساهمتها في حفظ هذا التراث ، بنفس القوة التي تدافع بها عن مجموع التراث الوطني والحضارة العربية الأصيلة .

إن هذا العبقري الأصيل القادم من واحات تافيلالت ، عبر همس القرون ، وخطو الحضارات ، أصبح جزءا من تراث الصويرة، بما أسهم به من تجديد انتمائها للملحون ، وكتابة تاريخها الفني .

فله الشكر والتقدير ... ونرجو الله أن يوفقه في مواصلة مسيرته الفنية الطموحة ،حتى يعم فضلها على مدينتنا وعلى مملكتنا السعيدة

احمد هناوي

مدير جريدة « شؤون جماعية »

موجز عن حياة المؤلف

... ولدت عام 1936 بفاس الجديد ، من أمي عائشة بنت العربي ، الملقبة ب « الغمرية » .. ومن والدي سيدي محمد بن علي الفيلالي .. غير أني لا أتذكر جيدا ملامحه ، وإن كنت اسمعهم يقولون عنه بأنه كان عازفا ماهرا على الكمان لأغاني المرساوي (العيطة) .. وأنه كان يتوفر على مخزون ثقافي . وعندما توفي لم يترك وراءه من متاع الدنيا سوى «الغمرية» ، وأربعة ذكور، هم : حمان ، والعربي ، وعبد العزيز ، الذي لم يعش طويلا ، و أحمد سهوم (آخر المصران) ، وأختنا جمعة .. والذي أتذكره أيضا هو أن عائلتنا كانت فقيرة جدا .

كانت بجانب دارنا امرأة ميسورة الحال ، لكنها لم تكن تنجب أطفالا ، ولما كانت أمي على علاقة وثيقة وطيبة بهذه السيدة ، فقد ألفيتني ، ذات يوم ، تحت رحمتها ! ولا أدري ما اذا كانت أمي قد أهدتني إياها ، أم أجرتني لها !

و هكذا فرض علي أن أنشأ في بيت غير بيتنا ، و بين أهل ليسوا هم أهلي ، بعيدا عن أمي و إخوتي . وكان زوج السيدة الميسورة يعمل سائقا لحافلة المسافرين ، يربط فاس بتافيلالت ذهابا و إيابا ، فيضطره عمله هذا الى أن يتغيب عن داره أربعة او خمسة أيام ، و ليس بها سوى زوجته و خادمتها و هذا الطفل أحمد سهوم . و مع الأيام اهتدت هذه السيدة الى طريقة ذكية تخفف بها من وحشتها وفراغها .

كانت - بفطرتها - مولعة بالفن والادب ، رغم أنها لم تكن قد حظيت بنصيب من التعليم والثقافة .. ومع ذلك فقد جعلت من دارها منتدى فنيا و ثقافيا أشبه ما يكون - « صالون مي زيادة » في المشرق .. وكان هذا المنتدى قبلة لرواة العنترية ، و الأزلية ، من أمثال « أبا الحمار» الذي كان يروي في كل لقاء فصلا من أزلياته ، و يترك الفصل الآخر للجلسة القادمة ، حرصا على التشويق.... كما كان يرتاده العازفون و المطربون ، من امثال الكمنجاتي البارع حماد النشار ، و الذي تتلمذ على يديه مشاهير فاس ، كالفنان محمد عمور المودن .

☆ ✪ ☆

في هذا الجو ترعرع الفنان أحمد سهوم ، عندما كانت تأخذه الخادمة كل يوم الى المسيد لحفظ القرآن ، وتعود به مساء ليجد الدار وقد امتلأت بكل أصناف الرجال المولعين ، وبالمجاذيب والدراويش وعشاق طرب الملحون . وقد عرف هذا المنتدى بـ «دار زبيدة المراكشية» .. أما أحمد سهوم فكان يومئذ يلقب من طرف الصغار والكبار بـ « حميدة ولد زبيدة » !

بالنهار ينصرف الى حفظ القرآن في المسيد ، وفي الليل ينخرط في حفظ قصائد الملحون وغنائها بين زمرة من المهووسين بالملحون والعازفين على الكمان ، وبين رواة وعشاق العنترية والازلية والمجاذيب !

هل كان فن الملحون قدرا مقدورا لهذا الطفل منذ نعومة أظفاره ؟

يبدو أن تقلبات الحياة ، وسنين التشرد لم تنجح في انتشاله من هذا المصير . فقد صادف ذات يوم ، عندما كان يغني بعض قصائد الملحون ، أن سمعه السيد ادريس العلمي ، وهو يومئذ من هو في شعراء الملحون .. فأعجب بصوته ، وقرر إسناد قصائده إليه ليغنيها بصوته . ومن يومها أصبح ادريس العلمي شيخ أحمد سهوم في الملحون .

☆ ✪ ☆

... هذا فصل مختصر من حياتي ... في أعقابه بدأت تطرأ على نفسيتي تحولات خطيرة وغامضة . لم أعرف كيف أصبحت فجأة أكره الحياة عند هذه السيدة . فعندما فتحت عيوني ، وجدت نفسي خارج أسرتي ، منفيا عن أمي وإخوتي ، أخضع لمراقبة

صارمة بين محور المسيد ودار زبيدة المراكشية . كنت محروما من اللعب ومن حرية الأطفال ، وكان إخوتي هنالك طليقين سعداء !

كانت زبيدة المراكشية امرأة مصونة وقورة لا يحوم حولها الشك .. ذات أخلاق عالية ممتازة .. غير أنها كانت تعيش فراغا قاتلا ، تيسر لها أن تملأه بما هو مفيد . كانت شغوفة بالاستماع الى الموسيقى والى تبادل الافكار ... حتى أنها اكتسبت ثقافة لابأس بها من خلال جلسات السمر .. وبدأت تتلقن دروسا شفوية في الاخلاق وفي الملحون وفي الموسيقى .

الذين يتذكرون فاس في ذلك التاريخ ، لا يزالون يتذكرون بيوتا أخرى على هذه الشاكلة ، إما وراءها نساء مثل «بطو الشلحة » ، وإما رجال كسيدي محمد الحمري الذي كانت داره ملتقى للشيوخ والشعراء والكتاب ورجالات الحركة الوطنية ، ذلك أن حياة المغاربة آنئذ كانت تسودها عادات التكاثف والتضافر والتعاون في الامور الدنيوية والدينية .

☆ ✪ ☆

لم يطق أحمد سهوم مواصلة العيش في دار زبيدة المراكشية .. لكنه لما أراد العودة الى بيته الأصلي رفضه هذا الوسط بقسوة وفظاظة ، معتبرا إياه غريبا .. فيرجع الى الدار الثانية مكسور الجناح ، فتقابله السيدة المراكشية بالعنف ، انتقاما من هروبه من بيتها . و تكررت رحلة الكر والفر المأساويتين بين الدار الرافضة والدار القاسية ، الى أن عيل صبره ، فقرر الهجرة بعيدا عن الدارين معا ... وهام في الارض على وجهه طريدا شريدا ، مدة عامين كاملين ، بين دروب فاس ، ومكناس ، ومراكش ، وتادلة ، وسلا ... متنقلا بين حوانيت الخرازة ، حيث كان يكسب عيشه اليومي .. وقد أفاده ذلك كثيرا في الاختلاط بالصناع التقليديين ، الذين كان بينهم شعراء وفنانون ومفكرون وسياسيون .

لقد تعلم أحمد سهوم داخل السور بفاس القديمة ، وبالضبط في حي مولاي عبد الله ، المبادئ الاولى لحرفة الخرازة في دكان الخراز محمد الطالب . وفي هذا الدكان كان يجتمع الناس من مختلف المستويات والاهتمامات ، يتبادلون الفن والعلم والافكار الوطنية ، وجديد الاخبار المحلية والدولية ، فكنت تجد بهذا الدكان الامراء ، من أمثال الأمير مولاي الامين ، والامير مولاي مصطفى الحافظي ، والأمير مولاي عبد السلام ولد مولاي عثمان - الخليفة السلطاني بفاس يومئذ ... وكنت تجد الى جانبهم العلماء والفقهاء .. وكان يتردد عليه المرحومان علال الفاسي ومحمد بلحسن الوزاني ، قبل أن تفرقهما السياسة !

كان ذلك بين سنوات 1945 و 1947 قبل سفر المرحوم محمد الخامس الى مدينة طنجة سفرته المشهورة . في تلك الفترة التحق أحمد سهوم بمدرسة القرويين .. لكن سلطة الملحون عليه كانت قوية .. فقد ترسبت في وجدانه كأمواج جارفة .. ولم يشعر طالب القرويين إلا وهو محاصر من كل جانب بالملحون ، يقرؤه ويفسره ، باحثا عن مصادره وروافده ، منشغلا به الى درجة التصوف .

هكذا بدأت رحلة أحمد سهوم مع فن الملحون

من حوار اجرته معه
جريدة « شؤون جماعية »
في عددها لشهر يناير 1993

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى آله وصحابته أجمعين .

«إن التنكر لتراث الاجداد جناية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ، ليست جديرة بالاعتبار .

ونحمد الله على أن لنا تراثا .. وحضارة .. وتاريخا في العمران والعلم ، والادب والشعر والطرب .

وفي الشعر والطرب ، لنا الموسيقى الموروثة عن الاندلس ، ولنا الملحون الذي تأصل عن بيئتنا القديمة ، وطبيعتنا الخاصة .

وهذا الملحون يحق لنا أن نتدارسه ، ونعرف به ، ونؤرخ له ونستخرجه من ظلماته المطبقة ، بيد أن الحكم على الشيء ، يستلزم إدراكه. .. »

بهذه الكلمات صدَّر لي أحد أساتذتي الاجلاء ، أول مقال كتبته عن الملحون في الخمسينات ، ونشرته مجلة الاذاعة الوطنية التي كان يشرف على تحريرها يومئذ ، إنه الانسان الفاضل الكريم ، الطيب القلب ، الاستاذ عبد الله شقرون ...

وإذ أصدر هذا الكتاب، الذي أكتبه في أوائل التسعينيات، بنفس الكلمات التي صدر بها مقال الخمسينيات ، فلأن هذه الكلمات كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لي ، بل ورافقتني أزيد من ثلاثة عقود ، كورقة عمل ، لا أتحرك إلا في إطارها ، ولا أعمل إلا وفق مقتضياتها .

والحق أنه لا يمكن لأحد أن يقدر هذه الكلمات حق قدرها ، إلا إذا كان قد بلغه خبر ما عانيته يومئذ ، وأنا أحاول أن أجعل لجنة البرامج الاذاعية توافق على إذاعة ركن "الادب الشعبي " ولو مرة واحدة في الاسبوع ... وبعض أعضاء اللجنة يقول :"ماذا يمكن أن يكون في هذا الملحون حتى نخصص له برامج إذاعية ؟ ... والبعض الآخر يتساءل في سخرية لاذعة : "واش هذ الملحون هو ذاك اللي كايديروا به لحلاقي ؟" في هذه الفترة بالذات ، وأنا أتجرع كؤوس الخيبة والهوان والذل ، يطلع مقالي الاول في مجلة الاذاعة الوطنية .. وقد افتتحه هذا الانسان الممتاز ، المدعو عبد الله شقرون بقوله : "إن التنكر لتراث الاجداد جناية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ليست جديرة بالاعتبار " وانطلق ركن "الادب الشعبي" ، وانطلقت بعده إلى الآن برامج وبرامج " مع التراث " كل عشية ، ملحون ، طقطوقة جبلية ، مرساوي ، حصباوي برووال .

و"مع الاغاني كل صباح" و " البيت السعيد "و مشاهد باسمة" "والبا مساعف " والبرنامج التلفزيوني " التراث الحي" " واطلالات على التراث " وإبداعات وإبداعات ... كانت هذه الكلمات بالنسبة لها كالضوء الاخضر الذي يؤذن ببدء الانطلاق .

هذا عن الكلمات التي صدرت بها هذا الكتاب ...

أما الكتاب فيمكن اعتباره بداية الطلب ، كما يمكن اعتباره نهاية الارب ... بداية الطلب بالنسبة للباحثين والدارسين وكل المهتمين ، لانه اليخت الذي يمكنهم الابحار به في كل بحار الملحون ، والعودة منها بالف خير وسلامة ، وهو يخت متقدم الصنع ، ويقدر حتى على الغوص إذا لزم الامر .

ونهاية الارب بالنسبة لعشاق الملحون وهواته ، بل وحتى بالنسبة للقارئ الذي يقرأ قصد الاطلاع ، أو الذي يقرأ من أجل الفرجة أو المتعة ...

فالنصوص الكاملة التي نشرتها تحت مساقط ضوء شاملة ساطعة ، وفي مختلف الموضوعات التي تناولتها في هذا الكتاب وصل عددها الى الاربعين ، والمقطوعات التي تعتمد الوحدة العروضية ، أو الابيات التي ترجع الى الملحون العمودي القديم ، والتي سقتها للدلالة هنا وهناك ، يصل عددها الى الألف . أما الشروح التي وضعتها للمصطلحات التقنية وغير التقنية ، قصد تقريبها إلى الاذهان ، أما التحليلات التي أرفقتها ببعض غرر قصائد الملحون لتوصيلها إلى أعماق القلوب ، فذلك كله،وغيره مما لاداعي لذكره في هذه المقدمة،قد جاء ولله الحمد فوق الوصف .

لقد أقمت هذا الكتاب على ثلاثة فصول :

الفصل الاول :

* الشكل في فنون الملحون

الفصل الثاني :

* مضامين الملحون

الفصل الثالث :

* فنون البلاغة في الملحون

وبما أن بحث الشكل بأدق تفاصيله لا يهم إلا القارئ المهتم أو القارئ المتخصص ، أو على الاقل المتتبع ، وهم قلة جد قليلة وبالاخص في موضوع هذا الكتاب ، فقد أرتأيت أن أتناوله ببعض التفصيل لا بكل التفصيل ، وذلك لأخلص سريعا إلى مضامين فنون القول في الملحون الى المتعة .. إلى الفرجة .. إلى التحصيل .. إلى شؤون الفكر ، ومجالات المعرفة ، وقضايا الثقافة .

وهكذا ، فقد تناولت الشكل باختصار لا إفراط فيه يسبب للقارئ العادي السأم أو الضجر ، ولا تفريط يفوت على الدارس أو الباحث فرصة تتبع ميكانيزمات الشكل في سائر فنون القول الملحون .

تتبعت أوزان القصائد التي لا تعتمد إلا الصدر والعجز فقط،إلى أن فاق عددها عدد أوزان الخليل،فقابلتها بها .

وتتبعت القصائد التي يتكون البيت الواحد فيها من ثلاثة اشطار ... فأربعة ... فخمسة ، إلى أن بلغت العدد الكافي،فقابلته بشعر الفروع والغصون من موشحات وأجزال وماشبه ...

وعند الفراغ من ملحون النغمات الايقاعية التركيبية،التي تنبني عليها الالفاظ لتشكل هذا السلم أو ذاك ... انتقلت إلى شعر الوحدات العروضية ، "مكسور جناح" وقابلته بالشعر الحر ، أو المرسل ، ثم النثر الفني في الملحون ، "السوسي" وأخيرا الاغنية الملحونة أو «السرابا» ، وبطبيعة الحال لم أغفل الاصطلاحات التقنية الاساسية التي لها علاقة وثيقة بالشكل في كل فنون القول الملحون .

وفي الفصل الثاني حددت الموضوعات الرئيسية التي تعامل معها الملحون في الماضي والحاضر ، وتناولت منها سبعة أغراض هي :

" التوسلات " " المدائح " "الوصيات " "الربيع " " العشق" " الساقي" " الترجمة" ، على أن أتناول الباقي في الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله .

أما الفصل الثالث والاخير ، فهو فصل بلاغة الفصيح ، وكما هي في فنون القول الملحون ، بما فيها البديع ، جناس ، اشتقاق لزوم ما لا يلزم الخ ... الخ...

ويبقى الكتاب في مجمله كتاب الشعر الملحون ، وليس كتاب شعراء الملحون ...

فأنا،وإن كنت أعلم أن " الشاعر ابن بيئته"،وأن التأريخ له لا بد منه ...لم أعتمد الكتب التي أشارت إلى بعض شعراء الملحون،كالاعلام والاتحاف في الماضي ، ولا الكتب الخاصة بالملحون،كالقصيدة والمعلمة في الحاضر ... ولم أستأنس بالمستشرقين الذين تناولوا الملحون ، وإنما اكتفيت فقط بالاشارات التي أجدها في القصائد نفسها ، والتي تحدد زمان ومكان الشاعر بما لا يقبل الشك .

فعلت ذلك حتى لا أجهض التراجم المستفيضة التي هيأتها لكتاب : "اعلام الملحون " أولا ... ولكي لا أفوت على القارئ فرصة التمتع بأكبر عدد ممكن من النصوص الكاملة ثانيا ، ولأ نني لا أريد لذاك الانسياب العفوي السلس أن يتعثر بين كل حين وأخر ... في فقرات من هذا الكتاب وأخرى من ذاك ، فإن أنا أفصحت فبلغت واستطعت أن أجعل القارئ يحس بروعة هذا التراث وجماله وكماله وشموليته ، فذلك ما أتمناه وأصبو إليه ... وإن أنا قصرت فأهملت، وانتهى القارئ من القراءة لي كمثل ما بدأ ... ف ... العذر ... العذر!والكمال لله على كل حال .

أحمد سهوم

الفصل الاول

فنون القول في الملحون

* فنون القول في الملحون ثلاثة *

1 / الشعر العمودي ، ويسمى "لَمْبِيّتْ"

2 / الشعر الذي حاولوا تحريره من الاوزان العمودية ويسمى " مَكْسُورْ جْنَاحْ "

3 / النثر الفني ، ويسمى "السُّوسِي"

وسنحاول في هذا الفصل إن شاء الله ، أن نعرف بشكل كل فن من هذه الفنون على حدة .

1 / الشعر العمودي الذي يسمى "لَمْبِيّتْ" يتكون من أربع "مْرَمَّاتْ"

أ - "الَمْرَمَّا" المثنية

ب - "الَمْرَمَّا" الثلاثية

ج - "الَمْرَمَّا" الرباعية

د - "الَمْرَمَّا" الخماسية

ولكل "مْرَمَّا" من هذه "الَمْرَمَّاتْ" الاربع "قياسات" ، سوف نستعرض منها ما يكفي للدلالة عليها " . إنما قبل ذلك لا بد من وقفة قصيرة أمام هذه التسمية "الَمْرَمَّا" و "قْيَاسَاتْهَا" .

ربما لا يخفى على أحد أن فن الملحون نشأ في ربوع سجلماسة ، ونما وترعرع في كل من مراكش ، فاس ، مكناس ، سلا أي في أحضان الصناعة التقليدية ، التي كانت ولا تزال متمركزة في هذه المدن .

ولا غرابة ، والحالة هاته ، أن تكون جل المصطلحات التي استعملتها مدرسة الملحون القديمة ما هي إلا من عطاءات الصانع التقليدي ، ومنها بطبيعة الحال هذا الاصطلاح الذي وقفنا عنده "الَمْرَمَّا" و "قْيَاسَاتْهَا" .

ذلك لان «لَمْرَمَّا» تسمية تطلق على الآلة الصناعية التقليدية المختلفة الحجم والشكل والتي يستعملها الحرار والدَّرَّازْ ، كما تستعملها "الطَّرَّازَة" و"النَّسَّاجَة" .

وكذلك «الَقْيَاسْ» لانه وكما يقال «كُلْ مْرَمَّا وَقْيَاسَاتْهَا» فكما ان لكل من "الحَرَّارْ" ، و"الطَّرَّازَة" ، و"الدَّرَّازْ" و"النَّسَّاجَة" « مْرَمَّا » خاصة ، و«قْيَاسَاتْ» تخص تلك « لَمْرَمَّا الخاصة» ، ولاتستعمل في غيرها ، كذلك لكل مبدع من مبدعي الاوزان - بَنْ حْسِينْ الْجَدّْ ، بَنْ حْسِينْ الْحَفِيدْ ، حمَّادْ الْحَمْرِي ، ولْدْ بُوعْمَرْ الْمَغْرَاوِي ، الَمصْمُودِي ، مْتِيرْدْ - « مْرَمَّا » خاصة ، و «قْيَاسَاتْ» تستعمل في تلك « لمرما» ولاتستعمل في غيرها ، ومع آن إنشاء « لمرمات» توقف منذ حوالي 1780 ، إلا أن لقياسات » ظلت

تلتحق بهذه «لَمْرَمَّاتْ» إما من بعض مجددي الملحون –سيدي قَدُّورْ ، « بَنْعْلِي » بَنْسليمَانْ » "السِّي التْهَامِي"وإما من فنون القول المحلية في هذه الجهة او في تلك – إلى يوم الناس هذا ، وسوف نتعقب هذه « القْيَاسَاتْ » بقدر لاإفراط فيه ولاتفريط .

ويرحم الله العبقري الجريءْ سيدي محمد ولد بوعمرمبدع « مكسور جناح» إذ يقول :

– المْعَانِي هِيَّ الطْيُورْ

– وَالْقْفُوزَا مَنْ لَمْرَمَّاتْ

– والْقْيَاسَاتْ

– وَالْمْسَادْ

– القَافِيَّاتْ

– أَحْ أَنَا ...

سياتي معنا ذكر هذا الرجل الفذ عند تناولنا للقسم الثاني من اقسام الملحون او هو الفن الثاني من فنون القول الملحون .

أما الآن « وبعد هذه الوقفة القصيرة قصد توضيح إصطلاح « لَمْرَمَّاتْ والْقْيَاسَاتْ» نشرع في تتبعها الواحدة تلو الاخرى .

"أ" « لمرمات المثنية»

يطلق إصطلاح « لَمْرَمَّا المْثَنْيَّة» على سائر الابداعات الشعرية الملحونة التي تقتصر في أبياتها على الصدر والعجز فقط ، أو بإصطلاح أهل الملحون « لَفْرَاشْ وَالغْطَا»

الوَرْدْ وَالزْهَرْ ف غْصَانُو وَشْجَارْ والنْخَلْ واطْيَارْ

ايسبْحُو لْسِيدِي رَبِّي والْمَافْ : قَلْبْ كُلْ غْدِيرْ

هكذا تمضي القصيدة ، الصدر والعجز فقط ، من البداية الى النهاية ومع ان التصريع في الشعر الملحون ليس مكانه هذا الفصل ، وإنما مكانه : «البديع» من فصل « فنون البلاغة في الملحون » مع ذلك اريد ان الفت الانتباه الى ان القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الصدر والعجز الى نهاية القصيدة وليس في العجز فقط كما هو الحال في الشعر الفصيح :

☆ فَصْلْ الرْبِيعْ نَاسَجْ حُلاَّ فِيهَا عْقُولْنَا تَحْتَارْ

مَاهِي مْنَ الوْبَرْ مَاهِيَّ مَنْ صُوفْ أو من لَحْرِيرْ ☆

★ حُلاً مِنْ الضيْا لَمْلُوْنْ مَاهِي صنْعتْ شي حرَار

امنْبْتَا ومَاشي بِالْجُوهرْ أوْ بَالدهْبْ لَمْنِيرْ ★

★ الله علّل الْقلْبْ الْمَحْرُوقْ الى اتْجيبْ لُو الابْصارْ

نَظْرَا منْ الحرَاجْ الْخَضْرَا وتْخَمْرُو بلاَ تَخْميرْ ★

★ اللّهْ عَن النّفْسْ الّى تَاهتْ فِي تْسَارْحْ النوّارْ

وتْفَاسْ وَاسقَا الانْسَايَمْ لمْعَطْرًا بِكُلْ عبِيرْ ★

★ اللّهْ عَن الروحْ اللّي خلْخلْهَا السمْعْ بِينْ خْضَارْ

مَنْ حِيتْ جَابْ لِيهَا الانْغَامْ امْعَا وزْانْ فَرقْ الطّيرْ ★

هكذا هي القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الشطرين معا مهما تعددت أبيات القصيدة .

ولنعتبر هذا الوزن الذي قامت عليه ربيعية الحمري :«القيّاس» الاول من «لَمْرَمَا المَثْنِيّة» . والغالب على الظن أن واضع هذا القياس : هو الشيخ الجليل مولاي عبد الله بن حسين الجد ...ذلك لانه ليس هو صاحب القصيدة :

- وَصْفْ الهوَى وَعدُو خَبْرُوا بِهْ الكُتُوب

- صفَى نْعدلِيكْ حْسَابْ عْدَادُو

- علّى للّي سوّلْ بجْهَادُو

- وْجَالْ مُحَالْ فتْرْشَادُو

- علّى اسنْادُو

- للّي رَادْ

- مْعَ مرَادُو

فهذه القصيدة هي للحفيد ... وقد ساند بها ولد بوعمر شكلا ومضمونا ، كما سياتي بيان ذلك في الحديث عن نشأة «مكسور جناح» .... الذي نشأ بعد وفاة بن حسين الجد بأزيد من نصف قرن ... نعم ابتكر بن حسين الجد «لرما المثنية» ، و «لرما الثلاثية» ولكنه لم يعرف « مكْسُورْ جنَاحْ» ولا سمع به .. ونعم قصد القصيدة الملحونة ، ولكن للمناجاة الإلاهية ،

والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية وليس للحب والهوى والغرام ...

على كل حال كتب ابن حسين الجد في هذا القياس :

★ لله تُبْ يَاراَسِي ورْجَعْ لَلْغنِي الضُوبْيَانْ

يرْأَكْ مَنْ الغفْلاَ وفْصلْ مَابيْنْ كُلْ زِيْنْ وشْيْنْ ★

وكتب فيه تلميذه «حمادى الحمري» الربيعية الانفة الذكر ثم جاء ولد بوعمر فكتب :

★ العَاقلْ الْفطِينْ الَى كَانْ مَعَ رْبَايعْ الحمَّاقْ

هُوَ يكُونْ الاحمَقْ وَالْحُومَقْ عَاقلِينْ بِالتَّحْقِيقْ ★

وتبقى إبداعات ابن حسين الجد ، وحماد الحمري ، وولد بوعمر وبن أحسين الحفيد ، هي كل ما في هذا «القياس» من العصر السعدي ، إلى عهد الملك الجليل مولاي سليمان العلوي ،لكن إبتداء من هذا العهد ... بدأ العمل بهذا الوزن من جديد ، إذ جعله ابن علي ، ولد آرزين «قياس» لشوقيته التي لازمتها :

★ صلّوا علَى الصدِّيقْ الصادقْ جدّ الاشرْافْ نُورْ الْعِينْ

إمَامْ الانبْيَا بلْقَاسمْ محبُوبْ ربْنَا الرَّحْمَانْ ★

وكتب فيه الحاج محمد بنمسعود الازموري هذه الاستغاثة :

★ أيَا سرِيعْ الاغاثة وقْتْ مَاستَاغتْ المَضْطَرْ

ولاَ اللِّي يغيثْ المضْطرْ إلاَّ العَالمْ بْ : حَالُو ★

وكتب فيه ابراهيم السوفاني هذا المديح النبوي :

★ رَحمَا لكُلْ مَا فْ : الارْضْ وَشفِيعْنَا فْ يوُمْ العرْضْ

وَاللهْ وَاعْطُو بَالْمَعْطَى حتَّى حبيبْنَا يرْضَا ★

ويستمر العمل بهذا الوزن ... وتكثر فيه القصائد ، الى أن يأتي مولاي علي العلوي: فيكتب فيه سنة 1954 أروع قصيدة عرفها الملحون النضالي ... إنها «حورية» ، والمرأة هنا رمز للحرية والانعتاق :

★ أنَا اللِّي سبَاتْ القلْبْ وَعقلِي ورُوحْ ذَاتِي "حُورِيَّا"

عنْهَا نمُوتْ بِهَا نَحيَا يمْتَى تعُودْ .. ؟ يمْتَى يَا لَخْوَانْ ★

اتفقنا على اعتبار هذه «لمرامة» هي الاولى من بين سائر «مرمات» الشعر الملحون ، وأن هذا الوزن أول «قياس» في هذه «لمرما» بقي أن أضيف أن هذا «القياس» يقوم على عشر حركات في الصدر ومثلها في العجز .

«القياس الثاني» من «لمرما المثنية» يقوم على تسع حركات في الصدر ومثلها في العجز ويسمى "قياس مشرقي" ، لانه ليس من إنشاء أهل الملحون ، وإنما هو أحد الاوزان المحلية في الادب الشعبي بالمغرب الشرقي ، وسوف يأتي معنا ذكره عند تناولنا لبعض المصطلحات التقنية : "لمشرقي" "لعروبي" "لمطيلعات" "السارحة" "السرابة" وما شابه . ويبدو أن ولد بوعمر ، هو أول من كتب في «قياس مشرقي» ...

★ هَنَا وَهَنِّي رَتَّحْ وَرْتَاحْ يَالْمَلْحَاحْ

عَشَّشْ وَعِشْ .. وَعَيَّشْ فَارَقْ اشْحَاحَا... ★

طبعا لا نستطيع ذكر كل ما في هذا الوزن من قصائد ، ولو بالعناوين .. لان عدد قصائده تربو عن الالف قصيدة ، وباستعراض بعض ما لشاعر أو اثنين من قصائد في طبع المشرقي ، تتبين استحالة الاتيان بكل ما كتب فيه الشعراء ، من عصر "ولد بوعمر" الى زماننا هذا ، فمثلا سيدي عبد القادر كتب فيه : "دُرَّتْ الْكْوَاكَبْ"

★ يَامْشِيمَ لَعْوَاتَقْ يَاسْرَاجْ الاهْدَابْ

يَالشَّمْسْ الْمَحْجُوبَا دُرَّتْ الْكْوَاكَبْ ★

وكتب فيه «المزيان»

★ جُدْ وَعْطَفْ وَشْفَقْ بَرْضَاكْ يَا الْمَزْيَانْ

عَفْ وَسْمَحْ لِيسِيرْ هْوَاكْ يَا لْهَاجَرْ ★

وكتب فيه «التانية»

★ لَعْبْ مَنْ غِيرْ شَطَارَا فُوقْ رُوسْ حَرْبَاتْ

هَكْذَاكْ ابْنَادَمْ مَتْلَّتْ فِي عَشْرَتُو★

وكتب فيه «الدار»

★ آشْ مَنْ عَارْ عْلِيكُمْ يَا رْجَالْ مَكْنَاسْ

مْشَاتْ دَارِي فْ حْمَاكُمْ يَا أَهْلَ الكْرَايَمْ ★

وكتب فيه «الشافي»

★ يَالشَّافِي بَحَكْمَتَكْ حَالْ كُلْ مَضْرُورْ

شَفِي عْلَايِلْ دَاتِي مَنْ دَ الوْجَاعْ نَبْرَا ★

وكتب فيه «إدريس الاكبر»

★ يَا حْفِيدْ الْمُصْطَفَى يَا الغَوْتْ لَهْمَامْ

غِثْنَا يَا مُولَايَ إِدْرِيسْ بِا لكْرَايَمْ ★

وكتب فيه «التوسل»

★ يَالوَاجَدْ بِالصرُخَا عَنْدْ ضِيقْتْ الحَالْ

جَلْ مُولَايَا عَنْ شَبْهْ الْمْثَالْ عَالِي ★

وكتب فيه «مدرسة الصوفية»

★ تَاجَرْ بْغِيرْ بْضَاعَةْ بِالفْضُولْ يْتْهَامْ

كِيْ دْخُلْ يَخْرُجْ حَدْ شَطَارْتُو يْسَاوَمْ ★

وكم من مديح للاولياء، وكم من اجتماعيات ...

ونجد - ودائما على سبيل المثال لا الحصر - السي التهامي لمدغري يكتب في "قياس مشرقي" «العرصة» :

★ يَالعَرْصَةْ صُولِي صُولِي بْطِيبْ الاطْيَابْ

سَاكْنَكْ سِيدِي وَلْدْ السَّاكْنِينْ طِيبَا ★

وقصيدة "الربيع"

★جَادْ يَامَحْبُوبِي فَصلْ الرْبِيعْ بَرْضَاهْ

مَابْقَى غِيرْ اللَّهْ وَرَاهْ لَلنْزَهَا ★

وقصيدة : " الجفن "

☆ مَالْ جَفْنِي يبْكِي بَالدَّمْعْ لِيلْ وَانْهَارْ

مَالْ جَفْنْ حْبِيبِي سَاحِي مَنْ الدْمُوعْ ☆

وقصيدة : " لام مَرْشُوقْ "

☆ لاَ يْعِيدْ لفرَاقْ الْمَعشُوقْ يا لْعشَاقْ

بَعْدْمَا عنَقْنِي تَعْنَاقْ لاَمْ مَرْشُوقْ ☆

وفي هذا الوزن كتب متيرد أصدق قصائده العاطفية ، ولا أقول الغرامية أو الغزلية .... لا ...... العاطفية ... كما سنرى في فصل الاغراض والموضوعات :

☆ فَاطْمَة شرْعْ اللّهْ مْعَكْ بِينْ الارْيَامْ

وَاشْ الْحْبِيبْ يْكَافِي بِالْجْفَا حْبِيبُو ☆

ولشعراء آخرين قصائد كثيرة في موضوعات مختلفة ، بل الشعراء الذين ذكرتهم لهم قصائد أخرى لم أذكرها ، إن هذا الوزن بالذات يسمونه : "لحويط لقصير" ، لانه من السهولة والبساطة ، بحيث يستطيع أن يكتب فيه الاقل من ناظم ، فضلا عن الناظم الممتاز ، والشاعر الفحل .

"القياس مشرقي" في الملحون كالرجز في الشعر الفصيح ، وليس من بين شعراء الملحون من لم يكتب فيه خمس قصائد أو ست ، بل إن منهم من لم يكتب طوال حياته إلا في هذا الوزن مثل لهويتر ، والحاج اعمار ، فما عرفنا لاي واحد منهما أية قصيدة في أي وزن آخر .

"ا لقياس " الثالث من لمرما المثنية "كتب فيه عبد القادر العلمي "حجوبة" 12 + 8 " :

☆شَفَقِي مَنْ حَالْ اللِّي هْوَاكْ تْدَبَّلْ لُونُو وَسْفَرَتْ وَرْقْتُو يَا حَجُوبَا ☆

☆ تْعَلْمِي وَتْحَقِّي بِينْ عَوْضَكْ مَا كَانْ حْبِيبْ ☆

كتب فيه التهامي لمدغري "الصبوحي"

☆ غْنَمْ صَبُّوحِي يَا نْدِيمْ وَسْطَابْ رْضِيعْ الْكَاسْ وَالاطْيَارْ فْ مْغْنَاهَا ☆

☆ لاَ تَرْتَا يَا سَاقِي وْكُبْ وْرَا رَبِّي سْمَاحْ ☆

وكتب فيه " الدبجور "

☆شُوفْ الشَّكَّايَا ، شِي شْكَا بْحُبُّو ، شِي بَالْفُرْقَا ، وْشِي بْعَشْقُو وَغْرَامُو ☆

☆شِي مَنْ الجْفَا ، شِي جَايَبْ الْهدِيَا يرْحَلْ وِقِيمْ ☆

وكتب فيه " لغريلي " المرسول :

★ خبّرني يامرسول عن سراج أعياني واشمن أنهار نظفر بوصالو ★

★ عراض الزين أنا عبيد ومولاي الفتان ★

وكتب فيه : "الجيلالي لحقيقي " "الخلخال "

★ خلخال عويشا درت البها في مكتوبي يا وليف درتو ومشالي ★

★ كيف المعمول إلى اتسالني مولات الخلخال ★

وكتب فيه "العيساوي الفلوس : "الدمليج "

★ دمليج زهيرو سابغ الشفر كان ف :جيبي يأهل الهوى ومشالي ★

★ باش انجاوب من اللي اتسال عنو سابغ الاشفار ★

وكتب فيه : "مولاي قدور البلغيثي "زبيدة "

★ صل بحسنك وبهاك يا كمال سروري سود النيام ولفي زبيدة ★

★ الله يزيدك يا سرور روحي عزا وتمجيد ★

لا أريد أن أقول وأعيد : ـ مع كل مجموعة من كل "قياس ـ عبارة "وقصائد أخرى كثيرة لعدد من الشعراء "وحسبي أن أسجل هنا للمرة الاولى والاخيرة .. أني لا أستعرض من قصائد كل "القياس" ، إلا بمقدار قطرات قليلة من بحر زاخر . فالقصد ليس الاحاطة بكل ما في "القياس" من إبداعات ، وإنما التعرف فقط على "لرمات وقياساتها".

القياس الرابع ، ونحن دائما مع لرما المثنية 8 + 9

فيه "هنية" للازموري :

★ أنت الخطفاني مني يا لا للاهنيا ★

★ رفقي بحالتي وتهلاي وحاسني معايا ★

فيه ابتهالات ل : ولد أرزين :

★ مولاي جيت قاصد بابك نرجاك يالغاني ★

★ لكريم مايرد الطالب ، جودو معا احسانو ★

فيه قصيدة "الحب" لابن سليمان :

★ أنَا اللِّي شقَانِي قلْبِي بَالْحُبْ يَا أهلِي ★

★ وَالْحُبْ طُولْ عمْرِي منُّو مَا صَايَبْ الْمقَالاَ ★

فيه للتهامي لمدغري "الغاليا"

★ أنيَا مزَاوكْ منْ ذَا الشُّربَا الدأهيْا ★

★ لَقْبيتْ الصدّرْ حوزِيني وتْكَايْسِي علِيّ ★

وفيه للحاج إدريس "الياسمين"

★ فُوحِي بْطِيبْ لَمْحَاسَنْ يَامَشْمُومْ كُلْ زِينْ ★

★ أنَا فْ عَارْ ذَاكْ الْخدّ الّذهْبِي ومْسكْ خَالَكْ ★

وفيه ل: بلعيد السوسي :

★ جنّانْ السبِيلْ الْجلْسَا يَامَنْ بْغَا الزّينْ ★

★ يمْرَّحْ الاهْذَابْ أُوتَرْتَاحْ جْوَارْحُو شوِيّاً ★

القياس الخامس 8 +8

كتب فيه المغراوي ثناء للملك العلوي مولاي اسماعيل :

★ هزّنِي رِيحْ الشُّوقْ وقْلّتْ فِيكْ يَا سرّ فْهَانِي ★

★ علَى اسْلاَمَا يَسْعَدْنَا بَالْمقَامْ فِي فَاسْ معَانَا ★

وفيه لابن سليمان : الوردة :

★ لاَ تْلُومُونِي فِي ذَا الْحَالْ جِيتْ نَشْهَدْ وَنْوَدِّي ★

★ يَا عذْوِلِي فَ : الرُّوحْ سبَابِي خَالْ فْ وَرْدَةْ ★

وفيه للفقيه لعمري "السلبية" ـ كما سماها شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي" :

★ شُوفْ وَسْكُتْ وَسْمَعْ تَبْقَا عزِيزْ غَايَتْ لَمْعَزّاً ★

★ وْلاَ تْقُولْ علاَشْ ؟ وْكِيفَاشْ ؟ بَاشْ ؟ وْلْسَانَكْ حَفْزُو ★

وفيه للمداني التركماني " الحقيقة"

★ يَاللاَّيَمْ خَلِّي الْعْبَادْ كُلْ وَاحدْ فِي حَالُو ★

★ الشهَّادَا بَاللّهْ وِبالرَّسُولْ تَكْفِي مُولاَهَا ★

وفيه للحاج أحمد الغرابي "الشريعة"

★ يَالدَّاعِي بَالعرْفْ صـْغَى لْهَلْ الْعَلْمْ فمَا قَالُوا ★

★ الشهَادَا منْ غِيرْ اعمَالْ لِيس تَكْفِي مُولاَهَا ★

القياس السادس 9 + 8 كتب فيه "الازموري"

★ شَاهدَتْ النَّارْ عنْ خدُودكْ وعلَى الْوَجْنَا نْظرَتْ جَنّاً ★

★ شَاهدَتْ الْمُوتْ فَ : الْعيُونْ أوَلْفِي امْهَانِي ★

فيه لمولاي بلغيتي " أصيل"

★ رَاحتْ شَمْسْ الْعشِي وطَاحتْ خلاَتْ انوَارْهَا تْهَبَّلْ ★

★ يَاسَاقِي بِالْكْبِيرْ غدَّرْ وَمْلاَهْ كْبَالَا ★

فيه ل : بوعزا "الكاوي"

★ أنَا الْكَاوِي بكَى مْخْفِي ، وَالْكَي فَ : الدَّاتْ مَا بْرَالِي ★

★ منْ بعْدْ مَا كْوِيتْ وبْرِيتْ جرَاحِي طَالُو ★

فيه للحاج أحمد الغرابلي "مديح نبوي"

★ صلِّيوْا علَى النْبِي العرْبِي مُحَمَّدْ خَاتمْ الرْسَالاَ ★

★ صلَّى اللّهُ عْلِيهْ ، وَالرَّضْوَانْ علَى آلُو ★

القياس السابع : "8 + 7"

كتب فيه الامام الحسني العراق:

★ جَادْ الزْمَانْ وَاستَبْشرَ قَلْبْ الْهَايَمْ ★

★ وتْحلّى بَالسَّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهَ ★

كتب فيه المصمودي "يامنا "

★ قُولُو لْيَامنَا تَهْلِيل الْعُثْمَاني ★

★ مِينَا .. يَا مِينَا مْعَكْ شْرَعْ اللّهْ ★

وكتب فيه بجيوات "الجيران "

★ يَا شوم لِيعْتِي شِي يْصبَّرْ جِيرَانِي ★

★ جِيرَانِي لَغْدَرْ عَيْبْ للجِّيرَانْ ★

وكتب فيه بوزيان "المحبوب "

★ مَحْبُوبْ خَاطْرِي مَنْ فَقْدُ وعَمْدَالِي ★

★ عَمْدَالِي لَحْبِيبْ مَاانْعَمْ بُوصَالْ ★

وكتب فيه الحاج إدريس بنعلي "الصاحي "

★ يَاصَاحْ لِيمْتَا وأنت عَايَشْ صَاحِي ★

★ وبْرَايَقْ لَمْدَامْ طَافْحَا بَالرَّاحْ ★

وفيه لابن علي ولد آرزين "الشمائل المحمدية "

★ أجِي تْشَاهَدْ السَّرّْ الْمُحَمَّدِي ★

★ وَشْمَايَلْ شَلاَّ تْحدَهَا لَعْدَادْ ★

القياس الثامن : 4 + 8

كتب فيه متيرد " لبابة "

☆ طَارْ بَجْفَاكْ صوَابِي ☆

☆ يَاللّي تَهْتِي بِيهْ كْثِيرْ لِيمتَايَا لُبَابَا ☆

وفيه شوقية لولد أرزين :

☆ الصلاَتْ عْلَى التَّاقِي ☆

☆ سِيدْنَا مُحَمَّدْ جَدْ الاشرَافْ مَنْ جَانَا بَالْحَقْ ☆

وفيه لابن سليمان "سلطان المشور"

☆ يَاهْلَ الزِّينْ الفَاسِي ☆

☆صَافُو مَجْمَعْكُمْ وبَايْعُوا السَّلْطَانْ الْمَشْوَرْ ☆

وفيه للتهامي لمدغري "حصان"

☆سَالْ عَوْدِي عَنْ وَعْدِي ☆

☆ يبَاتْ يرَتّي ويضَلْ مْعَا اللّجَامْ مَسكِينْ ايكَدّْ ☆

القياس التاسع 6 + 7 كتب فيه بنسليمان "غصن الخيزران"

☆ كُنْتْ وبَاقِي فَانِي ☆

☆ يَارَاحتْ الخوَاطرْ يَا غُصنْ الْخَيْزْرَانْ ☆

وكتب فيه النجار "المعجزات"

☆ نُورْ الْحَقْ السَّامِي ☆

☆ صلّى عْلِيهْ رَبِّي وَعْلَى الْوسْلاَمْ ☆

ولسيدي عبد القادر العلمي "البستان"

☆ سَعْدْ الْكَلْبْ الْهَانِي ☆

☆سَعْدَاتْ مَنْ فَاتُو مَرْتَاحْ مَنْ الْحَانْ ☆

وفيه حالية العمري :

★ زَخْرَفْ رَوْضْ جِنَانِي ★

★ وَشْمَنْ جِنَانْ فِيهْ اللِّي فَ قَلْبِي الْآنَ ★

"القياس" العاشر 6 + 11 لعل أول قصيدة فيه هي ل: بن حساين الحفيد"

★صَلَّى اللَّهْ عْلَى الصَّادَقْ التَّاقِي ★

★ مُحَمَّدْ اشْفِيعْ الشَّافَعْ إِمَامْ الانْبْيَا رَاكِبْ البُرَاقْ ★

وفيه لسيدي عبد القادر العلمي :

★ قَالْ الْمَزْيَانْ صِيفْ لِي زِينِي ★

★ وَمْدَحْ امْحَاسْنِي كِيفْ يَمْدَحُوا نَاسْ الْغْرَامْ بْدُورْ الْحَسَنْ ★

وفيه للحاج إدريس "خمرية"

★ مَنْ دْرَا يَكْمَلْ فَرْحِي وَسْلْوَانِي ★

★ وِيعُودْ فِي مْكَانِي سَاقِي غَانِي ضِيَاعِيَانِي ذَاتْ الْحَسَنْ ★

كان عليَّ أن أكتفي بهذا القدر من "لَمْرَمَا المَثْنِيَّةْ وَقْيَاسَاتْهَا" إلا أن الخاطرة التي خطرت في خاطري تستلزم الاتيان بطائفة أخرى من "قياسات" هذه "لمرما"، ولو بنموذج واحد لكل "قياس"، حتى لا أسجل هذه الخاطرة ...إلا وأنا في غاية الاطمئنان عن نتائجها.

القياس الحادي عشر 5 + 6 والنموذج "رد الولها" ل: ولد بوعمر

★ أَهْلَ الْبْهَا حْمَا قُو رَدْ الْوَلْهَا ★

★ مَنْ شْعَا .. مَنْ شَعْشُوعْ الْكَامَلْ الْبْهَا ★

القياس الثاني عشر 3 + 6 والنموذج لابن سليمان

★ أَمَا مَن كْلْظَمْ ★

★ صَحْتُو كَانَتْ لُوهِيْ الطَّامَّا ★

القياس الثالث عشر النموذج لسيدي علال العلوي

★ رْضَعْتْ الْغْيَالْ فـْ تَدّي ★

★ وكْبَرْتْ فـَ : الْقْلاَعِي فـَ : الدّا ★

القياس الرابع 5 + 7 النموذج من شعر ولد أرزين

★صلّي علَى النْبِي فـَ : اللِّيلْ أُو النْهَارْ ★

★ تَنْظرْ وبَالْبَصَرْ أُو بلْبْصِيرا ★

القياس الخامس عشر 5 + 8 النموذج من شعر اليوسفي

★ أنَا اللِّي نْظَرْتْ غْصِينْ الرِّيْحَانْ ★

★ فتّحْ الورَدْ الفيلاَلِي علَى فنَانُو ★

القياس السادس عشر 6 + 8 والنموذج للتهامي لمدغري

★شدّ آسيدِي رمَّانَكْ ★

★ بيدِيكْ زُوجْ منّكْ لِيهْ آشْ علِيَّ ★

القياس السابع عشر 7 + 6 والنموذج من شعر الناصري

★ أنَا لْغرِيبْ فِي بْلاَدَاتْ النَّاسْ ★

★ مْفَارقْ وْطَانِي وَحْبَابِي مْعَاوْنَاسِي ★

القياس الثامن عشر والنموذج من شعر مولاي عبد الرحمان بوقطيب ، وهو من الاوزان الراقصة بالنظر الى نوع إيقاعاته "4 + 4"

★ شعْلاَتْ فـْ خلْوْتِي مْنَارَا ★

★ وَاللِّيلْ فـْ :حلْكْتْ اللْيَالِي ★

وكذا القياس التاسع عشر "11 + 11 "والنموذج من شعر مولاي الحبيب العبار :

★ الزِّينْ الزِّينْ مَانْنُوزُو لُو كَانْ يْطُوقُونِي لَمْحَالْ ★

★ ياكوينا اللي خطفت .. أو من فوق لعود ديك مولات الخال ★

هو أيضا من الاوزان الراقصة التي تشيع المرح في النفوس ، فتنتقل من "التحييرا" أي التواجد مع الايقاعات الحضارية ... إلى شيء من الترويح مع أوزان الايقاع الراقص ...

" القياس العشرون " والنموذج من شعر بلمراني 6 + 4 :

★ رَدْ فْ : لَمْحَاجِي حَاجِي ★

★ مَا عَلْحْجَا مْحَاجًا ★

القياس الواحد والعشرون 4 + 5 والنموذج من شعر ناصر الدكالي

★ سَالُوهَا لاَشْ غَادْ يَالُو ★

★ سَالُوهَا لاَشْ تَابْعَاهْ ★

ونختم هذه الاوزان بما يسمى "لعروبي "6 + 6 والنموذج من شعر الجيلالي متيرد .

★هَذَا فَصَلْ الرْبِيعْ فِي رَبِيعْ الْخَيْرْ ★

★ مَوْلِدْ حْبِيبْنَا أحْمَدْ شَارَقْ الانْوَارْ ★

هذه بعض "لقياسات " "لرما المثنية"، و "لرما المثنية" وكل "قياساتها سواء منها ما ذكرت أو ما لم أذكر ... لا تمثل إلا ربع ثلث الملحون .أي أن مدرسة الملحوم تستطيع أن تقابل بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بل وتضاعف عددها ب :قياسات" "مرما" واحدة فقط هي "لمرما " "الاولى" لمرما المثنية .

وقد سبق القول أن فنون القول في الملحون ثلاثة : الشعر العمودي ويسمى "لبيت" والشعر المتحرر نسبيا ويسمى "مكسور جناح" والنثر الفني ، وقد أطلقو عليه إسم "السوسي".وسبقت الاشارة أيضا إلى أن الشعر العمودي في الملحون "لبيت"يتكون من أربع "مرمات"، و"لمرما المثنية" التي استعرضنا " قياساتها" واحدة من أربع ، وبها وحدها تقابل مدرسة الملحون سائر بحور الشعر العمودي وزيادة ، أما الثلاثة أرباع الباقية من "لبيت" أعني "لمرما الثلاثية" و "لمرما الرباعية" و "لمرما الخماسية" فهي تقابل كل شعر الفروع والاغصان من موشحات ، واجزال ، وطقاطق ، وما شابه .

ولا يفوتني أن أذكر هنا " أدب الطفولة" ، ففي الاستسقاء مثلا... وعندما يردد الكبار " اللهم أسق عبادك وبهيمتك ، وأنشر

رحمتك ، وأحيي بلدك الميت .

يردد الشباب والفتيان

هَا السبُولاَ عَطْشَانَا غِيثْهَا يَا مُولَانَا

ويستجيب المجيب جل جلاله ، ويرحم عباده بالامطار ، وتعم الفرحة ويتسابق الاطفال إلى ساحات الاحياء ... وهم يرددون :

اشتَا تَا تَا تَا تَا أَوْلَادْ الْحـــــــرَّاثَا

المَعْلَّمْ بُوزَكْــــرِي طَيَّبْ لِي خُبْزِي بكَــــرِي

أو يرددون :

أَشْتَا صَبِّي صَبِّي والرزْقْ عْلَى رَبِي

وهي كلها مرددات على وزن واحد ... ولا يتغير الوزن إلا إذا انخرط الجنس الاخر (البنيات) بلعبة (حينا)

أحينا أَلْمْحِينِينَا

حِينًا صبَّاتْ عْلِنَا

حِينًا فَايَنَ بُوعزًا

حِينًا مْشَا للَسوُّدَانْ

حِينًا يْجِيبْ اللُّبَانْ

أما ربات البيوت ... لهن أيضا أذبهن النسوي الذي يعتمد الصدر والعجز فقط .

الْعُوْدْ الْمَرْبُوطْ الرِّبِيعْ قُدْامُو مولاَيْ الْحَسَنْ يْزِيدْ فَ : يَامُو

☆✪☆

بِينًا وبْينْ الجَامَعْ رِيحْتْ الجَاوِي وَايَا مُولاَيْ عَبْدْ اللَّهْ يا المكاوي

☆✪☆

هكْذَا خَلاَّوْهْ امَالِيهْ المَلْحَا وَالسرْ عْلِيهْ

☆✪☆

ويظهر وزن الاطفال : "أشتا تا تا تا تا " مرة أخرى ، في مظاهرات الافراح بمناسبة رجوع محمد الخامس طيب الله ثراه

مَلْكْنَا وَاحِـــدْ مُحَمَّدْ الْخَامِـــسْ

الاسْتِعْمَارْ الَى قَبْرِه بَنْ يُوسَفْ الَى عَرْشِهْ

وأدب الطفولة كالادب النسوي ، كلاهما يحتاج الى عناية خاصة ليس هذا مكانها على كل حال . وقبل أن أنتقل الى "لرمات" الموالية ... لابد من الاشارة إلى أن من ضروب المستحيل محاولة تتبع نشأة الاوزان ، ورصد تطورها ، وارتقائها ، وتحولاتها من نمط إلى آخر . وكل ذلك يتم في فصل من كتاب :

نستطيع أن نثبت مثلا أن مولاي الشاد ـ وهو من الذين شاهدوا نهاية الحكم السعدي ، وقيام الدولة العلوية الشريفة ـ أنشأ هذا الوزن :

رْيَاحْ الْيَنْبُوعْ　　　هَبَّتْ فْ : هَاذْ الاَرْضْ وْخِيرْهَا نْبَعْ

وأن ولد بوعمر ...حوله إلى "رباعي" بإضافته لشطرين آخرين في قصيدة "باها"

غَارُو الْبْوَاهِي　مَنْ بْهَا مَنْ لاَ لْبْهَاهَا شْبِيهْ

مُولاَتِي بَاهَا　زِيــــنْهَا صَانُو سَرّْ الْجَاهْ

ويكتب الشعراء في وزن مولاي الشاد الذي يعتمد الصدر والعجز فقط كما يكتبون في وزن "باها" الرباعي الاشطار إلى أن يأتي بنعلي ولد آرزين ـ في العقد الثالث من عهد السلطان العلوي المصلح مولاي سليمان ـ فيحول الرباعي إلى ثلاثي في قصيدته " أطلال المدن"

لُو كَانْ تْنَغْـــــرَمْ يَا حْمَامْ انْغَرْمـــــو الْمُدْا الْفَـــايْتَا

وَالّْي شَفْنَا فِي زْمَاناً مَا شَافُوهْ انْجَالْ

ويأتي لحبابي في عصر الحسن الاول ، فيعود بالوزن إلى ماكان عليه أيام ولد بو عمر، ولكن بإضافة حركات في الشطر الثاني والشطر الرابع تلائمه جدا جدا .

قُـــــولُو الْخْنَاثَا　　يَا تْرَى فَ : الْعَاهَدْ تَبْقَى ثَـــابْتَا

صَانَتْ بَحْمَالْهَا حْيَاتِي　　رَاحَتْ رُوحِي الصَّايْلاَ عْلَلْ لَبْدَرْ بَنْعُوتْ

ويأتي بن ريسول ، وهو من المتأخرين ، تتلمذ عنه شيخي وأستاذي وولي نعمتي سيدي إدريس العلمي رحمه الله ، فعاد بالوزن إلى عصر نشأته الاولى ، وكما أراده مولاي الشاد :

يَامَنْ هُو مَسلَمْ　　　فَ : النْبِي وَوْلاَدُ وقَوْيِ امْحَبْتَكْ

أستطيع أن أثبت مثل هذه التحولات في كل أوزان الملحون ، إنما ليس في فصل من كتاب أريده "بداية الطلب" بالنسبة

للباحثين والدارسين ، و "نهاية الارب" بالنسبة للمولعين والمغرمين ... وكتاب هذا شأنه لا ينبغي لمصنفه أن يغرق في موضوع على حساب الموضوعات الاخرى ، خصوصا وأنها كثيرة ومتشعبة أي الموضوعات ، وتلزم الاحاطة بها جميعها ولو باختصار شديد .

"ب" (لمرما الثلاثية وقياساتها) :

ثلاثية لان البيت الواحد يتركب من ثلاثة أشطار : "الصدر والعجز ، والديل" بخلاف لمرما السابقة التي كان البيت في كل "قياساتها ... يتركب من "صدر وعجز ...فقط

القياس الاول كتب فيه مولاي عبد الله واحساين "وصايا لقمان" (9 + 9 + 9)

أَرَاسِي نُوصِيكْ كِيفْ وَصَّى وَلْدُ لُقْمَانْ   وَنْتْ تَصْغَى كِيفْ مَا صْغَا وَلْدُو لَبْيَانِي

وَتْوَصِّي بُوصَايْتِي الْمَرْوِيَّا قُومْ اخْرِينْ

وفيه للتهامي المدغري قصائد كثيرة أذكر منها "حكاية زنجية"

مَا اعْظَمْ ذَاكْ الْيُومْ فَاشْ صَدُّو نَاسِي وَمْشَاوْا   تَرْكُونِي نُوَّاحْ فـ : الرْسَامْ قَلْبِي كَاوِي

يَحْسَنْ عَوْنْ اللِّي امْضَاوْا نَاسُو مَنْ بَعْدْ كَوَا

وفيه للسعداني قصائد وقصائد أذكر منها "المشموم"

جَاتْ لْعَنْدِي مَا عْرَفْتْهَا فِيدِّيهَا "مَشْمُومْ"   أُومَشْمُومْ انْضَرْتْنِي وجِبْهْهَا بَنْيَامِي

وَاحَدْ لِلتَّقْبِيلْ زَايْدْ عْلَى النَّضْرَا وَالشَّمّْ

وفيه لبنعلي المسفيوي "الطوموبيل" الثانية.

سَعْدِي زَارَتْنِي حْبِيبْتِي الْغْزَالْ أُمْ ادْلاَلْ   وَتْنَزّْهْنَا بَالْجْمِيعْ وَرْكَبْنَا طُومُوبِيلْ

وَتْسَارِينَا بَالْجْمِيعْ فالدَّنْيَا عَرْضْ وطُولْ

وفيه للحاج أحمد الطرابلسي مديح نبوي :

يَاعَيْنْ الرَّاحْمَة الرَّاحْمَة يَا قُرَّةْ الانْيَامْ   يَا قُرَّةْ الانْيَامْ جُدْلِي يَا بَحَرْ التَّعْظِيمْ

يَا بَحَرْ التَّعْظِيمْ والفَضَلْ يَاعَيْنْ الرَّحْمَة

"القياس الثاني "من "لمرما الثلاثية"

فيه للحاج أحمد بنمسعود الازموري "فطومة"

شَفْتْ الشَّمْسْ وْشَفْتْ الْقَمَرْ وَالْجَنَّةْ والنَّارْ فِي خْدُودْ غْزَالِي فَطُّومْ

شَمْسْ الْحُسْنْ آلالْ الطَّامْ رَوْنَقْ السرّْ عَنْ جْمَالَكْ يَاطَامُو

وفيه ل: التهامي لمدغري "النحلة"

صُولِي يَاشَامَةْ الضَّرِيفَةْ ورْهَايْ وْغَنِّي وَدَنْدْنِي نَغْمِي عَلْ الاوتَارْ

مَامْثَّلَكْ فَضَةْ وْلاَ اتْبَرْ يَابَنْتْ الْمُلْكْ فِيكْ هَمَّةْ وتْجَارَةْ

وفيه للحاج ادريس "الكاس"

أسَاقِي لْمْدَامْ صِبْغْ نَحْكِي لَكْ مَابِينِي وبِينْ كَاسْ رْحِيقْ الْمَسْطَارْ

قَصَّةْ وَعْجُوبَةْ وتَرْجْمَةْ صَارَتْ لِي الْبَارَحْ امْعَا جِلاَّسِي

وفيه لادريسي العلمي "مديح نبوي"

صَلَّى اللَّهْ عْلِيكْ يَالْمَاحِي مُحَمَّدْ يَا شْرِيفْ الاسَمْ سَيَّدْ لَمْلاَحْ

يَامَنْ بِكْ النَّاسْ فَرْحَةْ مَنْ شَهَدْ بِكْ نَالْ رَبْحُو وَصْلاَحُو

"القياس الثالث"

فيه لابن علي ولد أرزين "زنوبة"

يَا بْدَرْ مَا غَطَّاكْ حْجَابْ فِي دْجَايَا شَمْسْ النّهَارْ السْعِيدْ يَازَنُّوبَةْ

شَايَقْ انْشُوفَكْ يَا زَيْنَبْ

وفيه للحاج ادريس "حبيبة"

يَاللِّي زِينَكْ زِينْ عْجِيبْ عَالْجِينِي بَرْضَاكْ ارُوحْ رَاحْتِي حبِيبَةْ

مَا ابْحَالَكْ عَنْدِي مَحْبُوبْ

وفيه للحاج أحمد الغرابلي "العمرية الصوفية"

كُبْ لَلساحِي كَاسْ الرّاحْ　　　يَا لساقِي رَادَفْ لُولَا تْكُونْ فِيكْ جْحَاحَة

حَضرُوا فَ : الْفيْنَة يرْتَاحْ

القياس الرابع من "المرما الثلاثية ...

فيه لمحمد بن سليمان

نْبكِي علَى دنُوبِي وَصَلَاتْ اوقَاتِي　　　يُومْ الهُوْلْ وْظَلْمَةْ الْقبْرْ

بدَّلْ يَاربِّي سيّتي بالْحسْنَة

وفيه ل : التهامي المدغيري

الاَ لْلازْهُورْ أزَهْرِي وزْهَارُو　　　بِكْ رِيَاضِي فَايحْ الزْهَرْ

صوُلِي صوُلِي يَا غزَالِي زَهْرَة

وفيه لنفس الشاعر

انَا عشِيتْ الْجمْعَة شَابْ شبَابِي　　　ملَكْتنِي عزْبَة وشَابَة

مَنْ شَاهدْهُم مَّا اسْخَى بشْبَابُه

وقريب منه "اثلاثة زهوة ومراحة" لنفس الشاعر

اثْلَاثَة زَهْوَة ومْرَاحة　　　بهْوَاهُم مَا أنَا سَاحِي

رْكُوبْ الْخيْلْ وَالْبْنَاتْ وكِيسَانْ الرَّاحْ

"لمرما" "الرباعية" وقياساتها

تندرج في هذه "لمرما" كل القصائد التي يشتمل البيت الواحد منها على أربعة أشطار غير متوازية، أي أن الاشطار الاربعة التي يتكون منها البيت الواحد ، لا بد وأن يكون فيها الشطر الطويل والشطر الاطول ، والشطر القصير ، والشطر الاقصر .

ذلك لان القصيدة المتوازية الاشطار ، وإن كانت رباعية فمكانها "لمرما المثنات" وليس "لمرما الرباعية" اقرأوا معي مثلا هذا البيت من قصيدة للحاج أحمد الغرابلي .

صلّى اللّهْ عْليـــكْ يَاشفِيعْ العُصَاةْ الْهَادِي   يَاعيْنْ التَّعْظِيمْ وَالْهْدِي
يَا مُحَمَّدْ خَاتْمْ الرّسَالَة يَا نُورْ اتمَـــادِي   فَصْلاتَكْ سطْوَة وَفَايْدَة

فهذا البيت وإن تركب من أربعة أشطار ، لا يعتبر إلا "مثنى" متكرر إذ أن الوزن كما تلاحظون واحد : الصدر الاول على وزن الصدر الثاني والعجز الاول على وزن العجز الثاني ، وكذلك الحال في قصيدة الشهد ة ل : بن مخلوف .

مُحَمَّدْ يَانُـــــورْ تَمْدِي   صلّى اللّهْ عْليكْ أَبْدَا
عدًا النّحلَة اللّي اتْسدّي   تَعْمَلْ شَهْدَة فُوقْ شَهْدَة

وكذلك وصية الحاج ادريس :

لُطْف اللّهْ يْعَمْ   يَا لسَاهِي وَطْلُبْ رَبّي سلاَمْتَكْ
الَى رَدتّي تَغْنَمْ   أَوْ تَعْلاَ مَا بِينْ النَّاس دَرْجْتِكْ

وللشاعر الصوفي الكبير الحسني الحراق في هذا المثنى المتكرر :

جَادْ الزّمَانْ واستَبْشَرْ قَلْبْ الْهَايَمْ   وَتْحلَّى بَالسّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهْ
انكَى الْحَسُودْ وَظْفَرْ بَالْعزْ الدّايَمْ   واصبَحْ يَتْمَخْتَرْ فِي تْيَابْ هْنَاهْ

وله ايضا في "المثنى" المتكرر ، وعلى وزن آخر

انْسَى بَحْبِيبَكْ   كُلْشِي وَجْمَعْ فِي ذَاتُه هْوَاكْ
وَشْكُرْ مَعْبُـــودَكْ   مَنْ ضَحَى بَالْقُدْرَة يَهْدِيكْ

كل هذه القصايد وغيرها مما شاكلها ... هي من "لمرما المثنية" أما "المرما الرباعية" هي التي يشتمل البيت الواحد من قصائدها على أربعة أشطار غير متوازية كما سبق القول - وإليكم نماذج منها للدلالة عليها .

"لمرما الرباعية وقياساتها"

القياس الاول : حب حبيب الرحمان ... للجيلالي امتيرد

صلّيوْا علَى الْعَدْنَانْ   مَنْ جَانَا بَالْبْيَانْ
فِي آيَاتْ القُرْآنْ   طَهَ مَفْتَاحْ الْكُونْ

القياس الثاني : "مديح نبوي" للنجار

جَلْ الصلاَ مَهْدِيـــــــــــــة عْلَى النْبِي مَرْدِيةْ وَعْلَى الازْوَاجْ وانْصَارُو

وْعْلاَ الاسبَاطْ وعْلَى الشرْفَا الاَحرَارْ وَعْلَى الزَّهْرَ بَنْتْ الرْسُولْ وعْلى هرْامْ الرُّومْ

القياس الثالث : ... حجوبة "لابن على "ركوب الخيل والبنات وكيسان الراح

يَا لَلِّي زِينَكْ فَاقْ الشمْسْ وَالقمَرْ وَالْبَرْقْ فالاَحبَابْ صلْتِي بَحرُوفْ عجَابْ

صيغْ لَجوَابِي عَالْجِينَا بَالزُورَة يَالرِّيمْ حَجُوبَة

القياس الرابع : "الشهدة" ل : بنسليمان

يَا صاحْ زَارْنِي مَحبُوبِي يَامَسْ كُنْتْ صايَمْ شَهْدَة قطْعَتْ وَجنِيتْ الْوَرْدْ كَالُو كْلِيتْ رَمْضَانْ

مَهْجُـــــورْ كُنْتْ مـــــــــــــــــدَالِي يَاحبِيبْ الْخَـــــاطَرْ يَاكْ الْمَرِيـــضْ يفْطَرْ ؟

القياس الخامس : "طامو" لعبد القادر العلمي :

طَـــامُو يَا بْهِيجتْ الْخَدَادَة يَالْحرُّة الْمَنْكَادَة يَا غَايْتْ التَّمْجِيدْ

دِيرِي لْعَـــــاشْقَكْ مُرَادُو يَنْكِي بِكْ كُلْ حَسْـــــــــــــودْ

القياس السادس : "قاضي العشاق : ل: التهامي المدغري .

أَقَاضِي قَصَّة جرَاتْ لِي مَعْتَاهَا مَاجرَاتْ لَحدْ فْ : نَاسْ لْغرَامْ

مَحْبُـــــــوبْ لِيكْ دْعَـــانِي وَحلْفْ لاَهَنَّـــــانِـــــي

القياس السابع : "خدوج"ل :بنسليمان .

من يوم ريتها دراجـ ـة مـــــاوسنت داجي

ونالطلوع هلالها نرتجى رانا في عار للاخدوج

القياس الثامن : "المحبوب للحاج فضول .

محبوب القَلْبْ زَارْنِي يَامَسْ يَاعَشْرَانِي وَاصلْنِي الرْسَامْ ونْكَى جمْعْ الرقْبَابْ

صَايَلْ مَابِينْ قْرَانُو   سِيدِي بُووَجْنَة مْنَكطلة

القياس التاسع : "فارحة" ل : التهامي لمدغري

دَاسِيِّنِي تَحْتْ الْخْلاَلْ بِينْ دْرُوعَكْ لْمْلاَحْ   وَالْلُّبَّةْ وَالــــــــدّوَّاحْ

وَنْهِيدَاتَكْ تَفَّاحَة   خَفْتْ ايشُوفُونِي عْيُونْكْ يَجَرْحُونِي يَا فَــارْحَة

القياس العاشر : "الدواح" لابراهيم السوفاني .

دْوَّاحْ غْزَالِي طَــــــــــــاحْ   مَنْ جِيبِي فِيهْ صْلاَحِي

كِيفْ انْدِيرْ إلى انْسَالْنِي مُولاَتْ الدْوَّاحْ   حَبِيبَة قَوْتْ الــــرُّوحْ

هذه عشر نماذج من "القياسات لمرما الرباعية" اثبتها للدلالة على القياسات الرباعية الحقيقية . والتي هي غير متوازية الاشطار

طبعا لم أسجل كل قياسات لمرما الرباعية ، لاتفادي التطويل ولم أشر إلى القصائد التي هي على وزن القصائد التي هي على وزن القصائد التي أثبتها والتي تعد بالعشرات .

"لمرما الخماسية وقياساتها"

لمرما الخماسية هي "لمرما" الاخيرة في "ملحون الابيات" الشعر العمودي في الملحون وقياسات لمرما الخماسية هي آخر قياسات هذا القسم من اقسام الملحون الثلاثة :

1 ـ لبيت   2 ـ مكسور جناح   3 ـ السوسي

فبالمرمة الخماسية وقياساتها ننهي قسم "لبيت"

القياس الاول فيه للجيلالي امتيرد "الطير المفقود"

طِيرْ امْشَالِي وَلاَ عْرَفْتُه   فِينْ مْشَى سَابْغْ الاشْفَارْ

فَدْفَدْ بْجْوَانْحُو وْطَــارْ   تْجَمْعَنِي بِه يَا الْمَوْلَـــى

طَالَتْ بَالْوَحْشْ غِيبْتُو

وجاء التهامي لمدغري ، فكتب فيه " فارحة المنشوبة" ولكن بالتزام تام بالقافية في كل شطر من الاشطار الخمسة التي يتكون منها البيت الواحد

سَلْتَكْ بْبْهَاكْ يَالرَّايَحْ   مَالَكْ سَكْرَانْ دُونْ رَاحْ

وانا عقلي معاك راح   بَايَتْ مَنْ لِيعْتْ الْجرَايَحْ

سَاهَرْ وَالنَّاسْ رَايْحَة

ثم عاد وكتب فيه وبنفس الالتزام : "زايدة"

أنَا الْمَشْرِي بْلاَ مْـــــــزَايَدْ   وَاللاَّيَمْ فـ : الْمْلاَمْ زَادْ
بِمْــــلاَمُو حَرْمْنِي الْـــــزَّادْ   كَفْ اللُّومَانْ لِينْ زَايْــدْ
يَبْلِـــــيكْ بْحُبْ زَايـــــدْةَ

وكتب الشعراء الكثير في هذا القياس ...... وبالتزام تام بالقافية في سائر الاشطار الخمسة ، لكن عندما جاء الحاج ادريس تساهل في القافية ... وعاد با "القياس" الى نمط "الطير المفقود" للجيلالي متيرد .

أنَـــا فِي عَارْ قَامْتَكْ يَا   رَايَتْ الْهْمَامْ فـ : اللّطَامْ
لُوجِيـــبَةَ لاَ للاَّ الطــاْمْ   رَفْقِـــي بِي وحَنْ وَعْطَفْ
يَا ابُو دوُّاحْ فَاطْـــمَةَ

الشطر الاول لا يخضع لقافية ، وكذلك الرابع

وعلى هذه الشاكلة عاد فكتب فيه :

أَســـــادَتِي اوْلاَدْ طَـــــهَ   بَرْضَاكُمْ عَالْجُوا الْحَالْ
يَا نَاسْ الْجُودْ الافْضَــــالْ   أنَا فِي عَـــــــارْ لاَلْ
فَطِيمَةَ الزَّاهْـــــرَا الطَّـــاهْرَةَ

بل هنا تساهل اكثر فاكثر .... على كل حال لا أريد أن أستمر مع هذه الاشياء التقنية التي قد لا تهتم بها الا قلة قليلة من الناس وأكتفي بهذا الجرد لقياسات لرما الخماسية .

القياس الثاني من لرمة الخماسية

هَاجُو الافْكَارْ اللاَّيَمْ يبْلِيهْ يبْلِيه بَالْهْجَرْ مَنْ لاَ ذَاقْ الْحُبْ مَاا عْذر
جَايَحْ دُونْ قْرَارْ مَاهَرْنُو رِيـــحْ جَمْـــارْ زَافْرَةَ

السلوانية لبلقاسم ، وفيه أيضا قامت لَعْلاَمْ وقصائد أخرى

القياس الثالث فيه لابن علي : "خدوج"

يَا قُمْرِيَّةْ لَبْرُوجْ　　يَا يَقُوتَة فِي تَاجْ　　يَا الرِّيمْ خْدِيجَة

زُورْنِي يَانَعْتْ الدّْرُوجْ　　يَا بُوسَالَفْ خَنُّوجْ

القياس الثالث من "لمرما الخماسية" فيه للكنوز "الرقاس"

عَوَّلْ يَا رَقَّاسْ بَالرْضَا　　وَحْتَالْ لُوصُولْ بُوشْفَرْ قَتَّالْ　　لِيهَا حْتَالْ

حَسَنْ بْهَاهَا العَانَسْ الْبَتُولْ مَالُومْثِيلْ

بهذه "لرما" نكون قد تعرفنا على شكل الملحون العمودي ، ويسمى "لبيت" بقي لنا أن نتعرف على شكل كل من القسم الثاني "مكسور جناح" والقسم الثالث "السوسي" لنفرغ من الشكل ، وننتقل إلى المضمون ، ونبدأ ب : "مكسور جناح"

إنه لون من الوان فن الملحون ، أشبه ما يكون بالشعر الحر او الشعر المرسل في عصرنا الحاضر ، لايتركب من أبيات كما هو الشأن في الملحون "لبيت" وكما تعرفنا عليه فيما سبق ، بل أن كل قسم من أقسام قصائده وكأنه بيت بذاته ، فهو أي مكسور جناح ، وحدة عروضية تشمل المقطع الشعري كله .

"شكل مكسور الجناح"

الْحُبْ وَالْهْوَى وَالْعَشْقْ وْنَارْ الْغْرَامْ

مَنْ حَالْتْ الصّبَا فَـ : عْضَايَا قَامُوا

كُلْ وَاحَدْ دَارْ مْقَـــــــامُو

فَـ : مُهْجْتِي وَضْحَى بَحْسَامُو

امْعَا اسْهَامُو

هنا ينتهي مكسور جناح ، إذ أن ما سيأتي بعده هو من الشعر العمودي "لبيت"

يَطْعَنْ وِيزِيدْ فَـ : الْجْرَاحْ اعْدَامِي　　فِـــــي غْرَادْ هَذْا الدَّامِي

غِيرْ مْلَكْتْ عَقْلِـــــي بَجْمَـــــالْهَا　　وْغْلَقْتْ عَنْوَة بَابْ الْمْرَاحْمَة

وكذلك لازمة القصيد ... لابد وأن تكون من الشعر العمودي "لبيت" .

رَحْمِي يَارَاحَةْ الْعَقْلْ تَرْحَامِي   مَنْ جِفَاكْ طَالْ سقَامِي
كِيفْ نَبْقَى حَايَرْ وَنْتِ مَسْلِّيَــة   رُوفِي يَا لُغْزَالْ فَاطْمَة

فمكسور جناح إذن ... يتحرر من سائر قياسات لرمات السالفة الذكر ، ويتخلى عن رتابة القافية الثابتة ، لكن في البداية فقط ، أما النهاية : نهاية كل مقطع ، لابد من الرجوع إلى الاصل ، هكذا :

عَيْنِيكْ زُوجْ كِسَانْ مَنْ عَتِيقْ الْمُــــدَامْ
مَنْ ذَاقْ مَنْهُمْ شِي يَصْبَحْ هَــايَمْ
وَالْعَطْرْ فَ : الْخَدْ النَّاــــعَمْ
وَرْدْ عَكْرِي تَحْتْ صَـــوْارَمْ
فَـــاحْ نَاسَمْ

وَالْمَعْطَسْ طِيرْ طَارْ لِي بِمْنَامِي   بِينْ الْوَرُودْ مْسَـــامِي
وَالسْنَانْ صَفَا مَنْ حَبْ الْغْمَامْ وَالْجِيدْ غْزَالْ خَشَى مَنَ الرْمَا

هذا مقطع من قصائد مكسور جناح ... بدايته تحرر من الوزن الرتيب والقافية الثابتة ، ونهايته رجوع إليها معا . وسوف لا أكتمك قارئي الحبيب أن هذا الوزن الثلاثي ـ سواء الذي في آخر المقطع أو الذي في اللازمة .

رَحْمِي يَا رَاحَةْ الْعَقْلْ تَرْحَامِي   مَنْ جِفَاكْ طَالْ سقَامِي
كِيفْ نَبْقَى حَايَرْ وَنْتِ مَسْلِّيَة   رُوفِي يَالْغْزَالْ فَــاطْمَة

هو "قياس " من "قياسات" لرما الثلاثية .. ولقد كتبت فيه قصائد وقصائد قبل أن يتحول إلى " مكسور جناح" ... بل قياسات كثيرة تلك التي تحولت الى "مكسور جناح" من كل لرمات التي استعرضناها معا فيما سبق .. من ذا الذي يصدق أن "لغزيل" للسي التهامي هو على وزن "جل الصلا مهدية" للنجار ؟ ... حتى أهل ملحون العصر الحاضر لا يعرفون مثل هذه الدقائق .

اقرأوا معي هذا المقطع من قصيدة لغزيل ل : التهامي لمدغري لنلاحظ جميعا ... كما لاحظنا ونحن نقرأ ذلك المقطع من فاطمة للحاج ادريس ... ان بداية المقطع مكسور جناح ونهايته قياس من "لرما الرباعية" يعرف بقياس : "جل الصلا مهدية"

حَالِي اعْلاَ الْغزِيلْ يَا لاَيَمْ دُونْ حَـــالْ

سَهْرَانْ طُولْ دَاجِي نَرْثِي مَنْحُولْ

فِي غْلاَلْ هْوَايَا مَوْحُـــولْ

سَاخْفِينْ عْضَايَا لاَحُــولْ

عَادَمْ الْحُولْ

مَنْحُولْ كَمْ مَنْ حُولْ

فِي حَالْتِي امْبَدَّلْ

غِيرْ انْسَـــولْ

الى هذا الحد ، وينتهي جانب " مكسور جناح" من المقطع ، ويبدأ ما يسمى "الرواح" أي الرجوع الى الاصل ، الى الشعر العمودي :

عْلَى الْغزِيلْ يَتْشَرْغَيْ بَالصْدُودْ عَيَــانِي	بَاقِي صْغِيرْ دُونْ صْيَامْ أُوغْفْلاَنْ
خَلاَّنِي خَلاَنِي هْمِيمْ هَايَمْ عَقْلِي مَشْطُونْ	وَخْـــلاَقِــــــي مَذْهِيــــةْ
الْسَّايَلْ شَافَتْ عَيْنِي غْزِيلْ سَبَّـــــانِي	اشْعَلْ فَ : الْحْشَا نَارْ ابْلاَ دُخَانْ
مَبْقَانِي مَبْقَانِي اعْلاَ لْهِيبْ الْخَدْ الْمَكْنُونْ	وَالْعَيْنْ السَّرْدِيــــــــــــةْ

وهذا الوزن هو من أوزان ، أي من قياسات لرما الرباعية ، وفيه قصائد كثيرة من بينها "جل الصلا مهدية" واثبت لازمتها هنا قصد المقارنة .

اعلاَ النْبِي مَزْدِيةْ وَعْلاَ الازْوَاجْ وَانْصَـــــارُو	وَعْلاَ الاسْبَاطْ وَعْلاَ الشُرْفَا الاحْرَارْ
وَعْلاَ الزَّهْرَا بَنْتْ الرْسُولْ وْعَالِي هْزَامْ الـرُّومْ	جَلْ الصْـــــــلاَ مَهْدِيــــــةْ

على كل حال "مكسور جناح" هو لون من ألوان التطوير التي وقعت في الاوزان العمودية الرتيبة . وأرى شخصيا أن هذا أول تغيير يقع على الاوزان التقليدية القديمة فيكسر فيها رتابة الوزن من جهة وينقلها من قافية ثابتة الى قافية متحولة من جهة ثانية ، كان ذلك في عهد "بوعمر" وهو القائل :

"الاشْعَارْ فْ : لَعقُولْ لِطْيَارْ"

وَالْقَفُورَة فَ : الْقَافيَاتْ "

و"الْمَرْمَـــــات"

او "الاقْيَـــاسَات"

على أن هذا التحرر الكامل الشامل الذي دعى إليه بوعمر ، لم يقبل عليه الناس برمته ، فكانت هذه الوحدة العروضية التي تشمل ماهو مكسور جناح من كل مقطع ، وكانت هذه القافية المتحولة أي التي يسمح للكاتب بتغييرها متى شاء ، إنما لابد من أن تكون على كل حال ... وشروط منها أن لا تخرج لازمات مكسور جناح على مرمات الشعر العمودي : "لبيت" وكذلك الرواح ...أي نهاية المقطع ... ومنها أن لا تنتهي القصيدة من مكسور جناح إلا ب ... "سارحة" ... والسارحة كماسيأتي الحديث عنها هي مجموعة أبيات على وزن اللازمة لا تقل عن عشرة أبيات ، وقد تبلغ المائة بيت ... ومنها ... ومنها ... ومنها .

وهكذا لم يتحرر الملحون من قيوده القديمة كما أراد له "بوعمر" وأنما "زاد قيدين على قيدو" كما قال "متيرد"

وقد جاء بعد أزيد من مائة سنة مرت على ظهور "مكسور جناح "،وسيأتي معنا ذكر "متيرد" إذا ماوصلنا الى "السوسي".وعندي أن الجيلالي متيرد أحس بتجربة بوعمر، وصِلَتِهِ وتَفَاعُلِهِ معها ، وعقد العزم على إحيائها،بل وفعل،كما سيأتي بيان ذلك في معرض الحديث عن "السوسي" . أما الآن ، فلا يزال أمامنا تصنيف "مكسور جناح" فتعالوا بنا إليه .

سبق القول أن من شروط طبيعة العمل في قصائد ... مكسور جناح أن لا تخرج اللازمة عن "مرمات" الشعر العمودي في الملحون ... وكذلك نهاية كل مقطع ونهاية القصيدة أيضا والمتتبع للقصائد مكسور جناح ، لابد وأن يلاحظ أن سائر مرمات الملحون العمودي حاضرة في مكسور جناح ، بل لا يمكن تصنيف قصائد مكسور جناح ، إلا بواسطة ، ومن خلال اللازمة "ورواح لقسم" والسارحة ، أي الجوانب الخاضعة للاوزان القديمة .

أما ما تحرر منه فقد تحرر وأنتهى أمره .

ولكي لا أطيل سأكتفي بتقديم نموذج أو إثنين فقط من كل "مرما" من "مرمات" مكسور جناح .

* لرما المثنية *

فيها قصيدة "عيشة" لابن علي :

اللازمة صدر وعجز .. أي "فراش وغطا" على حد تعبير أهل الملحون :

★ مَالَكْ يَا لُغْزَالْ تَايْهَا وَعْلاَشْ اَخِيتِي وْفَاشْ ★

★ بِينْ الْبَارَحْ وَالْيُومْ طَالَتْ الْغِيبَةْ يَا عِيشَةْ ★

هذه هي اللازمة ، وهي كما لا شك لا حظ القارئ الكريم ...

من أوزان الشعر العمودي ... لكن عندما يبدأ المقطع يبدأ بوحدة عروضية ، هكذا :

- مَاكَانْ لِي فْ : ظَنِّي لَو تَفْرَقْنِي نْعِيشْ .

- صَبْرَتْ مَا كْفَى وَقْوَى تَشْـــــوْاشِـي .

- حــــــالْتِي لاَ حَالَةْ رَاشِــــــي .

- هَكْذَا نَبْغِي لَلْـــــوَاشِي .

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور جناح من المقطع ، ليبدأ الرواح ... والرواح هو الرجوع إلى الاصل .

★ بَعْدْ أَنْ كُنَّا لاَمَّةْ مْعَاشْرَةْ وَحْنَا زُوجْ عْلَى فْرَاشْ ★

★ نْسِيتِي لَمْحَبَّةْ السَّابْقَةْ وَاللِّي فَاتْ مْشَى ★

★ مَالَكْ يَالْغْزَالْ تَايْهَةْ وَعْلاَشْ اَخِيتِي وْفَاشْ ★

★ بِينْ الْبَارَحْ وَالْيُومْ طَالَتْ الْغِيبَةْ يَا عِيشَةْ ★

ومن هذه لرما أيضا "غيثة للحاج إدريس" :

- أَلاَ لْلاَّغْوِيتَة حُبُّكْ وَهْوَاكْ سَاكْنْ الذَّاتْ

- الذَّاتْ فَانْيَةْ مَا تَقْوَى لَلتِّيه

- وَالْعَقْلْ بْغْرَامَكْ حَزْنِيــــهْ

- لاَشْ علّل لَجْمَارْ رْمِيتِيه
- رَحْمِيهْ بْقُبْلَةْ يَا الْهَاجرْة قبْلْ يفُوتْ الْفُوتْ
- يَاكْ تْعَرْفِيهْ الاَللاعْبِيدْ عنْدكْ مَــــــورُوثْ
- حَاضِي شرْطْ الأَدَبْ لِيس يْـــــــوتَا
- ارْضَاهْ فِي رْضَاكْ وْهُوَ قوْتْهْ مْعَاحيَاتُـــــو
- تِيهِي وْتِيهكْ ايْوَاتِـــــي
- بْشهَادتْ الْقْدِيدْ وَالْغُبَّة وَالْجبِينْ وَالْقبْــــيتْ

— اللازمة —

★ قُولُوا الاَ للاّغيثة مُولاَتِي ★

★ جُدْ بُوصَالَكْ علّل لَعْشِيقْ يَامْ الْغِيثْ ★

* لمرما الثلاثية *

اختار لمكسور جناح من "لمرما الثلاثية".. قصيدة مليكة للحاج أحمد الغرابلي :

- **اللازمة :**

★ ارَايَةْ الْمْلْكَة يَامُولاَتِي الْمَالْكَة ★ لِيكْ الْعبْدْ وْكُلْ مَامْلكْ ★

★ لاَ لاّ ملِيكة حمَايَةْ الْملِيكْ ★

جانب مكسور جناح من المقطع :

- يَـــــا منْ طْلْـــــوعْ هـــــــــلاَلَكْ
- يفْجِي ظْــــــــلاَمْ الاحْـــــــلاَكْ
- نَحْكِــــي شمْـــوسْ لَفْـــــلاَكْ

- لَلَّهْ جـــُـودْلِـــي بُوصـــَالَكْ
- نَتْكِـــي بْـــزُوْرَتَـــكْ عَدْالَكْ
- لَنِّـــي غْـلاَمْ حَسْنْ جْمَـالَكْ
- قَبْلْ الصَيَّام يَا مَلِيكَة وَأنَا غْلاَمْ مَمْلُوكْ
- وَمْنَ الْفْـــــرَاقْ مَهْـلُـــــوكْ

الرواح ... أي الرجوع الى الاصل ... إلى أوزان الشعر العمودي

★ إلَى تْزُورنِي تَتْعَافَا ذَاتِي الهَالْكَة ★ لَوْ تَجْفِي قَلْبِي يْوَاصْلَكْ ★

★ وِيلاَ دَزْتِينِي بْقَى الْعَارْ عْلِيكْ ★

* لمرما الرباعية *

نختار لهذه "لمرما" كنموذج "خناتة" ل: لعبابي "

★ قُولُوا لَخْنَاتَة يَا تْرَى فَـ: الْعَاهَدْ تَبْقَايْ ثَابْتَة ★

★ مَنْ صَانَتْ بَجْمَالْهَا حَيَاتِي ★

★ رَاحَتْ رُوحِي الصَّايْلَة عْلَى لَبْدَرْ بَنْعُوتْ ★

هذا الوزن كما هو الشأن في كل قصائد مكسور الجناح ... وكما سبقت الاشارة الى ذلك ... كانت فيه قصائد عمودية كثيرة قبل أن يطرأ عليه هذا التغيير الجزئي ويتحول الى مكسور الجناح ..

من القصائد الاصلية "المرسم" لابن علي ولد أرزين :

★ أنَا وَالْمَرْسَمْ يَا حْمَامْ مْثَالْتْنَا فَـ: الزْهُو انْتَ ★

★ الْمَرْسَمْ يَبْكِي عْلَى الشَمَّاعَة ★

★ وَنْتَ تَبْكِي عْلَى النْتَا وَانَا عْلَى لَغْزَالْ ★

هكذا كان شكل هذا الوزن ، أبيات رباعية الاشطار ، من بداية القصيدة الى نهايتها ، لكن عندما تحول الى «مكسور جناح» أصبح على هذا الشكل :

- قُولُوا اللاَّيْمِي يَعْذَرْ مَنْ ذَاتُو فْنَاتْ

- بْهْوَى الْقَاصرْةَ مَنْ صدّْ جفَاهَا

- التَّـــــايْهَة عَنِّـــي بْبْهَــاهَا .

- الســـاْلْبَة عقْلْ مَنْ يــرَاهَا

- وْلاَتْهَــــــــاهَا

- قُولْ غْـــــدَاهَا

- عْلَى هْـــــوَاهَا

- بْبْهَاهَا شَاطْنَة دْهــَانِي

- وَنْطَقْ قَلْبِي بْحُبْهَا بَعْدْ انْ كَانْ صَمُوتْ

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور الجناح من المقطع ليبدأ الرجوع الى الاصل

★ نَارِي حَتَّاتَة وْلاَ صبْرْ صبْرِي فَ : العُشَّاقْ مَنْ عْنَا ★

★ وْصَابَرْ مَنْ صَمِيمْ ذَاتِي بْغْرَامَكْ يَا لْجَافْيَة بَعْدْ انْ كُنَّا خُوتْ ★

* لمرما الخماسية *

نأتي بالنموذج من وزن قصيدة " سلتك بالله يالطالب" طبعا لاناتي بهذه القصيدة كنموذج لانها من الملحون "المبيت" أي العمودي ، ونحن نريد "مكسور جناح" وعليه فسناتي بالنموذج من وزن :

"سلتك بالله يا الطالب "بعد أن تحول إلى مكسور جناح

★ اعْطَفْ لِي مَالْكِي بْعَطْفَة ★

★ وَالْعَطْفَة مَنْ اوْصَافْ سِيدِي كَامَلْ الاوصَافْ ★

★ مَاسَرْ الزِّينْ غِيرْ عَطْفُو ★

★ وَالعَطْفَة سرْ فَ : اللْطَـــــــــــــــافَة ★

★ وَالحَالْ اتْصَافَا ★

هذه هي اللازمة ... وعلى وزنها الخماسي الاشطار قصائد كثيرة ولكنها في مكسور الجناح تتحول الى هذه الشاكلة .

- مَا كَانْ لِي فْ ظَنِّي يَنْعَمْ لِي بَا الْعَطُوفْ
- وَنَافْ مَامْضَى قَصَّرْتْ فْ : حَقُّـــــو
- وْلاَ عْرَفْتْ فْ : يُومْ بْحَقُّو
- وْلاَ عْطِيتُو شِي مَنْ حَقُّـو
- جَا السَّـــــاقِي
- جَاوْا ارْفَـــاقِي
- عْلَى تْفَـــــاقِي

وللبقية مفهومة مما سبق ... يختم المقطع ببيت خماسي الاشطار على وزن اللازمة ، وبه يعود الى الاصل ... هذا هو مكسور الجناح ... مجرد تغيير طرأ على بعض الاوزان الاصلية ... فاكسبها بعض الخفة والرشاقة ...

واستمرت الكتابات في المدرستين معا : مدرسة الملحون العمودي ومدرسة مكسور الجناح الى أن جاء الجيلالي لمتيرد في عهد الملك العلوي سيدي محمد بن عبد الله ... ففعل مثل ما فعل "بوعمر" أي حاول تحرير الكتابات الملحونة ليس من قيود الوزن الرتيب والقافية الثابتة فحسب ، ولكن من قواعد مكسور الجناح أيضا فهل نجح امتيرد فيما فشل فيه بوعمر من قبل ؟ أبدا ... بل أضاف بمحاولته تلك ... مدرسة ثالثة اصطلح الناس على تسميتها فيما بعد بالسوسي ...

☆ حَرَازْ كَافَرْوْ نَصْرَانِي ☆

☆ شَتْوَى وْصِيفْ كَايَرْعَانِي ☆

حَاضِي حَرِيسْ ، كُلْ مَاكَانَبْنِي يَرِيبُو ، وَخْزُوبُو عْدَاوْا عَنْ خَزُوبِي وَالْبَابْ اللِّي افْتَحْتْ لِيهْ ايسَدُّو . حْرَامْ مَا ابْغَايَتْغَامَا . حَتَّى حْبِيـــبْ مَا هُو عَنْدُو . مَثْلِي .. يْكَرْهْنِي مَنْ قَلْبُو وَجْوَارْحُو وْدَاخَلْ دَاتُو وِيـلاَ ايْشُوفْنِي يَتْكَحَلْ بْمْحَاوَرْ الـعْمَا وِيـزِيـدْ كْثُوبْ اونْفَاقْ وَنْوَلْلِّي تَقْلْ مَنَ الرْصَاصْ عَنْدُو ، شُوفَةْ وَحْدَةْ يْكَرْهْهَا فْ : خْيَالِي ... يَسْقَلْ جْبَهْتُو ... يْعَكَّدْ الْعَبْسَةْ فْ : خَلْقْتُو ... وِيــوَلْــلِّي قَلْبُو ظْلاَمْ وَاقْسَى مَنْ صَلْدْ الـصَمْ لِيـسْ يَرْطَابْ وْلاَيْلْيَانْ ... مَا يْحَنْ وَلاَ يَشْفَقْ مَنْ عْبِيـدْ رَبِّي .. وَعْرَفْتُو مَنْ زْمَانْ دَامَرْ مَتْمَادِي مَنْ سْلاَلَتْ الكُفَّارْ .

اللازمة

حَرَّازْ لاَ لَلاَرْسَامُو جِيتُو قَلْبُو نَصْرَانِي كِيفْ عَارْفُو غدَّارْ بَاقِي سلاَلَتْ الْكُفَّارْ ، هكذا أنشأ الجيلالي امتيرد هذا النمط من فن الملحون .. وهكذا كتب فيه كل الذين جاءوا من بعده

بدأ الشاعر المقطع ببيت شعري موزون مقفى :

★ حرَّازْ كَافرْ ونْصرانِي ★

★شتْوَى وصْيف كَايرْعَانِي ★

هذا البيت الاول من كل مقطع .. في كل قصائد هذه المدرسة .. دائما على هذا الوزن .. لكن ماسيأتي بعده ما هو إلا نثر نعم فيه سلاسة ... ولا يتعثر انسيابه ، وبين القافلة تناغم،ولكنه لا يخضع لنغمات إيقاعية تركيبية معينة كتلك التي في الملحون العمودي،ولا لوحدة عروضية متفق عليها،كالتي في مكسور جناح ...اللهم إلا ما كان من مطالع المقاطع وخواتمها ...ونهاية القصيدة ولازمتها فلابد لكل ذلك من أن يكون من الملحون العمودي ... تماما كما هو الحال في مكسور الجناح ، وكما سبق تبيانه ، بل لا يمكن تصنيف قصائد هذه المدرسة : مدرسة السوسي ... إلا بانتساب اللازمة ...

قد تكون اللازمة ثلاثية ...فتنسب إلى "لرما الثلاثية" وقد تكون رباعية ... فتنسب الى "لرما الرباعية" وهكذا ... فمثلا كنا مع الشاعر الذي أنشأ مدرسة السوسي في أول حراز كتبه فيها ... وكانت اللازمة هكذا :

★ حَرَّازْ لَلاَرْسَامُو جِيتُونْصِيبْ قَلْبُو نَصْرَانِي كِيفْ عَارْفُو غدَّارْ ★

★ بَاقِي سلاَلَتْ الْكُفَّارْ ★

فهي إذن تنتسب الى " لرما المثنية "

وفي " الزطمة " وقد كتبها على نفس النمط .. أي في المدرسة الناشئة : مدرسة السوسي ... نجد أن اللازمة ثلاثية أي تنتسب الى : " لرما الثلاثية " .

★جَانِي بَشَّارُو جَانِي يَاكْ عْطَانِي صَحْتْ الْخْبَار اُوبَشَّرْنِي بَالْوْصَالْ ★

★هَاهُوَ صِيفَطْ لِي كْتَابْ ★

هذه هي لازمة الزطمة ... أما المقطع ... فهو ككل مقطع من كل قصيدة في هذه المدرسة مدرسة السوسي

★ هَاهُوَ صِيفَطْ لِي كْتَابْ ★

★مَحْبُوبِي صِيفَطْ لِي كْتَابْ ★

★ قَرِّيتُو نَجْبَرْ فَ : الْجْوَابْ أمَحْبُوبِي يَارُوحْ رَاحْتِي : يَامَنْ لِيكْ الرُّوحْ شَايْقَة ★

حِينْ ايوَصْلَكْ . يَارْبِيعْ قَلْبِي . مَرْسُولِي قُمْ .... لاَ تْغَيَّبْ ، وَاجِي حَتَّى

انْشَاهْدَكْ وتْشَاهَدْنِي ، بَارَتْ الْحْيَالْ ابْدِيتْ انْخَمَّمْ ..

وهكذا .... وهكذا الى أن ينتهي المقطع ب : "الرواح" أي بالرجوع الى الاصل ... الى الوزن والقافية ...بعد أن كنا مع النثر الفني الجميل السلس ... الذي لا يخضع في انسيابه لا لوزن ولا لقافية ...ولا تاطره إلا تقطيعات النطق السليم ، وكيف ينبغي أن يكون في فن القول الدارج ... وهذا ما نسميه في حضيرة الملحون "لفصالة" أي ... فن الالقاء ...

وكأني بالجيلالي امتيرد رحمه الله .. كان قد رأى بفراسة المومن أن شاعر الملحون ... سيتحول مع السنين والاعوام ... الى ذلك المثقف العضوي الذي ينقل المعرفة من مبدعيها ... ليوضحها ، ليبسطها ... وبالتالي لينقلها الى عامة الناس ... بلغتهم ، بتعبيراتهم بما عرفوا من معاني ، وما ألفوا من تمثلات ... ولذلك ابتكر جازاه الله بكل خير ـ هذا النمط الذي تيسر معه الحكي ، واستقام به السرد ... وتجمع لنا فيه مع مرور الايام ، والسنون والاعوام ... الشيء الكثير والكثير جدا جدا من ألوان المعرفة وفنون الثقافة ... كما سيلمس القارئ الكريم في فصل المضامين .

نعم إن الجيلالي امتيرد أراد لهذه المدرسة "مدرسة السوسي" ، غاية اليسر ، ومنتهى البساطة ... فانت لا تجد داخل المقطع أي أثر للقافية لا ثابتة ولا متحولة ... بل وحتى السجعة لا يقبلها إلا إذا كانت عفوية ، تاتي من تلقاء نفسها .... أما أن تبحث عنها ... وتجري وراءها فلا . لكن الذين جاءوا بعد الجيلالي امتيرد حتى الآن ، فعلوا في هذه المدرسة : مدرسة السوسي ، مافعله الذين كانوا قبل الجيلالي امتيرد في مدرسة مكسور الجناح .

كما سيلاحظ القارئ الكريم من خلال النصوص الكاملة ... التي سننشرها بين يديه في فصل المضامين ، والتي سنراعي في اختيارها أن تكون مستوعبة لكل اشكال ... وأنواع .. وألوان .. المدارس الثلاث "لبيت" "مكسور جناح" "السوسي" وحسبي الآن أن أسجل أن مدارس الملحون الثلاث ، قد اكتملت نشأتها ، وبدأت مدارج الترقي ، على عهد السلطان العلوي الصالح المصلح ، سيدي محمد بن عبد الله ، أي أن كل الذين جاءوا بعد هذا العهد ... عهد سيدي محمد بن عبد الله الى يوم الناس هذا ، وإن كانو ابتكروا وأبدعوا ، ولونوا ونوعوا ، فمن داخل هذه المدارس الثلاث ، "لبيت"

"مكسور جناح" "السوسي" ووفق أصولها وقواعدها .

نعم توجد مدرسة رابعة .. هي مدرسة الاغنية الملحونة ... وليس القصيدة الملحونة ... الاغنية .. المقطوعة الخفيفة التي تقصر الى أن تصل في أدائها الى دقيقتين ... وإذا طالت فلا تتعدى الخمس أو الست دقائق . إنها "السرابة" ورحم الله من أطلق عليها هذا الاسم : "السرابة " فهي سرب من الاوزان يتلاحق بسرعة فائقة وفي انسجام بديع رائع ...... ومع أني لا أريد أن أجهضها بإشارة عابرة في هذا الكتاب الذي أردته للقصيدة الملحونة مبنى ومعنى وليس للاغنية ... مع ذلك أضع بين يدي القارئ نموذجا أو إثنين من هذه "السرابات" أي الاغنيات الملحونة ... على أن أفرد لها ماشاء الله من صفحات بعد فراغي من هذا الكتاب مباشرة ... وسيعلم الناس ان عاجلا ، أو آجلا أن الاغنية الملحونة التي كتبت قبل ما لايقل عن ثلاث مائة سنة هي

أحسن بكثير مما يكتب اليوم ... بل لا وجه للمفاضلة ، أو المقارنة بين الاغنية الملحونة القديمة ، والاغنية الشعبية المعاصرة

★ اعْلاَشْ أمَحْبُوبْ خَاطْرِي تَجْفِينِي ★

★ أَلْجَافِينِي وعْلاَشْ الْجفْا ★

★ حبِّيتَكْ مَنْ خَاطْرِي ولاَرَدِّتِينِي ★

★ ولاَوْصلْتِنِي قَاصِيتْ مَاكْفَى ★

★ خَالَفْتِي فـ : الْوَعْدْ بَاشْ وَاعدِّتِينِي ★

★ وكَاتْمَنِيِّنِي يَا شَارِدْ الْعفْا ★

قَالْت نَاسْ الشَّعْرْ قُولْ وَافِي

زِينْ بْلاَتِيهْ صُورْتُو تْغْـدَافْ

وَالْخِيرْ صَاحبْو يغْـــــرَافْ

★ عْلاَشْ ؟ عْلاَشْ؟ عْلاَشْ؟ يَالْجَافِي ★ زَدتِّي قَلْبِي شَغْـُـوفْ ★

★ مَاظَنِّيتَكْ بَالْخِيرْ مَاتْكَــــــافِي ★ يَــــامَسْرَاجْ الْحرُوفْ ★

★ وَاللِّي نَاوِي بزْيَارتُو يوَافِــــــــي ★ مَا كَايْنَوْ الْخُـــوفْ ★

★ خَلِيتِّي عيْنِي مَنَ الشَّفْقْ شـوُأفَا ★ نْعَايْنْ الــــــــرأفَة ★

★ مَنْ صَاحبْ الْعفْو ★

★ يَجْمَعْ شَمْلِي بِكْ خَاطْرِي يتْعــَافَا ★ الضرّْ يَتشـــــاَفَا ★

★ ربِّي يْخَفَّفُو★

★ تَكَّبْتِ فـ :اغْضَانْ نَارْكْ النَّــازْفَا ★ أَبْدِيــتْ فـ : الأَفَّة ★

★ وَعْدِي نْصرْفُو ★

★ يَامَا افوَاني كَانْرُوجْ كَالْحُوتْ بلّامَا فِي معَاطنْ وَنَشفُوا ★

وَيْحبُكْ الاعْضــــــا سَخْفُــــــــوا

★ ذَنْبْ الْعَشبقْ وَاعرْ مَازَالْ يدُورْبكْ

★ أيَا جَافِي خُوفِي علِيـــــــــكْ

★ وَافيــــنِي وَافِينِي وكَمّلْ الْمَقْصوُدْ

★ والّلي جوّادْ يَاكْ تْجُــــــــــودْ

★ لله وَاشْ قَلبَكْ حَجرْةَ ، ولَّ حدْيدْ ، ولَّ زَبْدَ ة . كَلّيتْ بَالْجفَا وَالْهَجرْة

خلّيتْ ليكْ مُولْ الْجُودْ .

هذه هي "السرابة" ،وهي كما ـ أسلفت ـ سرب من الاوزان يتسرب أمامك في انسجام بديع وبسرعة فائقة .. وهذا السرب من الاوزان ... يختار بعناية من كل أقسام الملحون الثلاثة ... "لمبيت" "مكسور جناح" "السوسي" .. وهكذا فإن كل "سرابة" على حدة،لابد وان تشمل كل مدارس الملحون الآنفة الذكر ... وكمثال لذلك هذه "السرابة" ، فقد بدأ صاحبها ـ ونحن في حضيرة الملحون،لا نعرف أصحاب السرابات كما نعرف اصحاب القصائد ...ذلك أن أصحاب القصائد يوقّعون قصائدهم ، أما أصحاب السرابات .. فلا . ربما استطاع بعض النبهاء التعرف على بعض أصحاب السرابات بأشياء معينة،سوف أشير إليها في فصل المضامين ،قلت إن هذه "السرابة" بدأها صاحبها بثلاثة أبيات على وزن من أوزان "لمرما المثنية" في الملحون لمبيت ... أي العمودي .. ثم أردف للابيات العمودية الثلاثة وحدة عروضية،كتلك التي في "مكسور جناح"، ثم جاء بوزن من : "لمرما المثنية" يختلف عن الأول،فصاغ فيه ثلاثة أبيات أخرى ، ثم انتقل بنا الى "لمرما الثلاثية" في ثلاثة أبيات ... وأردف وحدة عروضية ثانية ...وختم بنثر فني يقوم على السجع .. كما هو الحال في "السوسي"،وقد سبق تبيانه .

لله وَاشْ قَلبَكْ حَجرْةَ ، ولَّ حدْيدْ ، ولَّ زَبْدَ ة . كَلّيتْ بَالْجفَا وَالْهَجرْة

وهكذا تكون أقسام الملحون الثلاثة حاضرة في كل "سرابة" ، ومبالغة في الايضاح أضيف النموذج التالي :... وأترك القارئ الكريم يلمس بنفسه هذه الحقيقة : حقيقة أن كل "سرابة" على حدة لابد وان تشير في شكلها الى كل مدارس الملحون الثلاث: مدرسة الملحون العمودي"، "مدرسة مكسور الجناح"،"مدرسة السوسي" .

وبهذا النموذج أنهي الحديث عن شكل " السرابة" أي الاغنية الملحونة القديمة ، أما المضامين ...أما القيم : الشعورية منها أو التعبيرية ... أما ما فيها من تجارب إنسانية حية ، أما أسراب الصور .. والرؤى .. والاخيلة ...فكل ذلك مكانه "فصل

المضمون" وليس "فصل الشكل".

★شَـــــاينْ كَتَبْ الْعَـــالَمْ عَنْ جبَــــينْ ابْنْ ادَمْ ★

★ مَايَمْحِي وَعْدُو مْلاَمْ ★

★ قُولُوا لْذَاكْ الـــــــلاَئِمْ سلَّمْ تَمْـشِي سَـــالَمْ ★

★ مَنْ طَعْنْ سيُوفْ النْيَامْ ★

★ مَابَهْضُــوكْ غْـــــوَارَمْ مَالَسْعُــوكْ صــــوارم ★

★ مَادقْتِي كَاسْ الْمْـــدَامْ ★

★✪★

★ مَابَاتْ رْقِيبَكْ مَنْ ضَنَاكْ خَايَفْ ★ مَانَاكِيتِي حَسْــو دْ ★

★ مَا حزْتِي بِيدَكْ سُودْتْ السوَالَفْ ★ مَا عَنَقْتِي نْهُـــودْ ★

★✪★

- عَــــــايَشْ هَــــــايَمْ
- وَاهْيَــــــا ألْــــــلايَمْ
- يكْفَــــــاكْ الْيُــــــومْ
- لاَ تْعـــــــودْ تْلــــــُومْ
- وَلّا تْبُــــــوحْ بَالْمَكْتُوبْ
- أمَّـــــامَنْ امْثَـــــالَكْ لاَمُو
- التْبْــــلاوْا بَالْغرَامْ وْهَامــوُا
- وَبقَاوْا للْهوَى خَــــــدُّامُو
- وَرْضَاوْا سِيرْتْ حْكَـــامُو
- يَسْتَاهلُوا اللّي لاَمــــــُو

سعْدَاتْنَا نْهارْ تْجِينَا .. تُوقْتْ الْهْلاَلْ وتَزْهِينَا .. وبْطَاسْتْ

اشْتِيةْ تَسْقِينَا .. طلّعْتْ الْبْدَرْ مِينَة .

هذه هي الاغنية الملحونة ، أو "السرابة" ، كما سماها الاوائل ... أما طبيعة العمل فيها .. أما الخصوصيات التي تختلف بها عن القصيدة ، فذلك ماسنتطرق إليه في الفصل القادم إن شاء الله ، أما الآن .. فتعالو بنا لنعالج ما تبقى لنا من شؤون الشكل في فن الملحون "مطيلعات" مثلا . أو "عروبيات" . أو "سارحة" ..أشياء صغيرة من هذا القبيل ولكن لابد من التعريف بها ولو باختصار شديد لانها تمس الشكل في جوهره .

يقولون : "مطليعات" ويقصدون بالاصطلاح تلك الابيات الخفيفة التي تتخلل جل القصائد ، وتكون عادة في غير وزنها ... الابيات التي يقصدون بها تكسير الرتابة وتفادي الملل ، هذه الابيات المخالفة لوزن القصيدة ، والتي أرادو بها الترويح ، حتى لايسأم المستمع ، يجعلونها عادة في بداية كل مقطع من القصيدة . ومن هنا جاءت التسمية : "مطيلعات" .

نقول بالعربي الفصيح مثلا "مطلع القصيدة" أو "مطلع السنة الهجرية" . جاء أهل الملحون الاوائل الى لفظ "مطلع" فنطقوه بالتصغير وقالوا : "مطيلع" ، وبما أنهم سوف لا يقصدون به البيت الواحد ، بل أبيات قد تصل الى ثلاثة ... أو أربعة أو حتى خمسة جمعوه جمع التصغير فقالوا "مطيلعات" إشارة الى أن هذه الابيات لابد وأن تكون أصغر من أبيات القصيدة وأخف .

وأقدم أثر عثرنا فيه على "مطيلعات" هو للمصمودي ، ويرجع تاريخ المصمودي الى عهد الملك العلوي المولى اسماعيل ...

✯ قُولُوالْيَامْنَة تَهْلِيلْ الْعَثْمَانِي ✯ مِينَة يَامِينَةْ مْعَكْ شرْعْ اللّهْ ✯

هذه هي لازمة أقدم قصيدة وجدنا فيها هذه "المطيلعات" ومطلعها :

✯ مِيـرْ الْغرَامْ خْرَقْ حشَايَا وَدْهَـانِي ✯ جرّْ عنِّي كِيسَانْ مَنْ هَمُوْمْ بْـلاَهْ ✯

✯ حتَّى حرْارْ قُوْتِي وَالنُّومْ جْفَـانِـي ✯ يَـانَاسِي لاَمَنْ يْفِيدْنِي بْـدْوَاهْ ✯

✯ وَالْلِي هْوِيتْ مْحَالْ يكُونْ هْـوَانِي ✯ بدّلْنِي بَالْغِيرْ لاَ حْنِي مْـوُرَاهْ ✯

قصيدة المصمودي هاته ، هي على هذا الوزن من بدايتها الى نهايتها ... لكنها وإبتداء من المقطع الثاني تظهر فيها أبيات ... في غير هذا الوزن ... وفي غير هذه القافية أيضا .

✯ صِيفَطْتْ لّلْغزَالْ بْرَاتِي ✯ مَرْسُولِي مْشى نَهْرَاتُو ✯

✯ قْرَالْهَا حرُوفْ ابْيَاتِي ✯ قَبْضَتْ الْكْتَابْ رْمَـاتُو ✯

✯ قَالَتْ لُوبْصُومْ سنَاتِي ✯ بِيّ لاَ ضْغَرْفْ : حيَاتُو ✯

ويعد هذه الابيات الثلاثة ... يعود الى وزن القصيدة وقافيتها .

★ مَنْ ذَا النْهَارْ مَا يتْصَوَّرْ فَ مْكَانِي ★ وَلْلِّي لاَ عَنْدُو بْكِي أَنْتَاوِيَّاهْ . ★

..الى آخره

ولكي أوضح أكثر ... أقدم لك المقطع الثالث ب " مطيلعاته" لتكشف بنفسك الفرق بين " لمطيلعات" والوزن الاصلي في كل مقطع من القصيدة :

★ف : الْحِينْ قُلْتْ يَا مَرْسُولِي ★ تَرْكْ النْوَاحْ وَرْجَعْ لِيهَا ★

★شْكِي لْهَا .. وْكُنْ فْضُولِي ★ لاَ بُدْ حَاجْتِي تَقْضِيهَا ★

★ بَادَرْ لاَ تْكُونْ مْلُولِي ★ وَنَا بْشَارْتَكْ نَعْطِيهَا ★

★ وَلْلِّ لْعَنْدُو لْفِي بْكْتَابِي ثَانِي ★ نَقَّرْ بَابْ الدَّارْ صَابْهَا تَرْجَاهْ ★

★ بَالشَّوْقْ بَاكْيَا بَالدَّمْعْ الطُّوفَانِي ★ وَكْتَابِي مَحْلُولْ فِيدْهَا تَقْرَاهْ ★

★مَرْسُولْ مَالْكِي قَالَتْ هَذَا جَانِي ★ أَهْلاَ بَسْلاَمُو وْتَايْبَة لَلَّهْ ★

ربما أتينا بالنص الكامل لهذه القصيدة عند بحثنا ل : لشعر المراسلة في الملحون " المهم أن "لمطيلعات" ظهرت أول ما ظهرت في العصر الاسماعيلي ... ومن ذلك العهد وهي تتنوع وتتزين ، شأنها في ذلك شأن سائر أشكال فن القول في الملحون ، نبحث عنها عند سيدي عبد القادر العلمي ، فنجدها في الساقي مثلا ثلاثية .

يَامَنْ دْرَى نْتْلاَقَا بُونَجْلاَتْ غْسَاقَا

وَكْيُوسْ مْدَامِي يْذُوقْ

صَالْ بْطَبْعْ شْفَاقَا وَلْطَافَا وَلْبَاقَا

يَخْجَلْ مَنْ شُوفْ الرْمُوقْ

وَحْنَا زُوجْ رْفَاقَا وَالْخَمْرَ دْفَّاقَا

فَ : دْوَاخَلْ غُمْقْ الْغْمُوقْ

فِيكْ الشُّوفْ عْشَاقَا وَبُوصَالَكْ نَتْرَاقَا

رَافَا يَا شَمْسْ الشْرُوقْ

هذه هي "لمطيلعات" ولابد أن يفتتح بها كل مقطع ... ابتداء من المقطع الثاني من القصيدة ... وهي بطبيعة الحال ليست على وزن القصيدة ...والقصد أن لا تكون على وزن القصيدة ... إذ الغاية منها تكسير الرتابة باستمرار ... حتى لا يتسرب الملل لا للملقي ولا للمتلقي وتحل "لعروبيات" محل "لمطيلعات" في بعض الاوزان ، و "العروبيات" هي على هذه الشاكلة .

هَلْ يَامَنْ درَى هْمُــومْ قَلْبِي تَتْجْلَى   لَمَّا يَتْدَرْقُوا وْجَاعِي وِيــزُولُــوا

مَاتَبْقَى تَاكْبَة عْلَى قَلْبِــي دبْــلاَ   وَالْقَصْدْ اللِّي طْلَبْت نَضْفَرْ بُوصُولُوا

نَسْتَيْقَظْ لَلسْــرُورْ مَنْ نُومْ الْغَفْلَة   لاَ حَاسدْ لاَ رْقِيبْ نَخْشَى مَنْ قَــولُو

نَحْمَدْ رَبْ السْمَــا وَنَسْجُدْ لَلْقَبْلَة   وَنْقُولْ الْيُومْ عَادْ صَادَفْتْ قْبُــولُو

عَانَتْنِي قُوتُو وْصَارَخْنِي حَوْلُو

وبانتهاء "**لعروبي**" ب : "**الرَّدْمَا**" .. أي الشطر المفرد ... يعود الشاعر الى وزن القصيدة الاصلي :

مَا انْتَاشِي غَايَبْ نَرْجَــاكْ يَا الْجَلِــيلْ   وْلَا انْتَاشِي عَاجَزْ تَعْذَارْ يَا الْمَوْلَى

قْرِيبْ حَاضَرْ نَاضَرْ مَعْطَى حْسَانَكْ جْلِيلْ   تْقَدْ تَشْفِي مَنْ ذَاتْ الْعَبْدْ كُلْ عَلَّة

الْبْدَانْ ضْعِيــفَة وَالْحَمْلْ جَايَرْ ثْقِــيلْ   وَالْخْلاَيَقْ مَا تَعْذَرْ حَالْ مَنْ التَّبْلاَ

إلى آخر المقطع .

إلا أن "لعروبيات" ـ وقد استوردتها الحواضر من البوادي وبالضبط من نواحي الغرب ـ لم تستعمل فقط كمطيلعات خفيفة للتنويع داخل القصائد ، وإنما استعملت أيضا كأوزان لمقطوعات قد تطول الى أن تصل لمائة بيت ، وقد تقصر حتى لا تتعدى البيتين أو الثلاثة ...وهكذا أصبحت "لعروبيات" هي المجال الرائع لصياغة المعنى الجميل ، والتمثل البديع والخاطرة العجيبة ... ومع أن هذا الفصل لا يبحث المضامين ، وإنما يبحث الشكل ...

مع ذلك لا بد من تقديم نماذج من "لعروبيات" التي تتداول بين الناس وحدها وليس داخل قصائد ... اقرأوا معي مثلا هذه الخاطرة .

مَثَّلْتْ الْعُمْرْ فِي كَــلاَمِي لَلْكُبَّة   وَالْكُبَّة رَاهْ زَاوْطُوهَا مُورْ الْخِيطْ

أُورَاسْ الْخِيطْ خَرْجُوهْ مَنْ النُّكْبَة   السَّدَّايَا نَاوْيَا فَ : الْغَزْلْ يْشِيطْ

مَا فَطْنَاتْ إِمْتَى وْصَلْهَا رَاسْ الْخِيطْ

هذا هو "لعروبي" ينتهي بانتهاء الفكرة ، أو الخاطرة ... أو الانفعال المفاجئ ، أو الحالة الشعورية الطارئة . لا يجزأ الى مقاطع لا يحتاج الى لازمة ... ليس عليه أن ياتي بعدد معين من الابيات .

تَمْلِي تَمْلِي بْصِيرْتِي قَلْبِي يَنْسَخْ　　　مَا فِي عَلْمْ الْغِيُوبْ طُولْ الدَّاجْ نْسِيخْ
وَالْفَكْرْ قْرَاوْمَا قْرَاهْ بْدَا يَرْسَــخْ　　　عَلْمْ الْبَشَّارْ فِي عْمَاقِي عَلْمْ رْسِيــخْ
مَنْ طَلْ عْلِيهْ لاَزَمْ يَنْفَسَخْ وِيسِيخْ

ليس في جيلي من لم يستمع الى هذا الوزن وهو في المهد ، أو على ظهر أمه ، أو في أحضانها .

رَارِي رَارِي .. يَاسَكَّاتْ الدْرَارِي　　　سَكَّتْ لِي اوْلِيدِي ... يَا نَعْمْ الْبَارِي
النُّوضْ انْشُوفْ لاَشْ مَحْتَاجَة دَارِي

كان يستعمل هذا الوزن في كل نواحي الغرب ولا يزال ، في توديع العروسة وهي تغادر خيام أهلها متجهة إلى خيام زوجها ... وتتخلله كلمة "ويو" وحرف "نا" يتكرر وفق نغمات ايقاعية متفق عليها .

وَاخَيْمَتْ بُوكْ الْغَادْيَا خَيْمَتْ بُوكَا　　　وَاصَدْيِّتِي خْلاَصْ وَاشْ جْرَاوْ عْلِيكْ

على كل حال استعمل هذا الوزن لهذا الغرض ... كما استعمل للامداح النبوية ، ومناقب الهادي بنعيسى ...ومن أراد أن يستمع الى شيء منه في عصرنا الحاضر ، فليذهب في المولد النبوي الى "مكناس" ويقصد ضريح سيدي بنعيسى ، ويبحث عن حلقات "غرباوا" في فناء الضريح ...وسوف يستمع الى إبداعات في هذا الوزن ، وكيف تلقيها أصوات شجية من الجنسين تخنقها العبرات ... وتتلاحق فيها الشهقات .

هذا وإن "لعروبيات" في بعض جوانبها ، لمن أصدق المراجع وأوثق المواثيق في مجال التاريخ لشعراء الملحون ،والتعرف على بيئة كل واحد منهم ، وظروف حياته ، وكل ما يتصل به من قريب أو من بعيد .

ذلك لا نهم اختارو أن يتراسلوا فيما بينهم ، ويسالوا عن أحوال بعضهم ، بهذه العروبيات ، وليس بالقصائد أو السرابات ، بل أن بعضهم جعل من "لعروبيات" ... شبه مذكرات ، يسجل فيها الاحداث والوقائع سواء منها التي عاشها هو ... أو التي عاشها غيره ، وشاهدها أو حدثوه عنها .

خلاصة القول أن سجل "العروبيات" يبق هو السجل الحافل بأعرب المفاجآت ، وأروع المعاني والتمثلات ، وامتع الطرائف ... والمستملحات ... والدعابات ... ويحتاج وحده الى أكثر من كتاب لتوثيقه كما ينبغي .. التوثيق بل أن منظومة واحدة من منظوماته المطولة كأبجدية بوخريص ، أو نورانية مريفق تحتاج الى كتاب :

أَلِيفْ الاَسَمْ الاعْظَمْ نَايَرْ لَالاَءْ　　　بِهْ اسْتَفْتَحْتْ قَرْبْ اَمَنْ هُوَ نَائِي

لاتَتْنَأْ عَلَلْ الْخِيرْ وَلَلْخِيرْ امْرَانِي

بَالَكْ تَبْقَى فْرِيدْ بِينْ النَّاسْ غْرِيــبْ   اتْغَرَّبْ يَالْخُو الْغُرْبَا لَغْرِيبَـــــا

وَنْتَامَا بِينْهُمْ لَمْوَنَّسْ لَحْبِيـــــبْ   حَاضَرْ وَنْتَ فْ عَزْ حَالاَتْ الْغِيبَا

هَبْ نْسِيمْ الصّبَاحْ بَرْاوِيَحْ طِيبَا

وهكذا تمضي أبجدية بوخريص من حيث الشكل : حرف الالف ببيت واحد وديل حرف الباء ببيتين وديل ... حرف التاء بثلاثة أبيات وديل ، وهكذا يمضي الرقم في التصاعد ... الى أن يصل في حرف الياء الى أزيد من ثلاث مائة بيت ... أما مضامين المنظومة فهي لا تكاد تغفل عن أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا ، ولكن بشاعرية رفيعة جدا جدا ...

لكم يعجبني عندما يوظف الامثال العامية في هذه المنظومة الجميلة :

النَّفْسْ الْخَامْدَا اشْ كَاتَعْمَلْ بِهَا ؟   الْيَدْ الْبَارْدَا عْلَى الزَّنْدْ كْوِيهَا

☆✪☆

لاَ تَحْفَرْشِي لْخُوكْ حَفْرَا فِي جِيهَا   أَنَا خُوفِي عْلِيكْ لاَ تُوقَعْ فِيهَا

أما .. السارحا .. هي باختصار : الخاتمة التي توضع لا بداعات ... "مكسور جناح" و "السوسي" والتي لابد وأن تكون من أوزان "الملحون العمودي" : "لبيت" .

ذلك لان إبداعات "مكسور جناح" وإبداعات "السوسي" - كما سبق وأن رأينا - تبتعد في شكلها عن "الملحون العمودي" ولكنها في النهاية لا بد وأن تعود إليه بأبيات مطولة تسرح ، وتسرح حتى لا تكاد تنتهي .

وأجتزئ المقطع الاخير من "طير بنسليمان وهو من " مكسور جناح" والسارحة التي تصل القصيدة بأوزان الشعر العمودي ، وما اخترت قصيدة "الطير" بالذات الا لان .. "السارحا" التي تأتي في آخره هي أقصر سارحة من بين سائر "سوارح" "مكسور جناح" حسب ما بلغ علمي .

المقطع الاخير من طير بنسليمان

مَنْ لاَ يكُونْ فَارَسْ مَا يَدْخَلْ لَلزْحَامْ

قُولُوا لْمَنْ دْعَا بَالْعَلَمْ الْمَوْهُـــوبْ

يَعْتَبَرْ ... وِيَقصرْ.. وِيتُوبْ

جَايْحَارَبْ مَا طَاقْ حــرُوبْ

رَاحْ مَغْلُـوبْ

رْضَا لْهْرُوبْ

وَنْظَفَى مَصْبَاحُو

السّفِيهْ الْوَغْدْ الْمَفْضُوحْ

الى هنا وتنتهي الوحدة العروضية التي قام عليها المقطع ... لتبدأ السارحة وهي في أحد أوزان "لرما المثنية"

كُلْ حَرْبْ عْقِيدْ الْعَلْفَا دْرَاوْنِي صَبَّـــــاحُو   فَ : الْوْغَا رَاكْبْ شَلْوْ جَمْــوحْ

كُلْ مَنْ شَالاَ وِيحُوهَانْ بَالْعْمَرْ وَسْلاَحــــــــُو   كَانْ عَاشْ نْتَرْكُو مَشْبُــــــوحْ

بَالشّْجَاعَا يَشْهَدْ لِي كُلْ مَنْ فْخَرْ بَ .. سْلاَحُو   فَ : الْعْرَبْ ، وَسْوْدَانْ وَشْلُوحْ

الْطَالَبْ طِيرْ عَلاَّ مْعَا الاطْيَارْ وْرَاحــــــُو   فِيدْنِي وَاشْ الْيُومْ يْــــــرُوحْ

ذلك هو شكل السارحة ... وهذا هو مكانها ، تختم بها عادة ... ابداعات "مكسور جناح" و "السوسي" وهكذا يمكن القول : أن "السارحة" صلة من الصلات الثلاث ، التي توصل "مكسور جناح" و "السوسي" بالمدرسة الام ... مدرسة الملحون العمودي كما تركها بنحسين وجماعته "الرواح ، اللازمة" وأخيرا، "السرحا" ، سنرى في فصل الاغراض أن ... سيدي عبد القادر سوف يكسر هذه القاعدة ، ويطلع على الناس بإبداعات "مكسور جناح" من دون سارحة ، بل وسيأتي بعده بنسليمان بإبداعات من "مكسور جناح" . ليس فيها ... لا "رواح" ولا "لازمة" ولا "سارحة" ولكن الشعراء الذين جاءوا بعدهما وصفوا إبداعات الاول ب : "المقروطة وإبداعات الثاني ب .. الصياديا .. وعملا بالمثل الشعبي القائل :"اجديد يلو جدا ، والبالي لا تفرط فيه ، تركوا مدرسة بنحسين حاضرة باستمرار ، لا في مدرسة ولد بوعمر "مكسور جناح" ولا في مدرسة "متيرد" " السوسي" أي تعاملوا معها حتى الآن من داخل "لرمات"و "القياسات" ولعل آخر اصطلاح يهمنا أمره هو : "اقياس مشرقي" وهو "القياس الثاني من "لرما المثنية" وشكله هكذا .

هَبّْت رْيَاحْ الْغِيثْ عْلَى غْصَانْ الانْوَاحْ   سَرْهَا يَسْرِي سَرْى الرَّاحْ فَالْجْوَارَحْ

سبق القول : أن هذا الوزن من أحد أوزان الشعر الشعبي المحلي في المغرب الشرقي . لا أعرف على وجه التحديد متى استقام نظم الملحون في هذا الوزن ، كل ما أعرفه هو أن المصمودي كتب فيه أكثر من قصيدة وكذلك المغراوي ، وكلاهما عاصر السلطان العلوي الحازم ، مولاي اسماعيل الذي كان يعاصره الى جانبهما ، بل ويلازمه في الحل والترحال الشاعر الفحل ... بوعثمان .. ، وهو الذي كتب في مديح مولاي اسماعيل ، مالا يقل عن الف بيت من الشعر ، كلها على هذا الوزن الذي تبنته مدرسة الملحون ، كما تبنته مدارس أخرى سوف يأتي معنا ذكرها أو ذكر بعضها على الاقل ... إنما قبل ذلك لا بد

من تسجيل بعض النماذج من شعر هذا الوزن ... الذي جاء منه "قياس مشرقي" وسوف نختار النماذج من شعر رائد المدرسة ... أبو سعيد بوعثمان"

يقول عن نفسه :

أنَا نَا بَغْتْ الزْمَانْ ف جِـــــيلِي فَدْ   بُوعَثْمَانْ مْغَصْ لَلْجَاحَدْ فَ : الرِيْــقَ
حَامَلْ رَايَتْ هَل الشَّعْرْ أَرْبَابْ الْمَجْدْ   لَلدُرْ الَى غَصْتْ مَالِي حَدْ رْفِيــــــقْ
شَاعَرْ عَصْرِي حَقْ لَكِن خَانْ السَّعْـدْ   وَالَّلي خَانُو السَّعْدْ عَاجَزْ وَاشْ يْطِيقْ

يقول في مديح السلطان مولاي اسماعيل :

مُولاَيْ اسْمَاعِيلْ الاسْمَاسِيفْ النَّصْرْ   مَنْ بِهْ رْحَا الْحَرْبْ فَ : الْمِيدَانْ تْدُورْ
غِيثًا لَلْمَلْهُوفْ يَــــــا كَنْزْ الْمَـدْطَرْ   يَا جَابَرْ مَنْ شَافَتْ ارْمَاقُو مَكْسُــورْ
انْتَى السَّفْرَ الْجَامَعَا الْحَكْمَا كَالدَّهْـرْ   فِيكْ عْلُومْ وَبْكُلْ مَحْمُودًا مَذْكُـــــورْ
سِينَكْ سَرْ ، وَمِيمَكْ امَانْ مَنْ الْمَكْـرْ   وْعِينَيكْ عَفْوْ وْلاَمَكْ الْيَانَا وَسَــــرُورْ

ويقول في أخرى عن مولاي اسماعيل أيضا :

يَا عَنْتَرْهَا حِـــــينْ تَتْهَيَّا لَلْحَـــزْمْ   يَا حَاتَمْهَا فِي غَلاَوْتْ سَعْرْ السُّـوم
يَاحَجْرَا سَعْدْ جَادَبْ الطَّايَفْ لَلَّثْم   يَا بَدْرْ زْهَرْلاَحْ مَنْ قَبْلاَ مَتَمُّـــــومْ
يَاسِيــفْ يَمَانِي يْشُقْ صْلاَدْ الصَّمْ   يَارَمْحْ ارْدِينِي عَنْ اعْدَاتَكْ مَشْؤُومْ
يَا قَسْوَرْ فِي زَهْرْتُو لَلسَّمْعْ اهْــزَمْ   يَا زَهْلُولْ رْقَطْ الَى يَنْحَازْ غَشُّـــومْ

ويقول في أخرى عن السلطان مولاي اسماعيل كذلك .

انْتَ الدُّرَا الوَاسْطَة فِي عَقْدْ الْمَهْوْ   نُورَكْ فِي جِيدْ الزْمَانْ الشُّهْبْ شْعِيلْ
يَلْقَى سِيَّتْ مَنْ خَطَا عَفْوَكْ بَالْمَحْوْ   يَصْفَحْ حَلْمَكْ عَنْ كْبَا يَرْغَى الْقِيـــلْ
سِيفَكْ يَهْلَكْ مَنْ تْعَدْ الْوَلاَ الْعَفْــوْ   يَسْبَقْ بَطْشَكْ وِينْ مَالْ مْعَاهْ يْمِيـــلْ

حَتّى صَارْ الذّنْبْ عَنْدْ حَسَانَكْ حَــلْوْ مَايَخْشَى مَكْرَكْ مَنْ الْجِيرَانْ نْزِيــــلْ

انْتَ مَثْوَا الصَفْحْ فـَ : الدنْيَا وَالْعَفـوْ مَا تَحْرَمْ مَنْ فِيضَكْ الْقَاضِي كَالنِّيـلْ

وَالنَّاكَرْ عَلِي يْسَالْ اصْحَابْ النّحْـوْ يَعْرَفْ جمّانْ الْمَعَانِي بَالتّفْصِيــــلْ

لاَ عَدْمَتْ شَخْصَكْ مَرَاتَبْ دَارْ الزّهْوْ وْلاَ فَقْدَاتَكْ عِينْ فَنْهَارْ وْفَ اللِّيــــلْ

وأخرى ... وأخرى ... وأخرى انما المطولات السبع ، وكما تركها بوعشمان غرر الشعر الشعبي في كل زمان ومكان .

نعم لشاعرنا الممتاز أبو سعيد بوعشمان قصائد كثيرة ومتنوعة إنما كلها على هذا الوزن ... ألذي تحول الى أيقاعات حضارية ملحونة وسمي لمشركي ...

هَاجْ فَكْرِي وَالسَّاكَنْ هَاجْ يَا الْحُجَّاجْ لاَ تْصَدُّوا حَتَّى تَدِّيــوْنِي مْعَــاكُمْ

وهذا الوزن لم يتسرب الى الملحون وحده ، بل نجده في نواحي كثيرة من أرض المملكة : في ناحية صفرو : "المنزل" "لبهاليل" ويسمى "غيوان بن يازغا"

كَانْخَمّْ وَلْكِيْت الرَّاسْ كَاعْ خَــاوِي كَانْمُوتْ وْسَلْطَانْ الزِّينْ كَايــدَاوِي

☆✪☆

كَانْخَمّْ وَلْكِيتْ الرَّاسْ فِيهْ لَفْـوَاتْ شحَالْ مَنْ كِيًا فِيًا دِي عيُونْ لَبْنَاتْ

☆✪☆

نجده في طرب الآلة :

يَالْوَالَعْ بَالزِّينْ الَى سْخِيتْ بِــــيْ غِيرْ صبَّرْ قَلْبَكْ دبَا يفَرَّجْ الَّلـــهْ

بل نجد هذا الوزن الذي يسمى "لشرقي" حتى في الاغنية الشعبية المعاصرة .

الْحَبِــــيبْ الَّلي وَالَفْتُو مْشَا عْلِيْ مَانْوِيتُو بَعْدْ الْعَشْرَا يْكُوْن غَـدارْ

والاغنية لمحمد فويتح .

وأنا إذ أقول بقول شيوخي الكرام في انتساب هذا الوزن الى المغرب الشرقي لا أطرح رأيي ، ولا أريد أن أناقش على الاقل في هذا الكتاب .. والا .. فبإمكاني أن أثبت بما لا يقبل الشك : أن هذا الوزن يعود تاريخه الى قيام الدولة المرابطية ، وأن أهل مراكش ، وأهل فاس وأهل تازة كتبوا الجزل المغربي الجيد في هذا الوزن عند قيام الدولة الموحدية ، وفي عهد عبد المومن بن

علي بالذات ، ثم أن التعامل مع الاوزان المغربية ، سواء في الملحون ، أو في غير الملحون ، لا ينبغي أن يبدأ إلا بعد عملية مسح شاملة لكل النغمات الايقاعية التركيبية التي تنبني عليها الالفاظ بلهجة هذه الناحية أو تلك ، لتشكل هذا السلم من الايقاع أو ذاك .

أعطي ألف قصيدة لمن يستطيع أن يجيب على هذا السؤال : هل الجيلالي امتيرد هو الذي فتنه وزن قبيلة "ابني احسن" الذي يتغنى به على ايقاعات "المقس" و "البندير" أو هي "الطارا" .

الصَّلاَتُ عْلَى النَّبِي وْنَافِي قَلْبِي حْلاَتْ وَامَنْ لاَيَبْغِيكْ يَالْهَادِي مُولاَكْ

ايشَتّْتُو شْتَاتْ

☆✪✯

اشفر اللِّي عْلِيهْ سمَّاوْ النَّاسْ زْمَانْ بُوشفَرْ اشْفَرْ اللِّي شْحَالْ مَنْ وَاحَدْ شدّْ عْلِيه بَالْغدَرْ

اشفر اللِّي شْحَالْ يَقْتَلْ وَشْحَالْ يقَصْفْ الْعمَرْ مَا نَا مَنْ فِيهْ مَا نْحَادِيهْ مَنْ صغْرِي التَّ لّْكْبَرْ

☆✪✯

بين الصدر والعجز ترديد جماعي "وَاكَّالْ الدِّيْ يَاوَدِي"

قلت : هل "متيرد" هو الذي أعجبه هذا الوزن من "ابني احسن" فاختاره لقصيدة "الطير"

طِيرْ امْشَالِي وَلاَعَرْفَتُوفِينْ مْشَا سَابَغْ الاشْفَارْ

تَجْمَعْنِي بِهْ يَا الْمُولَى طَالَتْ بَالشُّوقْ غِيبتُو

كما أن عند ابن حسن ترديد جماعي هو "وكال الدي ياولدي "بين الصدر والعجز ... كذلك عند أمتيرد جملة اعتراضية هي "فدفد بجوانحو وطار" وأعيد السؤال هل "متيرد" هو الذي اختار وزن "ابن حسن" لقصيدة الطير أم أن "ابن حسن" هم الذين اختاروا وزن "الطير" لشعرهم الشعبي المحلي ؟ كل ما أعرف هو أن "بن حسن" وأهل الملحون لا يزالون يبدعون في هذا الوزن الى يوم الناس هذا ، بل أن أهل الملحون نوعوا فيه و لونوا .

أنَا الْمَشرِي بْلاَ مْزَايدْ وَاللاَّيَمْ فَالْمْلاَمْ زَادْ : "زَايدًا " للتهامي لمدغري

سلْتَكْ بَبْهَاكْ يَالرَّايَحْ .. مَالَكْ سكْرَانْ دُونْ رَاحْ :"قارحا" لنفس الشاعر

أَسَادتِي اوْلادْ طَهَ بَرْضَاكُمْ عَالْجُوا الْحَالْ:"الاشراف" للحاج إدريس بنعلي

دَابَا يَعْفُو الْلَّهْ عَنِّي وَنْعُودْ مْلاَزَمْ الْفَجَرْ : "الخمس أوقات" ل : أحمد الراس بل أن جدور الوزن الذي أقام عليه الجيلالي امتيرد الحراز ..والذي يستعمله حتى الان من أراد أن يكتب في موضوع الحراز ... هو من "العيطة الحوزية" ولا أقول : المرساوية ،أو الحصباوية ، وإنما الحوزية لقد استمعت الى "الشيخة بريكا" سنة 1942 تغني "طالق المسروح" للتهامي لمدغري ، وهي من السوسي ، أي من النثر الفني في الملحون - ولكن بطريقة العيطة ، لا على طريقة الملحون ، وبعد ذلك بسنة . أو هي سنة ونصف ... استمعت الى الشيخة العرجونية تغني "الهَادِي يَا الْهَادِي" بطريقة العيطة ، وهي أيضا ملحونة -وعلى وزن طالق المسروح فابدعت كما لم تبدع الشيخة بريكا .. مع حنكتها وتجربتها وتمكنها من العزف على الكمان ، كذلك قال "حماد النشار" وهو أستاذ "المرشال" في العزف على الكمان ، ولماذا الرجوع الى الوراء وبيننا المهدي بلعباس يغني سائر إبداعات النثر الفني على أنغام وإيقاعات العيطة الحوزية الى يومنا هذا ، وإذا مات - متعه الله بالصحة والعافية وطول العمر - مات آخر أمل في إعادة ربط الصلة بين الملحون والعيطة كما كانت من قبل .

يكفي هذا القدر من الايضاح فيما يتعلق بالشكل في فنون القول الملحون ، وننتقل الآن الى المضمون .

الفصل الثاني

اغراض الملحون

* أغراض الملحون *

اغراض الملحون عشرة:

التوسلات الالاهية ، والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية "الربيعيات" ، العشاقي ، الساقي ، الترجمة - لعراض ، الهجاء - الرثاء . وتتفرع عن هذه الاغراض ، أو عن بعضها على الاقل - موضوعات وموضوعات ، ربما ضاعفت هذا العدد ، مثلا نجد في التسولات الالاهية موضوعات أخرى مثل "الحيرة" و "الغربة المعنوية" و "لغزالموت" وفي الامداح النبوية نجد "الشعر الملحمي" الطويل النفس "بدر" ، "حنين" ، الخندق .. أما الوصايا .. فكلها مفاجآت .. أما الربيعيات .. فهي شعر الطبيعة في الملحون ، وفيه كل ما في الطبيعة المغربية من بدائع الحسن ، و روائع الجمال .

وتبقى كل هذه الاغراض ، وما تنبني عنها من موضوعات قديمة جدا جدا بالنظر الى ما آل إليه أمرها في الملحون المعاصر ، وقد اتجهت اتجاهات أخرى بل وظهرت أغراض وموضوعات لا عهد لنا بها في الملحون القديم .

فمن قصيدة "لملاكة" وقد كتبها الفاسي المراكشي الحاج الحسن بنشقرون سنة 1936 ، الى قصيدة "اليتيم" وهي التي كتبها "المراكشي السلاوي عبد المجيد وهبي" سنة 1976 .

في هذه العقود الاربعة ، ظهرت أغراض وموضوعات ، تضاعف الاغراض والموضوعات القديمة أضعافا مضاعفة .

فعرشيات مولانا محمد الخامس التي افتتحها الحاج الحسن بنشقرون بقصيدة "لملاكا" ، وصلت في عيد العرش الفضي 1952 الى أزيد من أربع مائة قصيدة ، استنسخها جميعها "عبد الواحد العصفوري" وكان يقرأ منها - في حضرة شيخنا رحمه الله - بعض القصائد من حين لآخر .

أما منفى مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، فحدث عما كتب فيه من ملحون نضالي ولاحرج ، وحسبي أن أسجل هنا أن القصر الملكي بالرباط ، قد تحول في أيام المنفى إلى أطلال :

"يَبْكِي فِيه الجُّامُورْ والتّْفَافَحْ" على حد تعبير العيساوي الفلوس

"كَايَبْكِيوْا اشْجَارْ ومْعَ اطْيَارُو، وَازْهَارْ وَلاَ عْبِيرْ فِيهَا .. كما قال سيدي علال العلوي .

على كل حال كان الشعراء أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عواصم الملحون من تافيلالت ، من مكناس ، من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون ضيوفا كراما ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة - سيدي المامون ، بنزايرا ، بوشعرة ، معنينو وغيرهم - على أن يصحبوهم في زيارة ل : "تواركة ..قصد .. البكاء على الاطلال :

"يَبْكِي فِيه الجُّامُورْ والتّْفَافَحْ" على حد تعبير العيساوي الفلوس

"كَايَبْكِيوْا اشْجَارْ ومْعَ اطْيَارُو، وَازْهَارْ وَلاَ عْبِيرْ فِيهَا .. كما قال سيدي علال العلوي .

على كل حال كان الشعراء أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عواصم الملحون من تافيلالت ، من مكناس

من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون ضيوفا كراما ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة - سيدي المامون ، بنزايرا ، بوشعرة ، معنينو وغيرهم - على أن يصحبوهم في زيارة ل : "تواركة ..قصد .. البكاء على الاطلال

جِيتَكْ يَا قَصَرْ الْمَاجْدِينْ صَبْتَكْ خَالِي مَقْفُورْ
سكَّانَكْ جَابُونِي نْزُورْهُمْ لَلَّهْ وَايْنْ سَـــارُو ؟
وَاعْطِينِي الاخْبَارْ

ويضل يتساءل في شجن ، تماما كما تساءل امرؤ القيس من قبل إلا أن الاطلال غير الاطلال ، والقصد غير القصد والخطب فضيع والامر جلل .

وفي هذه الفترة بالذات .. ظهرت قصائد أخرى في زعماء الحركة الوطنية من أمثال بلحسن الوزاني ، وعلال الفاسي ، وعبد الخالق الطريس .. بل وظهرت قصائد أخرى شبه أسطورية في وصف بطولات أبطال الفداء ، من أمثال : الزرقطوني ، والفطواكي ، والحنصالي وغيرهم وغيرهم من رجال المقاومة .

صحيح أن بنعلي ولد آرزين عبر عن تضامن المغاربة مع العرب والمسلمين في حملات "نابليون" على مصر : "مَا شَاءْ اللّٰهْ عْلِيكْ يَا مَصَرْ" وصحيح أن من لا نعرف من هو - لان القصيدة فيها بتر لا تخلو منه نسخة من نسخها - كتب في نهب العلوم والمعارف العربية من مدينة الاسكندرية : "نَهْبُو دْخَايَرْ الضَّاضْ".

ولكن ما كتب خلال هذه العقود الاربعة ، يفوق الحصر .

فقصائد "فلسطين" جمع منها الحسن اليعقوبي رحمه الله مائة قصيدة وقصيدة ، وقال معلقا " إنها بعدد حبات السبحة .

وقصائد الزعيم التونسي لحبيب بورقيبة : هَرْبْ لِيهُمْ مَنْ سُوسَا" العربي لبرادعي ، مكناس .

"خَادُوهْ الْمَاكْرِينْ " مولاي قدور البلغيثي فاس

" لَعْقَابْ حَطْ عْلَ لَحْمَامْ" العربي معنينو سلا

وقصائد جميلة بوحيرد - وقصائد "قراص الفضا"

استسمح ، فلقد ابتعدت بعض الشيء عن الموضوع ، وعذري هو أن قصائد هذه العقود الاربعة هي السجل الحافل بكل إنجازات الوطنية الصادقة الحقة ، التي واكبها رجل الملحون ليس بمعايشتها فقط ، ولكن بتحليلها أيضا .

وهي الديوان الذي يعبر بصدق عن تضامن الانسان المغربي - العربي -المسلم ... مع الاخوة في العروبة - والاخوة في الدين فانا لم أذكر مثلا قصائد الدعوة الى العلم ، بما فيه التقنية .

اقْرَأوْا الْعِلْمْ صْغَـــــــارْ بِهْ تْدَرْكُوا لَمْزِيْـــــــا
الرَّادِيْـــــــــو مُولَاهْ صَانْعُو بَالْعَلْمْ للّْخْبَـــــــارْ
زِدْ جْتَهَدْ وَقْـــــــــرَا

ولم أشر الى قصائد أيام الحرب "البون مثلا".

نَاسْ السَّرْبِيس يَاهْلِي صبَّارَا مَا تْخَافْ مَنْ دُوَّارَا بنعمر " مراكش

ولا قصائد "طيفوا الضو"

غْلَقْ الابْــــوَابْ وَالشْـــــرَاجْمْ لاَ تَتْرَكْ ضَوُكْ يَظْهَرْ
لاَ تَمْطَرْ عَنَّكْ الْكـــــوْرْ

لم أنتبه الى ما آل إليه امر المرأة عند الشاعر المعاصر .ذلك لان شاعر الملحون القديم كان يتعامل مع " نؤوم الضحى" لكن شاعر الملحون اليوم يتعامل مع التي تزاحمه في حافلات النقل الحضري صباح مساء ، لانها كادحة مثله وتناضل الى جانبه من أجل الغد الافضل ... والتوسلات ، والامداح ، وشعر الطبيعة ، كل ذلك وغيره قد تحول ، ولكن الى أحسن ، الى أروع ، بل الى حيث لا يبقى أي مجال للمفاضلة . لذلك لم أدرج الموضوعات الحديثة ضمن الاغراض القديمة ، حتى لا يقع الخلط وحتى نستطيع أن نتعرف على ما كان في الماضي لنرى على ضوئه ما جد في الحاضر .

ف "حسنيات الملحون المعاصر" وحدها تحتاج الى أكثر من كتاب وكذلك "أدب المسيرة" والمؤتمرات ، افريقية كانت أم عربية أم إسلامية .

على كل حال ، كل ما جد في "فنون القول الملحون"، سواء في الشكل أو في المضمون، سنتناوله إن شاء الله في الجزء الثاني من الكتاب بالطرح الذي يلائمه ويناسبه . أما الآن،فإلى الاغراض العشرة .. وكما تركها القدماء .

"التوسل" ويجمعونه على : "توســـــــلات"

إنه غرض من أغراض الملحون يشمل قصائد الندم والتوبة ، وقصائد التضرع والاستغفار ، وقصائد التسبيح والحمد ، وقصائد الشكر والامتنان .

وكم في هذه القصائد من مناجات روحية عالية جعلها الصدق غضة باستمرار ، وكم من ابتهالات قلبية رفيعة تركها الشوق طرية الى الآن ، وكم من بوارق ولوامع وسوانح وإشراقات ، وكم من سياحات تخترق الحدود ، وتحليقات تعلو فوق الوجود ، فيتلاشى الزمكان ويفنى الشاعر الولهان ، ولا يبقى إلا الملك الديان .

هذا هو : "التوسل" الغرض الاقرب الى الارواح والقلوب ، من بين سائر أغراض هذا الفن المحبوب .. بل انه رياض الارواح والقلوب ، فيه تمرح وبه تنتشي .

وليس من بين فحول شعراء الملحون ، من لم يكتب في هذا الغرض ولو قصيدة واحدة على الاقل ... وحتى أولئك الذين لم يكتبوا في هذا الغرض قصيدة كاملة - وهم قلة نادرة - نجدهم يخصصون له أبيات في جل قصائدهم .

ف : "التهامي لمدغيري" مثلا لا نعرف له أي توسل ... ولكن قصائده العاطفية وقصائده في وصف الربيع لا تخلو من أبيات في "المناجات" يقول في بعض أبيات "زهراء" .

يْجُودْ وِيصفْحْ عَنْ ذَنْبِــي وَوْزَارُو   السّتَّـــــــارْ يْجــُـودْ وِيسْتَرْ

مَا كِيفْ سْتَرْتُو لْعَبْدُ وَسْتَرْا

ويقول في بعض أبيات "الربيعية"

وَاجْبْ انْحَمْدُ وَنْشكُرْ وتْبَارْكْ اللَّهْ   عْلَى النْعَايَمْ لْكْثِيرَا رَبّْنَا عْطَاهَا

وفي بعض أبيات قصيدة "الجفن"

مَاْ نَعْلم مَابِيْ إلاَّ الْكْرِيمْ وَحْـــدُو   عَالْمْ عْلَى حَالِي لَنُّو خْبِيرْ وَاحَدْ

أما الذين كتبوا قصائد كاملة في هذا الغرض ، منهم : "ولد بوعمر"

أهْلَ الْبْهَاحْمَاقُو رَدْ الْـــــولْهَا   مَنْ شْعَا مَنْ شَعْشُوعْ الكَامْلْ الْبْهَا

ومنهم "الحمري"

زَخْرَفْ رَوْضْ جْنَـــــــانِي   وَشْمَسْ جْنَانْ فِيهْ اللّي فِي قَلْبِي الآنْ

ومنهم بنسليمان ، وسوف ندرج قصيدته : نَبْكِي عْلَى ذْنُوبِي وَصْلاَتْ اوْقَاتِي ، ومنهم "لكراري" النطق بالترقيق .

يـــــارَافِعْ السمَـــوَاتْ عْلِيَّ نُبْ   لاَ تْحَافِيـــنِي بَذْنُوبِي امْحِي اوزَارِي

ومنهم بنعلي المسفيوي ، وقصائده في "المناجات" كثيرة ، أذكر منها على سبيل المثال :

لاَإِلاَهَ إِلَّا اللهْ دْخِيرْتْ الاسْـــلاَمْ   لاَإِلاَهَ إِلاَّ اللَّـــهْ كَلْمَـــا مَشَـــرْفَـــا

ومنهم ومنهم ... إلا أن خير من أعطى العطاء الغزير في المتقدمين "سيدي عبد القادر العلمي" وفي المتأخرين شيخي الجليل سيدي ادريس العلمي .

وسوف أرجيء التعامل مع شيخي الى الجزء الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله أما سيدي عبد القادر العلمي فسافتتح هذا الغرض ببعض قصائده سبق القول أن سيدي عبد القادر عاصر الملك العلوي الورع مولاي سليمان :

كتب في هذا الغرض :

"يَا مَنْ ابْلاَنِي عَافِينِي " "يَا كْرِيمْ الكُرَمَا غِيثْنَا بْفَرَجْ " "يَالشَافِي بَحْكَمْتَكْ حَالْ كُلْ مَضْرُورْ" .

"مَنْ صَرْخَتُو لَحْمَاكْ قْرِيبَة" وهذه هي القصيدة التي سنبدأ بها قصائد هذا الغرض :

" الصرخا " لسيدي عبد القادر.

ولعل من نافلة القول أن أقول : أن ليس في الملحون القديم كلمة لا تقوم على جدر عربي ... اللهم إلا النادر جدا جدا ، والنادر لاحكم ... من هذا النادر مثلا :

"لبرا" أي "الرسالة" فهي من "تمازيغت" وأصلها "تابرات" وهي عند المصمودي .

صيفطت للغزال براتي " أو " فالطا" أي " خطا" وهي اسبانية يقول ح فضول في "المحبوب"

"نَاسْ اللْ يَرْضَاوْا "فَالْطَا" ، أما ماعدا هذا النادر ، فكل ألفاظ الملحون من أصل عربي ، وعنوان هذه القصيدة "الصرخا"

و"الصرخا" من الاستصراخ أي طلب الاغاثة السريعة ، وفي القرآن الكريم :

"فاستَصْرَخَهُ الذِي مِنْ شِيعَتِه ... الآية "أي استغاث به .

"عَشْقْ الْجْمَالْ طَبْعْ غْرِيزْفْ مَنْ هُو لْبِيبْ

عشق الجمال ... طبع غريز أي خلق متجدر في : "مَنْ هُو لْبِيبْ" أي ذارقة وشفافية ، وهو هنا لا يخصص وإنما يعمم " عَشْقْ الْجْمَالْ" جمال الطبيعة ، جمال الكائنات" جمال الاخلاق ، جمال الخير ... جمال الحق .

عَشْقْ الْجْمَالْ طَبْعْ غْرِيزْفْ : مَنْ هُو لْبِيبْ

وِيحَسْ بِه وَسْطْ قْلِيبـــــو (ديما معاه نعت احبيبه)

كَالْمِسكْ الدكِي فِي جِيبــــــــو

وَمْوَالْفَا النَّفْس بْطِيبــــــــو

وَالْوجدْ رِيـــح غَـــــــلاَّبْ

مَتْـــــرُوكْ فـــيهْ لَعْتَـــابْ

مُولْ الشرَابْ يعُذَارَفْ حَالْ الْغِيبَةَ دَايَعْ بِهْ هوَاهْ

مَا يمَيَّزْ دَاهْ مَنَ ادوَاهْ

الانبهار ، الانجداب ، التواجد ، الشكر ... على كل حال نقد القصيدة بهذه الكيفية ، ربما اتلف معالمها ... وعليه ...فسنعمل بقول القائل "إذا ظهرت المعنى فلا فائدة في التكرار .. فلقد قرر في البداية أن عشق الجمال من الطباع التي لا يتصف بها إلا أصحاب الرقة ، والرهافة ، والشفافية ... والحب عنده نتيجة العشق ... فإنك تحب ما تعشق ... ومن تم فقد انتقل من العشق الى الحب .

الْحُبْ فَنْجلْ رْحِيـــــقُو لَدَّة لَلشَرِيــــــبْ

وَاللِّي صفْاتْ لِيـــــهْ انْشوَتْـــو

ودْرَكْ فـَ : الْحَبِيـــــبْ شهْوَتُـــو

تبْتَتْ حجْتـــــــو وَدْعوَتـــــــو

وَاللَّــــــي علَـــى الرْضَا بَاتْ

ينْسَـــى جفَـــى اللِّـــي فَـــاتْ

رُوحُو هنَـــــاتْ

سَاعَتْ لَقْبُـــــولْ وْجـــينَا وَالسرّْ لِمَنْ اخْفَـــــاهْ

لاَ غنَـــا شرْبـــو يَصْفَــــا مَـــــاهْ

وبعد أن يخصص هذا المقطع للحب في أويقاته الهنية ... ينتقل في كل من المقطع الثالث والمقطع الرابع ، والمقطع لخامس الى أحلك ظروف الحب ... وهو يرمز بكل ما جاء في هذه الفصول الى القواطع ، والموانع ، والعقبات التي تعوق المساعي في

الطريق الى الله ، إذ أن المعنى العميق للقصيدة ككل هو أن "عشق الابداع إذا كان صادقا ، لابد ، وأن يترتب عنه حب المبدع

مَغْلُـــوبْ لَلْمْحَبَّةْ قَلْبْ الْمَرَّا النْجِـــيبْ

الْحُبْ لِيـــهْ كَمْ مَنْ صِفَة

بْدَايْتُو اسْرَارْ لْطِيـــــفَة

نِهَايْتُو اشْـرَارْ عْصِـيفَة

مَنْ صَبّْحُوهْ تَـــلافْ

يَمْسَا وْابِهْ عَـــرُّافْ

امْعَاوْصَـــافْ

سَرّْ الدَّعْوَة لَمْجِـــيبَة   يَلْقَى الْعَبْدْ مْنَـــاهْ

وْمَنْ وْقَفْ سَعْدُ وْغَمْ اعْـــــــدَاهْ

بَحَرْ الْهْوَى رْكُوبُو فِيهْ السَّرّْ الْعْجِيبْ

مْعَ فْرَاتْنُـــــو وْكْلاحَـــــوُ

وَعْوَاصْفُــــوُ وْهَوْلْ رْيَــاحُو

وَزْلَازْلُـــو وَرْعَدْ صَيّْـــاحُو

يَاتِي بْشِيـــــرْ الافْـــرَاحْ

بَنْغَـــايْمُـو الَـــى رَاحْ

بـــَابْ الصَـــــلاَحْ

مَنْ دُونُو كُلْ مْصِيبَـــــــة   يَلْقَاهَا مَنْ جَـــاه

مَنْ بْلَغْ قصدُو.صابْ مْنَـــاهْ.

رْوَابْـــعْ الْهْـــوَى فِيـــهَا الْهَيَّنْ وَالصعِـــيبْ

مْنْهُمْ مَنْ يْجِـــي بْكْـــرْوِيُـــو

وَوْساوْسُـــو وعْجَبْ خْطُـــوبُو

يبْلِـــي النّفْـــوُس بَعْدْ يتْـــوْبُو

فِيـــــهُمْ سهْلْ مرْطُـــوُبْ

يَاتِي فْ : زَيْ مَحْبُـــوبْ

يْطفِي شهْـــوبْ

كَانَتْ فْ : الذَّاتْ لْهِيـــبَةْ   وِيْرَقَّـــي مَعْنَاهْ

حِـــينْ يشْهَدْ تَصْدِيـــقْ مْنَـــاهْ

فإذا كان المقطع السادس من القصيدة ... انتقل بنا من عام الى خاص ... كيف هو مع الحب ؟.. وماذا يحب ؟ ... وهل هنىء بلحظاته السعيدة،أم عصفت به عواصفه ؟

لَبْهَا اللّـــي افْتَنّـــي سُوقْـــو نُوعُـــو غْرِيـــبْ

نَجْـــلاَتْهَا لْتُـــوفْ " سمَـــاهَـــا

فْ : قْلُـــوبْ هَلْ الْحـــَالْ ضِيَاهَا

مرْمُـــــــودْ الْبَصَرْ مَـــــارَاهَا

سنَـــــاءْ لاَمَعْ شعْـــــاهْ

خَطَّـــــافْ كُلْ مَـــــنْ رَاهْ

وِيلاَ اخْدَاهْ يزْهَدْ فِي كُلْ كْسِيـــبَةْ   وَالصَّادَقْ فْ : هْـــوَاهْ

كل ما يتمنـــى يلْقـــاهْ

ويبدو في كل من المقطع السابع ، والثامن ، والتاسع ... وكأنه يخاطب نفسه ، ينصحها ... يوجهها ، يفتح أمامها آفاق المعرفة "في طريق القوم"

تَدْعِـــي الْحُبْ وَتْحَـــافِي بَصْنُودْ الْحْبِـــيبْ
يَاسَعْدْ مَنْ عْلِيـــكْ تْوَلَّـــى
لُوكَـــانْ مُرْ عَنْدَكْ يَحْـــلاَ
مَاعَنْدَشْ الْحْبِيـــبْ الزَّلَّـــةْ . لحبيب ليس عنده زلة
مَنْ لِيـــهْ جَـابَكْ الْحَالْ
طِيعَـــوُ فْ : كُلْ مَا قَـالْ
زَكِّي فْعَـــالْ مَنْ نَفْسَكْ بِهْ شْغِيـــبَةْ   وَعْلاَجَكْ فْ : رْضَـــاهْ
كُـــنْ لُه عَنْ أَمْـــرُو وَنْهَـــاهْ
تِيهْ الْمْلِيحْ كَالسَّقْوَى لَلرَّوْضْ الْجْـــدِيبْ
تَدْفَعْ بَ : اللَّقَاحْ اشْجَـــارُو
وَتْفُوحْ بَالنْسَـــامْ ازْهَـارُو
وَتْهِيـــجْ لَلْنَشِيـدْ اطْيَـــارُو
لَوْلاَ غْـــزَالْ لَقْفَـــارْ
طَبْعُـــو شْـــرُودْ حَذَّارْ
لَوْ كَانْ بَارْ .. وَالرَّخْصْ عْلِيهْ مْصِيبَةْ   وَالزِّينْ الَى ت تَاهْ
يَلْذْ عَشْقُو وِيصَـــونْ بْهَـــاهْ
قَاضِـــي الْمْزَاجْ مَايَـــدِّي خْبَرْ وَلاَ يْجِيـــبْ
عَزْ السْلُوعْ عَنْدْ غْـــــلاَهَا

وتْهُـــونْهَا ايَّامْ ارْخَــاهَا

وتْسَــاوَمْ الْهَمَجْ مَشَـــرَاهَا

وَاللِّي اتْكَــاثْرْ ضَنْمَـــاهْ

وَالْقَـــى حْبِيــبْ وَسْقَــاهْ

لُومَا شْحَافْ مَا يَدِّي لَلْمَاطِيبَة   ومَنْ جَرْيُو عَيَّـــاهْ

فُوقْ الْفَضَـــى تَايَهْ بُـــوَّاهْ

أما المقطع العاشر .. فسوف يحد شافيه بما آل إليه أمره في عشقه :

طَفَحْ الشبَّابْ فَ : الْعَاشَقْ وَاعْذَارُو مْشِيـــبْ

مَنْ اللِي احْلاَتْ نَشْوَتْ شُـــوبُو

وَسْرَاتْ فِـــي دْوَاخَلْ قَلْبُـــو

شِيبُو غْبَـــافْ سَطْوَتْ حُبْـــو

يا سلام .. هنيئا لمن هذا حاله مع الله :

مَنْ اللِّي حْلاَتْ نَشْوَتْ شَرْبُـــو

وَســـرَاتْ فِي دْوَاخَلْ قَلْبُـــو

شِيبُـــو غْبَافْ سَطْوَتْ حُبُّـــو

ومن الشطر الذي افتتح به هذا المقطع :

"طَفَحْ الشبَّابْ فَ : الْعَاشَقْ وَعْذَارُو مْشِيبْ"

وهذا الشطر : "شيبو غباف سطوت حبو" نستطيع الجزم بأن سيدي عبد القادر العلمي كتب هذه القصيدة رحمه الله في شيخوخته ، بل أنها القصيدة الوحيدة التي أثبت لنا فيها لحظات القرب من الله وأويقات الانس به ...

لَمَّا اجْنَا عْلَى الْبَـــابْ

وَرْفَعْ عْلِيــهْ الْحْجَــابْ

صْفَى جْوَابْ طَيَّبْ بَ : لْفَاظْ عْجِيبَة   لُو كْتْمــُو وَخْفَــاهْ

كَالْعْطَرْ يَعْبَقْ طِيبْ اشْدَاهْ

ويستخرج لنا الحكمة من ثمرات رياضاته ، ونتائج مجاهداته :

مَنْ لاَزَمْ ارْضَى وَطْلَبْ لاَ بُدُّ يْصِيبْ

وَالَّلي بْغَا يْفِيضْ حْسَــوُدُو

يَتْبَعْ بَالْمْهَلْ مَقْصَــوُدُو

حَتَّــى يَنْكَمَلْ مَعْــدُودُو

مَانَــالْ حَدْ مَــارَادْ

إِلاَّ بْتَعْبْ وَطْــرَادْ

صَوْتْ الرْعَادْ يَتْرَكْ لَقْلُوبْ رْهِيبَا   وَبْعَدْ هْدِيرْ لْغَـــاهْ

يَتْبَشَرْ بَالْغَيْثْ امَنْ وْرَاهْ

إنها فلسفة سيدي عبد القادر ، وكما نلاحظها في كل قصائده الدينية والاجتماعية .

الفلسفة القائمة على "الصبر" و "التوكل" ، وأبادر الى القول أن الصبر عند الرجل ليس هو الدعة ، والتوكل ليس هو الاستسلام الصبر على مشاق الحرث مثلا ، والتوكل على الله في نتائجها ... صبر المريض على تجرع الدواء ، وعلى آلام الداء ، والتوكل على الله في الشفاء . على كل حال ، سوف نلتقي بسيدي عبد القادر العلمي في الاجتماعيات ، وفي غير الاجتماعيات ، وسوف نتعرف عليه أكثر فأكثر ...أما الآن فما بقي لنا إلا أن نأتي على ما تبقى من هذه الرائعة .

عَزْ السْلُوعْ تَاجَرْهَا يَرْبَحْ مَا يْخِيبْ

وْكُلْ مَنْ لْبِيــبْ ، وْعَــذْرِي

يَعْرَفْ مَا حْكِيتْ فْ : شَعْرِي

خِلاَفْ مَنْ غْشِيمْ وْغُــــرِي

يَدْرِي نْفِيسْ الاَدْرَارْ

مَا هَرْ ، حَادْ بْصَارْ

صَافِي عْيَارْ بَارِي مَنْ كُلْ مْعِيبَةْ سَرْ الْعَبْدْ وْفَـــاهْ

مَنْ فْضَلْ مُولاَهْ اسْتَوْفَـــاهْ

اللازمة : مَنْ صَرْخَتُو لَحْمَاكْ قْرِيبَا وَمْقَامَكْ عْلاَهْ

حُبْ غِيرُو لاَ تَسْتَحْلاَهْ

هذا هو النص الكامل لقصيدة "الصرخا" فهي من "مكسور جناح" والصلة التي تصلها بالملحون العمودي ، نهاية كل مقطع ببيت من "لرماالثلاثية .. " وكذلك اللازمة.

ونترك سيدي عبد القادر في شيخوخته الوقورة ، وقد سكنت نفسه واطمأنت ، على أن نعود إليه في الغرض الثالث من أغراض الملحون لنستمع منه وهو يلقي أصول الطريقة ، ونراه وهو يقف بمريديه بين الشريعة والحقيقة .

أما الآن ... فإلى الجيل الذي جاء بعد جيل سيدي عبد القادر العلمي مباشرة ، ونختار من إبداعات هذا الجيل ... نَبْكِي عْلَى ذْنُوبِي وَصْلاَتْ أَوْقَاتِي ... لمحمد بنسليمان ، وهي في "القياس الرابع من لرما الثلاثية" .

نَبْكِي عْلَى ذْنُوبِي وَصْلاَتْ اوْقَاتِي يُومْ الهَوْلْ وَظْلَمْتْ الْقْبَرْ

بَدَّلْ يَارَبِّي سِيتِي بَالْحُسْنَى

هكذا بدأ بنسليمان هذه التضرعات ، ولعل من الافضل أن نثبت النص الكامل للقصيدة ونتركها تقدم نفسها بنفسها الى القارىء .

أَنَا اللِّي قْوَاتْ عْلِيَّ حْجَاتِي وَمْدَحْتْ اللاَّعْمَرْ وكْبَـــرْ

وَعْنِيتْ بْمَنْ بِهْ مَا يَتْغَنَّى

وَفْخَرْتْ بَالْغْرَامْ مْقَصَّرْ خَطْوَاتِي وَتْرَكْتْ اللِّي بِهْ نَفْتْخَرْ

مَنْ لاَ يَتْمَنَّى مْحَبْتِي نَتْمَنَّى

غَلْبَاتْ حِيلْتُو عَشْرًا مَنْ حِيلاَتِي   دَارْ السَّانُوسِيفْ لَلْغَدْرْ
خَفْ امْنَ اللَّحْظَا وَبْرَقْ الْمُزْنَا
وَرْجَعْتْ بِهْ لَلسَّفْلَة مَنْ رَفْعَاتِي   وَمْنَ دْعَى بَعْنَايْتُو كْسَرْ
هَذْ الْحَالْ ضَحِيتْ بِهْ مْغَنَّـــى

★★★

هَذْ الْهْوَى الْهَايَمْ زَايَدْ لِيعْاتِي   رَافَدْ قَلْبِي مَا بْقَى اكْثَـــــرْ
وَالْعَيْنْ امْنَ الشُّوفْ مَاتْتْهَنَّـــى
أَنَا ايْحَقْ لِي نَتْعَزَّافَ حْيَاتِي   وَنْبَدَّلْ لَمْنَامْ بَالسَّهَـــــرْ
مَاتَـــابْعْ لاَ فَرْضْ وَلاَ سُنَـــةْ
كْثْرَاتْ سِيْتِي وَقْلاَلاَتْ حَسَنَاتِي   وَسَجْنَنِي فـَ : سْلاَسَلْ الْغَدْرْ
شِيطَـــانِي هُـوَ سْبَبْ الشَّطْنَا
غَرَّقْ مَرْكْبِي فـَ : بْحَرْ مَنْ سِيَّاتِي   أَنَا الرَّايَسْ وَالْهْوَى ابْحَـــرْ
الْهْـــوَى فَتْنَـــا مَا بْحَالُو فَتْنَا

★★★

بَتْنَا هَذِي نْبَاتْ نْهَيَّجْ زَفْرَاتِـــي   وَنْزِيدْ الْبْكَايَا عْلَى السَّهَـــرْ
مَا غَرَّدْ مَتْلِي حْمَامْ فـْ : سَجْـنَا
وَحْمَلْتْ مَنْ ذْنُوبِي شَلاَّ تُقْلاَتِـــي   غَادِي بِينْ سْلاَلَمْ الْوَعَـــرْ
مَنْ تَعْبِـــي عَنْ رَاحْتِـي نَتْدَنَّا

ونصوم .. ماحسنت صيام . وصلاتي لاشفع احسنتو ولاوتـــر

كيف ايحسنوها وجوه الجنة

لوما اسمـــــاحتو نغرق في زلاتـي يا رزاق الحوت ف : البحر

عبدك ظن الخير تما وهنـــا

★★☆

نفسي امعا الهوى والشيطان عداتي عاداو الساني معا الذكـــر

هدوا ف : زماني سبيل المحنة

اسقاوني مرار ، وتابع شهـــواتي الله ايعافينا من الخمـــر

كثير الروعا ... اقليـل الهدنـا

غبطت ف : الهوى ، طالع في عقباتي يا عـــالم بالسر والجهـــر

لاتجعل لنا عقوبتك تتركنـــا

ومصايب الزمان .. ومصايب كلفاتي وشرور الغـــرور والفشـر

نجنا منهم بالاسماء الحسنى

★★☆

مثلي همام درات بي دولاتــــــي رفعوا بي ف : قبت النصـــر

نزعوني من بعد قالو طعـــنا

خلاوني امعا الطيحات وعثراتـــــي هذي هي قلت الوقـــــــر

ماقتلوني ما حياوني نتهـــنا

أَنَا ارْمِيتْ رَاسِي فَ : الْبَحْرْ الْعَاتِي غَايَبْ لِيهْ سَنْيِنْ مَا ظْهَرْ
أُوفْ : الْمَرْسَا تْجَارْ كَاتْتَشْنَّا

حتى سفينتي قهرتها موجــــات والبحرية كلت الصبـــر
نَجِّنَا يَاصَاحْبْ الدْمَامْ غْرَقْنَا

★★★

مَاجِيتْ لَلْنْجَامَا صِيفَطْتْ ابْرَاتِي وَعْلاَ نَاسِي غَيْبْ الْخْبَـــرْ
وَحْبَابِي وَمْعَارْفِي تْتْمَنَّـــى

سْقِيتْ مَنْهُمْ جْدَاوَلْ دُوحَاتِـــي فَاحْ انْسِيمْ الْوَرْدْ وَالزْهَرْ
وَغْفَرْ ذَنْبْ اللِّي اعْصَا وَرْحَمْنَا

وَرْحَمْ يَا الْمَوْلَى حَفَّاظْ ابْيَاتِـــي قَالْ بْنْسْلِيمَانْ الْحَبْـــرْ
سلاَمِي هَبْتُو لْنَاسْ الْمَعْـــنَا

وَالْجَاحَدْ ايْصَدَقْ يَا وِيلُودَعْوَاتِي وَقْلِيبُو بَ : الْغَى يَنْزَنْـــرْ
مَا يِبْلَغْ مَعْنَى وْلاَ يَتْكَنَّـــا

يَارَفْعْ السْمَا تَغْفَرْ لِي زَلاَّتِـــي بِجَاهْ الشُّبِيكْ وَالْقْبَـــرْ
سِيدِي لاَ تَجْعَلْ رَبْنَا يَهْلَكْنَـا

★★★

نَبْكِي عْلَى ذْنُوبِي وَصْلاَتْ اوْقَاتِي يُومْ الْهَوْلْ وَظَلْمَتْ الْقْبَرْ
بَدَّلْ يَا رَبِّي سَيْتِي بَالْحُسْنَى

انتهت رائعة بنسليمان في الابتهالات ، ولقد كان على أن أجعلها قبل القصيدة السابقة لأحقق التدرج ، من هذه الحيرة ، ومن هذا الارتباك الى تلك السكينة ، وتلك الطمأنينة ، الى حط الرحال بجوار الله ، ولكن لم أفعل ، فالشيخ شيخ والمريد مريد ... خصوصا ونحن نقول في حضيرة الملحون : السابق فضلية ... "

ونضيف قصيدة ثالثة قبل أن نقول كلمة وجيزة عن القصائد الثلاث .

وهذه المرة مع "توسل" الفقيه لعميري . ونبدأ باللازمة :

يَا الْمَوْلَى نَعْمْ الْمَتْعَالْ ذُو الْجْلاَلْ   يَالْمَعْبُودْ عْظِيمْ الشَّانْ فَ : الْمْعَالِي

★★★

يَالْمُغِيثْ اللِّي نَرْجَافْ ضِيقْتْ الْحَـــالْ   يَالرّْحِيمْ رْحَمْ ضَعْفِي وْشُوفْ حَـــالِي
غِيثْ عَبْدْ مُولَّهْ يَرْجَى تْزُولْ الاَهْـــوَالْ   طَالْ مَا يَتْكَلّْبْ فَ: جْمَارْ لاَ امْهَـــالِي
كُلْ حِينْ يْنَادِي فَ : حْمَاكْ يَا الْفَعَّـــالْ   اعْيَا يْقَاسِي وَاهْوَالُو فَاقْتْ الاهْـــوَالِي
جَرْعُو حَالْ الوَقْتْ امْنَ الْمْرَايْرْ اشْحَـــالْ   والْخْلاَيَقْ ، بَالْوَاقَعْ حَدْ مَا تْبَـــالِي
اهل الصّْلاَحْ ارْبَيّ غُرْبَا اوْلاَمْنْ ايســـالْ   عَلْ الْغُرْبَا فَ : زْمَانْ امْنَ الافْضَالْ خَـــالِي

★★★

يَامُولْ الْجُودْ وَالاحْسَانْ امْعَا التّْفْضِـــيلْ   يَاغَـــانِي يَا كْـــرِيمْ فَكْ التُّوحِيـــلاَ
عَجّْلْ بَعْلاَجْ قَلْبْ وَسْطْ الصَّدْرْ غْلِيـــلْ   وَعْتَقْ يَـــا ذَا الْجْـلاَلْ رُوحِـي الغْلْـيلَة
وَاللِّي يَطْغَى تْهَدْ ذَاتُو لاَ تَمْهِيـــلْ   حَتَّـــى يَبْقَـى يْشُـــوفْ نَفْسُه ادْلِيـــلَة
فِي حِيصَا بِيصْ لِيسْ تَنْفَعْ لُوحِيلاَ
تْضَرْقُوا نَاسْ الْجَدْ وْبَـــانْ كُلْ خَتَّـــالْ   كَانْ يَرْصَدْ شِي وَقْتْ يْسَاعَدْ الرّْدَالِـــي
وْغِيرُوَاتَاهُمْ بَرْزُوا بَا دْعِينْ الاحْيَـــالْ   وْلاَ رْعَاوْ الْحَرْ مَنْ الاحْقَادْ وَالاقْيَالِـــي
وْغِيرْ بَرْزُو ا دَغْيَا ظْهْـــرُوا فْ : خِبْتْ الْحَـــالْ بَانْ عِيبْ الْخَتَّالاَ سَاعَتْ الْمْعَالِـــي
تْشُوفْهُمْ فَ : الظَّاهَرْ تَحْسَابْهُمْ كُمَّـــلْ   تْشَاهَدْ فْعَايْلْهُمْ بِهُمْ مَا تْبَالِـــي

بْرُورْهُمْ بَالْقُـــرَاءْ .. احْسَانْهُمْ لَلْـــالْ   كَانْ وَاتْرَنْي لِيـــهْ سَبْبْ بَانْ جلِـــي

★★★

الوَقْتْ الْيُـــومْ جَابْ خَصْلاَتْ التَّرْذِيـــلْ   مَنْ عَاشَرْ قُومْ صَـــارْ مَنْهُمْ بَالصـــيَّلَة

اللِـــي هُوَ رْذِيـــلْ يَدْنُـــو لَلتَّفْضِيـــلْ   وَاللِّـــي هُوَ فْضِيلْ يَسْوَى تَنْخِيـــلاَ

مَنْ لاَفَهْمُواْ حْدِيـــثْ مَا فَقْهُوا تَرْتِيـــلْ   وَلاَ يَدْرِيوا لَلْمْغَنِّـــي تَرْتِيـــلاَ

وْكُلْ شَنْيمَة فْ : حَقْهُمْ جَاتْ قْلِـــيلَة

غَرْهُمْ الشَّيْطَـــانْ وْلاَعْبَاوْ بَسْـــالْ   تْقُولْ مَا سَمْعُو شِي مَا فَاتْ فَ : الْجْيَالِي

يَعْبْرُوا عَنْ حُبْ الدُّنْيَا بْشَرْ الاعْمَـــالْ   مَا يَرْقُو النْذِيرْ الُو بْقُـــولْ وَالِـــي

وهَلْ التَّقْوَى وَالدِّينْ اضْحَاوْا طَيْ الاهْمَالْ   وْهَلْ الْبَدْعَة وَالزَّيْغْ فْ : غَايَةْ الرْفَـــالِي

جِيلْ نَاسُو تَرْكُو الُوفَا نْسَاهْ وَرْجَـــالْ   وَبَدْلُوهْ ابْدَرْهَمْ مَبْخُـــوسْ .. جِيلْ خَـــالِي

أُوفَ : الْحدِيثْ الْقَابَضْ دِينُو فْ : كُلْ الاحْوَالْ   كِي الْقَابَضْ جَمْرَا يَامَنْ صْغَى اقْوَالِـــي

☆✪★

★وَاللِّي يَنْسَى عْهُودْ لَجْنُودْ فْ : تَضْلِيلْ   ★   مَا مَتْلُوشِي ضْلِيلْ فَ : قْطَارْ ضْلِيلَة ★

★صَالْ بْ فَعْلُو وْزَادْلُو قْبْحُوا تَهْوِيـــلْ   ★   وَبْقَى قَلْبُو مْحَيْرُو فِـــي تَهْوِيـــلاَ★

★أَنْوَى رَاسُو عْلاَ وْصَابُو فِي تَسْفِيـــلْ   ★   مَا طَاقْ العَوْمْ فِي بْحُـــورُو لَهْوِيـــلاَ★

★ لاَبُدْ يْصِيرْ لِيهْ جَهْلُوا تَكْبِيـــلَة ★

★يَا اللَّهْ اسْأَلْتَكْ وَنْتَ الْغْنِي الْمْتْعَـــالْ   ★   رَدْ هَاذْ الْكَسْرَا بَالْخِيرْ يَالْعَـــالِي★

★جُدْ وَغْنِي وَرْحَمْ ضْعَافْ فُ : وسْطْ هْوَالْ   ★   ضَاقْ بِهُمْ الْحَالْ فْ : دْنْيَتْ الْحْيَـــالِي★

★مَايْلِيهُمْ غِيرَكْ وَنْتَ عْلِيمْ بَالْحـــالْ   ★   يَالْمَسْتَاجَبْ لَلْمَدْطَرْ فَ : الاسْالِـــي★

★غِيثْ ضِعَافْ الْخَلْقْ الغَايْصِـــــينْ فْ :وحَـالْ ★ مَا انْوَصفْهَا لِـــيكْ آعَالَمْ الاحْـــوَالِي★

★كِيفْ يُوصَفْ لَلرَّاقَبْ عَلَلْ الْحَـــالْ وَمْـــآلْ ★ عَبْدْ جَاهَلْ وَقْصِيرْ الْفَهْمْ مَنْ امْثَالِـــي★

☆✪☆

★يَا مَنْ فَضْلُو عْمِيمْ وَالاحْسَـــــانْ جْزِيـــلْ ★ عَـــالَجْ وَشْفِي قْلُوبْ فَصْدُورْ عْلِـيلَـة★

★يَامَنْ هَدْيُو لْهَلْ الإِسْــــلاَمْ التَّنْزِيـــلْ ★ الْهَمْ لِــــيهْ الْقْلُـــوبْ تَقْـرَاهْ وْجِيلَـة★

★يَابَـــــاعَثْ لِلْخْلاَيَقْ رَسُـــولَكْ لَفْضِيـــلْ ★ يَا جَاعَلْ سِيرْتُو فْ : الاعْبَادْ فْضِيلاَ★

★ اهْدِي لِيهَا ابْصَايَرْ ضَحْاتْ عْطِيلَة★

★مَـــــادْرَا مَنْ شَهْدْ بْدَعْوَتْ كِلْ مَرْسَـــالْ ★ بِينْ رُوحْ الْمَعْنَى فْ : مْنَابَعْ الاقْوَالِـــي★

★وْلَوْ يْعَرْفُـــوا هَذِي هِيَّ تْغَيَّرْ الْحَـــالْ ★ كِي تْغَيَّرْ فِي كَمْ جِيَالْ بْ : الْفْضَالِـــي★

★يَا الرَّحْمَانْ ارْحَمْ ضُعْفْ الْخْلاَقْ يَنْشَـالْ ★ يَالْغَفَّـــارْ غْفَرْ لَعْبَــادكْ الزْلاَلِـــــي★

★يَا الْخَـــلاَّقْ اخْلَقْ فِينَـا الْخِيرْ يَنْــزَالْ ★ كُلْ شَرَّا مَنْ قْلُوبْ النَّاسْ يَالعَالِـــــي★

★بَالنْبِـــــي وَانْصَارُو وَمْهَاجْرِينْ الافْضَالْ ★ غِـــيثْ هَاذْ الأمَّة وَطْرَدْ كُلْ ضَالِـــي★

★وَالصْلاَ وَالســـلاَمْ عْلَى النْبِي الْمُرْسَالْ ★ سِـــيدْنَا مُحَمَّدْ كَنْـزِي وْرَاسْ مَالِـــي★

لا أدري كيف انتقل البيت الاخير ، من "توسل لعمري هذا ... الى توسل العلمي الذي مطلعه : "يَا الْوَاجَدْ بَالصَّرْخَة عَنْدْ ضِيقْتْ الْحَالْ" المهم ، كان هذا هو النص الكامل لتوسل الفقيه العمري ... وبتوسل الفقيه العمري نكون قد أتينا على المدارس الثلاث التي كانت تهيمن على هذا الغرض ، قبل أن يـأتي الى حضيرة الملحون ... الامام الحسني الحراق ... وقبل أن نعرف ما جاء به هذا الامام الصوفي الجليل ... ولنستطيع استكناه ما جاء به ، لابد من أن نعود الى القصائد السابقة .. ولو بسرعة فائقة ، فمثلا كنا في القصيدة الاولى مع رجل كابد الرياضات والمجاهدات أولا ... وعاشر أهل الطريق الذين عاصروه ثانيا ... وتوسع في الاطلاع على كتابات القوم من شعر شفاف بديع ، ونثر فني رفيع ... وسير أهل الله الذين سبقوه ، وتراجمهم ثالثا ... فجاءت كل قصائده ... التي كتبها في السنوات الاخيرة من عمره ... طافحة بإشارات أهل الطريق ، وتعاليمهم ... وبطروحاتهم

الْوَجْدْ رِيحْ غَـــــلاَّبْ

مَتْرُوكْ فِيهْ الْعْتَـــابْ

مُولْ الشْــــرَابْ يُعْذَارْ فْ : حـــَالْ الْغِيــــبَةَ

دَايــــعْ بِـــهْ هْــــوَاهْ

مَا يْمَيَّزْ دَاهْ امْـــــنَ ادْوَاهْ

☆✪☆

وَالسرّْ امْنَ اخْفـــــــَاهْ

لاَغْنَـــا شرْبـــــو يَصْفَـــو مَـــاهْ

☆✪☆

بِدَايْتـــوُ اسْـــرَارْ لْطِيـفَةْ

نِهَايْتُـــو اشْــرَارْ عْصِيفَةْ

مَنْ صَبْحُـــــوهْ تْـــلاَفْ

يَمْسَـــاوْا بِـهْ عُــــرَافْ

☆✪☆

بَابْ الصْلاَحْ مَنْ دُونُو كُلْ مْصِيــــبَةْ

بِدَايْتـــوُ اسْـــرَارْ لْطِيـفَةْ

نِهَايْتُـــو اشْرَارْ عْصِيـفَةْ

مَنْ صَبْحُـــوهْ تْـــلاَفْ

يَمْسَـــــاوْا بِهْ عُـــرَافْ

☆✪☆

بَابْ الصْلاَحْ مَنْ دُونُو كُلْ مْصِيبَةْ

يَلْقَاهَا مَنْ جَاهْ

وْمَنْ بْلَغْ قَصْدُو صَابْ مْنَاهْ

☆✪☆

سنَاءْ لاَ مْعْ شْعَاهْ

خَطــّافْ كُلْ مَــنْ رَاهْ

وَاللِّي اخْدَهْ يزْهَدْ فِي كُلْ كْسِيبَــا وَالصّــادَقْ فَ : هوَاهْ

كُلْ مَا يْتْمَنَّــا يلْقَــاهْ

ونختم هذه المقتطفات باللحظة التي قال عنها الحاج محمد بلكبير المراكشي :

"لحظة الاشراق الكلي التام العام"

لَمَّا اجْنَــا علَى الْبَــابْ

ورْفَعْ علِيــهْ الْحْجَــابْ

صفَا جْوَابْ طَيَّبْ بَالْفَاضْ عْجِيبَا لُوكَتْمُو وَخْفَاهْ

كَالْعْطَرْ يَعْبَقْ طِيبْ أشْـدَاهْ

إننا في هذه القصيدة ... وفي "الفرج" نكون مع سيدي عبد القادر العلمي في عالمه الباطني ، ويحاول جاهدا أن يطلعنا على مشاهداته ، وأن يصفها لنا ، وإن كانت العبارة لا تسعف صاحبها في هذا المجال .

أما بنسليمان ... نكون معه سواء في هذه القصيدة أوفي :

"تُبْ يَا رَاسِي لاَ تَشْقَى "في عالم الواقع ... العالم الملموس .

☆✪☆

☆ أنَا يْحقْ لِي نْتْعَزَّافَ : حيَــاتِي ☆ وَنْبَدَّلْ لَمْنَــامْ بَالسّهَــرْ ☆

☆ مَاتَــابَعْ لاَ فَرْضْ وَلاَ سُنَّــا ☆

☆✪☆

☆ أنْصومْ ، مَا حْسَنْتْ صيَامِي .. وَصْلاَتِي ☆ لاَ شَفْعْ احْسَنْتُو وْلاَ وَتَــرْ ☆

☆ كِيفْ يْحَسْنُوهَا وَجُوهْ الْجَنَّــا ☆

★ نَفَسِـــي مْعَا الْهْوَى وَالشَّيطَانْ اعْدَاتِي ★ عَادَوْا الْسَانِي مْعَا الذْكَرْ ★

★شَدَوْا فَ : زْمَانِي طْرِيقْ الْمَحْنَـــــــا ★

★سقَاوْنِي مرَارْ التّْعَبْ فْ شَهْـــوَاتِـــي ★ اللّهْ يْعَافِينَا مْنَ الْخْمَـــرْ ★

★ كْبِيـــرْ الرّوْعَا قْلِيـــلْ الْهْدَنـــــا ★

☆✪★

على كل حال أخذنا سيدي عبد القادر الى عالم الباطن ، وعاد بنا محمد بنسليمان الى العالم الظاهر .

أما القصيدة الثالثة أعني قصيدة الفقيه لعميري ، فهي أقرب الى الذهن منها الى الشعور ، قصيدة الحرفية ، حرفية الاية ، حرفية الحديث ، حرفية مقولات الفقهاء .

★ أوفَا الْحْدِيثْ الْقَابَضْ دِينُو فْ جَمْعْ الاحْوَالْ ★ كِي الْقَابَضْ جَمْرَا ....."

☆✪★

★ حتّـــــى يبْدَا يْشُـــــوفْ نَفْسُو لُـــوحِيـــــلاَ ★ فِي حِيصَا بِيصْ"........."

ونحن لا مع سيدي عبد القادر ومن ساروا على نهجه بعده ، ولا مع بنسليمان ومن حذا حذوه حتى الآن ، ولان بن قاسم لعميري ، ومدرسته الذهنية ، نبقى مع الشعر الديني وليس الصوفي ، نعم فيه سياحات وتحليقات هنا وهناك . بل ووظف بعض كبار الشعراء ، رموز القوم وإشاراتهم ، أي أنه لا يخلو من مسحة من تصوف ولكنه في عمومه ، يبقى الملحون الديني .

أما الملحون الصوفي ، فهو الذي جاءنا به الشيخ الامام الحسني الحراق ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

★جَادْ الزْمــــــانْ وَاستَبْشَرْ قَلْبْ الْهَـــايَمْ ★ وَتْحَلّـــى بَالسّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهْ ★

★انكَا الْحْسُــــودْ وَظْفَرْ بَالْعَزْ الـــــدَّايَمْ ★ وَأصبَحْ يْتَمْخْتَرْ فِي ثْيَابْ هْنَـــاهْ ★

هذه واحدة من القصائد الاربع التي شق بها الامام الحراق ، الطريق للذين يريدون كتابة الملحون الصوفي .

قَصِيدة

★طَابْ السّْـــرُورْ مْعَ الْبْـــنُورْ بِيضْ النْحــــورْ ★

★ غَنَمْ كَاسْ الــرّاحْ هــاحْبِيبَكْ زَارْ ★

★وِينـــا بْـدُورْ هَذِي يَابُو النْغَــايَمْ ★ مَــا هِيَّ الأَبْـرُوقْ سَرْ ضْيَــاهْ ★

★بِيضْ النْحُـــورْ فِي كُلْ مَاتْتْــــلايَمْ ★ تْتْدَيْجَرْ الانْوَارْ مَنْ شَعَا فْ : سْنَاهْ ★

☆سقِي ودُورْ　　هوَ الشُّورْ　　طُولْ الدهُورْ ☆

☆ساعَادَ السلّوَانْ فايْدَتْ الاعمَــارْ ☆

☆ هوَ الشُّورْ هوَ والْهَايَمْ رَايـــمْ　　مرَادْ الْمُرِيدْ ياهنَاه الْقَـــاهْ ☆

☆ الْقاهْ فِيهْ ومَعْناهْ فْ : قلْبْ الْقايمْ　　والْقايمْ ماقامْ غِيرْ بِهْ وتْــاهْ ☆

☆صِلْ الشرابْ　　النكْدْ غابْ　　والزّهْوْ طابْ ☆

☆ وسَرُوجْ الْفُرْجَاتْ شعَشْعَتْ الانْوارْ ☆

☆شعَشْعَتْ كالثْرِيّاَ فِي كُلْ ولاَيَـمْ　　منَّى لِي عادْ بانْ سرْ خفَــاهْ ☆

☆وشْحالْ بتْ منْ لِيلاَ سابَحْ عايَمْ　　بِينْ موَاجْ الضيْ فِي فضَا سمَاهْ☆

☆ رشْفْ الاكْوابْ　　امعَا الاحْبابْ　　عيْنْ الصوّابْ☆

☆ورْهَا فْ : ايّامَكْ لُو تْعِيشْ انْهَـارْ☆

☆طِعْ الْملِيحْ وعْصَا فْ : اللُّومْ اللاّيَـــمْ　　وعْمَلْ فْ : زْمانَكْ كُلْ مَا تَهْــوَاهْ☆

☆ونْشدْ منْ اشْعَارَكْ فْ : الْحُسْنْ الدايَمْ　　نَجْمَكْ صارْ آصاحْ فِيصعُودْ سمْــاهْ☆

☆نَظْرَا منْ الْحبِيبْ تمْحِي كُلْ اجْرايَـــمْ　　أُو لَحْبِيبْ كْرِيمْ يَاللِّي يرْجَـــــاهْ☆

☆الَى مَارْضَا مَا تَنْفَعْ عزَايَــــــمْ　　لُو بَا عْمَالْ الْخِيرْ كُلْها تلْقَـــاهْ☆

القصيدة على وزن "يامنا" للمصمودي ، أي من "لرما المثنية مع تصرف جميل في ما يسمى : "لطيلعات" ، أما من حيث معانيها ، فلا شك عندي أنها قدمت نفسها بنفسها الى القارئ وانتهى الامر ... علي فقط أن أثبت هنا أن هذا الامام الصالح المصلح ، هذا العلامة الجليل ، هذا الشيخ الاجل ، كان يطوف بثقله العلمي ، والمعرفي ، والثقافي على كل الطوائف ليعلمهم - كما علمنا - كيف يكتب الشعر الصوفي .

فالامام الحراق ، الشاعر العربي المفلق ، والزجال الاندلسي المبدع ، مقصد الموشحات ، وموشح القصائد ، على ماآتاه الله من علوم الشريعة ، وما فتح عليه به من علمه "اللادني" يأتي بكل تواضع الى حضيرة الملحون ، أو الى طائفة "حمادشا" أو "عيساوا" ، فيحفظ ، ويحفظ ، ويحفظ .

الى أن يتمكن من الاوزان الخارجية ، والايقاعات الداخلية ، ويتعوف على طبيعة العمل في هذا الوزن أو ذاك ، وسرعان ما تبدأ المفاجآت ... إذ ينشر بين الناس إبداعات يعرفون شكلها ، ولكن لا عهد لهم بمضامينها ..

فالناس مثلا كانوا يعرفون وزن قصيدة يامنة .

★ قُولُوا الْيَامنَا تَهْلِيلْ الْعَثْمَـــــانِ ★ مِينَا يَا مِينـــــا مْعَكْ شْرَعْ ★ الله

فعندما جاءت .

★جَادْ الزْمَانْ واستَبْشَرْ قَلْبْ الْهَايَمْ ★ وَتْحَلاً بَالسّعْدْ حِينْ صَابْ مْنَاهْ ★

للامام الحراق تغنو بها على نغمات لحن يامنة للمصمودي ، ومن دون أدنى صعوبة بل هو يسر هذا الوزن أكثر ... بتصرف يعرفه أهل الملحون ، ولا مجال للحديث عنه الآن إنما الشيء الذي لا عهد لهم به ، هو بعض معاني القصيدة : مثل قوله : "مْرَادْ الْمُرِيدْ يَا هْنَاهْ الْقَاهْ ... الْقَاهْ فِيهْ وَمْعَاهْ ....." أو عندما يقول "مْنَّي لِيْ عَادبَانْ سرّ خْفَاهْ" على كل أصبحت لنا مدرسة رابعة هي مدرسة الحراق ومن روادها بعده ، "الازموري" "مريفق" "السي اسماعيل" "سيدي إدريس" "لهويتر" ، وغيرهم وغيرهم ، وبعد قصيدة "الاستبشار" .... أختم إبداعات هذا الغرض ، بذكرى عيساوية لنفس الشاعر ، وهي بعنوان "الاستذكار" ، وأهيب بعشاق الشعر الصوفي الرفيع لا في حضيرة الملحون ولا في طائفة عيساوا ، ولا في طائفة حمادشا ، أن يحفظوا شعر الامام الحراق وأن يتواجدوا به ، ليس فقط قصد إحياء الذكرى ، أو العرفان بالجميل ، ولكن لانه غرة الشعر المغربي الشعبي في البعد الصوفي على الاطلاق .

قصيدة الاستدكار من نظم المرحوم محمد الحراف

★صَافِي الْحْبِيبْ تَضْفَرْ بِيْهَا الانْـــوَارْ ★ وَتْحُوزْ مَنْ شْعَاهْ يْمَــــارَا★

★بِهَا تْنَالْ مَا بِينْ الْخَلْقْ اســــــرَارْ ★ وَتْصِيرْ لَلنْفُوسْ طْهَـــــارَا★

☆✪★

★ذَكْــــــرُو حْقِيـــــــقْ لَلْقَلْبْ دْوَا ★ يَشْفِيهْ مَنْ سْقَامْ وْهَــــامُو★

★وِيصَيّــــــرُو بْغِيرْ "السّـــــــوَا ★ وِيلَذْ لُوهْجِيرْ امْنَامـــــــو★

★بِهْ الْوْجُــــــودْ كُلُّو يَضــــــوَا ★ مَنْ غَاسَقْ الْهْوَى وَظْلاَمُو★

★يَا سَعْدْ مَنْ مْسَا يَخْلَعْ فِيهْ اعْـذَارْ ★ وِيدُورْ وَسْطْ قَلْبْ الـــدَّارَا★

★يَنْشَدْ عَنْ حْبِيبُو رَايَقْ الاشْعَــارْ ★ وَالْقُومْ مَنْ الْعَشْقْ اسْكَارَا★

★ يَا مَنْ ابْغَاوْصَالْ حْبِيبُو ★ افْنَا تْشُوفْ نُورْ الْحَضْرَا★
★وَعْلاَ عْلَى لاَكْوَانْ تْصِيبُو ★ يَغْنِيكْ عَنْهُمْ ابْنَظْرَا ★
★مَنْ كَانْ دَالْحْبِيبْ نْصِيبُو ★ا^^^^ مَنْ كُلْ بَاسْ حَالُو يْبَرَّ★
★شْمُوسْ فِي اعْمَاقُوا تَشْرَقْ وَاقْمَارْ ★ وَتْجِيهْ كُلْ وَقْتْ بْشَارَا★
★مَنْ نَالْ صَدْقْ الْمْحَبَّا يَاحْضَارْ ★ يَمْسَى فْ : كُلْ حَالْ مْنَارَا★

☆✪☆

★يْرُوقْ فَ : الْمْحَبَّا حَالُو ★ وِيبَانْ فِي اوْصَافْ اِيمَانُو★
★وِيشَاهْدُوا النَّاسْ جْمَالُو ★ وَالُو خْفَاهْ طُولْ زْمَانُو★
★يَنْفَقْ عْلَى الْحْبِيبْ امْوَالُو ★ وِيزِيدْ مُهْجْتُو وَبْدَانُو★
★دِيمَا تْرَاهْ بِينْ أُورَادُ وَاذْكَارْ ★ عَنْدُو فْ : كُلْ وَقْتْ عْمَارَا★
★يَخْشَى تْفُوتْ عَنُّو لَحْظَتْ بْشَارْ ★ وِيضِيعْ لُو الْعُمُرْ خْسَارَا★

☆✪☆

★وَاللِّي لْبِيبْ فَاطَنْ يَا صَاحْ ★ يَسْعَى فِي صْلاَحْ مْقَامُو★
★وِيبُوحْ بَالْغْرَامْ اوِيرْتَاحْ ★ مَنْ كِيدْ الرْقِيبْ وَمْلاَمُو★
★هَذَا الْهْوَى صْعِيبْ أُو فَضَّاحْ ★ يَشْعَلْ فَ : الْقْلُوبْ ضْرَامُو★
★بِهْ الْعْشِيقْ يَتْكَلَّبْ فُوقْ جْمَارْ ★ وَلاَ تْفِيدْ فِيهْ احْزَارَا★
★لِيلُو فِي غْرَامُو يَفْنَا وَنْهَارْ ★ وَمْحَبْتْ الْحْبِيبْ اتْجَارَا★

☆✪☆

كان بودي أن أضيف لهذا الشيخ الجليل على الاقل "ذكرا"حمدوشية ، وأخرى "توابتيا" ، إلا أنني لا أزال في الغرض الاول ، وأمامي تسعة أغراض أخرى ... فمعذرة .

* الغرض الثـــاني من أغــراض الملحـــون *

" المـــــدح "

قال شيخي الجليل رحمه الله : "مرت علي حتى الآن - وكنا يومئذ في شهر مارس من سنة 1950 - ثلاث سنوات وأنا أحصي قصائد المدح في الملحون ، فبلغ العدد الى أربعة الآف وثلاث مائة "انتهى كلام الشيخ ، وأضيف :

إن أربعة أخماس هذا العدد هي لنبينا الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم مولده صلى الله عليه وسلم ، نشأته ، زواجه بمولاتنا خديجة رضي الله عنها ، تَعَبُّدُهُ في غـار حـراء ، نزول الوحي ، بدء الدعوة الى الله ، تحدي الشرك والضلال،وهجرته الى المدينة ، وجهاد الرعيل الاول في سبيل الله ، وتحت لواء رسوله .

معجزاته صلى الله عليه وسلم ، شيمه ، شمائله ، مكارم أخلاقه ، وكل ماله صلة بحياة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا وتشمله أربعة أخماس قصائد هذا الغرض وسراباته .

أما الخمس الخامس ... فهو لآل بيته الاكرمين ، وللخلفاء الراشدين،وحتى بعض عموم الصحابة،كأبي ذر الغفاري ، ومعاذ بن جبل ، وخالدبن الوليد ، بل ويشمل هذا الغرض حتى سير الاولياء ، وكراماتهم . والمجاديب ، وما ينطقون به من إشارات ، وما ياتونه من خوارق العادات .. كل ذلك يسمى بكل بساطة : "المدح" .

سئل العيساوي الفلوس لماذا أخذوه الى مخفر الشرطة فأجاب :"عْلَى قْصِيداً مْدَحْتْ فِيهَا بَلْحَسَنْ الْوَزَّانِي" فَـ :الشعر النضالي إذن : "مدح"،والشعر الوطني : "مدح" ، والشعر الذي يعبر عن التضامن :"مدح"،على كل حال إن هذا الغرض لفي حاجة الى تصنيف جاد،تُستخرج منه ثمانية أو تسعة أغراض ، أما نحن فسوف نكتفي في هذا الفصل بشيء يسير من المدائح النبوية .. طبعا سوف لا نعرج على المطولات التي قد يصل عدد أبياتها الى ما فوق الثلاث مائة بيت ، وتعد بالعشرات، وإنما نبقى مع القصائد التي لا تزيد عن الثلاثين بيتا ، حتى نتعامل مع أكثر من شاعر واحد من جهة ، ونحقق التنويع من جهة ثانية .إنما قبل ذلك لا بد من وقفة تأمل ولو قصيرة.يقول الشريف بنعلي ويحق :

★ امْدِيحْ النْبِي مَنْ تَمْجِيدْ الْخَالَقْ الْعْظِيمْ ★ مْدِيحْ النْبِي مَنْ تُوصَافْ الدِّينْ بَالْمْكَارَمْ★

فالمديح النبوي عند أهل الملحون نوع من أنواع العبادة ، ذلك لأن المديح النبوي - وكما يقول الشريف بنعلي - ثناء على الله الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام من جهة ، وتعداد لما في هذا الدين من خيرات من جهة ثانية ...ويبقى الحب الخالص لهذا النبي الكريم ، هو الملهم لهذا المديح ، بل هو نبع هذا المديح .

يقول الكندوز:

★حُبْ سِيدِي مَنْ حُبْ اللَّهْ كِيفْ نْنْسَــاهْ ★ وَاسْمُو رَادَفْ أَسْمْ اللَّهْ فَ : الشْهَـادَا ...★

من هذا المنطلق ينطلقون ، ومن وحيه يكتبون :

يقول المصمودي :

★منْ "الْكُمَيْتْ" الْمَادحْ النّبِي شعْرُو كَانْدْرِيــــــهْ★

★لَلْسَيَّدْ "حَسَّانْ" الْفْضِيلْ وْشعارو كانقــــــراها★

فَ : الضّيَّ أُوفَ : دْجَاهْ★

★ " الْكعْبْ بْنْ زْهَيْرْ "لِيسْ يَخْفَى وْلَوْ نَخْفِيــــــهْ★

★لْلْمَاهرْ "مْهْيَارْ" أُوقْصَايْدُو فَ هلْ الْبِيتْ انْشَـاهَا★

★شُوقُو لِيسْ خْفَاهْ★

ويقول الحاج أحمد الغرابلي

★مدَّاحِـــــينْ الْمُخْتَارْ فَالضّيَا وعْقَابْ الدّيْجَـانْ★

★نَعْمْ الْمَرْحُومِــــينْ★

★تَمْثِيـــلْ "ابْنْ زْهَيْرْ" مَا خْفَى وَالسَّيَّدْ " حَسَّــانْ★

★ "وَابْنُ الْفَارِضْ" الْفَايْزْ الْذِي جَـــادْ عْلِيهْ الْغَانِي★

★وَمْدَحْ زِينْ الزَّيْـــنْ★

★و"الْجزُولِي" دلِيلْ ورَخُو فَ صَــلاَتْ الْعَدْنَـــانْ★

★و"البُـــوصَيْرِي" خَلَّ شوَاهدْ الهمْزِيَّـا تَرْضَانــي★

★وَالْبُــرْدَا تَبْيِـــينْ★

فأهل الملحون إذن يعرفون تاريخ المديح النبوي ،إبتداء من حسان بن ثابت ، وكعب ابن زهير ، وهما من المخضرمين ، الى قصائد مهيار في آل البيت،الى ميمية ابن الفارض ، وبردة البصيري وهمزيته ، الى دلائل الخيرات للجزولي ...

وهذا يكفي.ولعل التلميح في هذا المجال يغني عن التصريح.نبدأ النصوص الكاملة التي اخترنا لهذا الغرض بصوفية امتيرد المراكشي في حب الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

حُبْ حبِيبْ الرَّحْمَانْ   خَمَّرْنِي يَالَخْوَانْ
وَسقَانِي بَالْجَرْيَانْ   يَامَحْلاَهْ بْحَرْ جُونْ
خَادْ جْوَارَحْ الابْدَانْ   وَدْعَانِي يَا فُطَّانْ
نَنْشَدْ قَلْبْ أُولْسَانْ   بَحْلاَوَتْ كُلْ لْسُونْ
مَنْ فَتْرَقْ بَالْقُرْعَانْ   وَتْجَلَّى عَلَّلْ الادْيَانْ
وَعْبَقْ فِي كُلْ وْطَانْ   طِيبُو مَنْ جُونْ لْجُونْ
وَضَّحْ عَلْمْ الْفُرْقَانْ   شَرْحْ أُوتَفْسِيرْ بْيَانْ
خَشْعَتْ لُوهَلْ الاِيمَانْ   وْقَرَّتْ بِه عْيُونْ
جَدْ الْحَسَنْ وَالْحَسَنْ   كَهْفْ الْجُودْ أُولَحْسَانْ
حُرْمْ الْبِيتْ أَو الارْكَانْ   مَنْ دَعْنَتْ لِيهْ حْصُونْ

مُحَمَّدْ صَاحَبْ الْحقَايَقْ وَالتَّحْقِيقْ   السَّابَقْ لَلْعْبَادْ فَضْلُو وكْمَالُو
جَيَّدْ ... وَافِي .. حْنِينْ ... وَمْكَرَّمْ .. وَشْفِيقْ   السَّاقِي مَنَ الْحَوْضْ كِيسَانْ مْصَالُو
مَفْتَاحْ الدِّينْ صَادَقْ اقْوَالْ التَّصْدِيقْ   يَاهَلْ لُوصَالْ سَعْدْ سَعْدِي بُوصَالُو
مَاخْلَقْ اللَّه بِينْ الْعْبَادْ ابْحَالُو

نُورْ الْحَقْ الدِّيَّانْ   رُوحْ الرَّوْحْ دَالَجْنَانْ
رَحْمَا وَعْفُو وَاهَانْ   شَرْعْ الْوَرْدْ الْمَحْسُونْ
تَعْظِيمْ الْقَدْرْ ، وْشَانْ   سِيدْ عْجَامْ أُوعُرْبَانْ
سِيدْ جْمِيعْ التُّقْيَانْ   مَاحَمْلَتْ بِهْ بْطُونْ
يُومْ الْفَزْعْ أُولَفْتَانْ   وَالصَّرَاطْ أُومِيزَانْ

نَسْعَا اللَّهْ الغُفْـــــرَانْ   عَنِّي لَصْعَابْ تْهُـــــونْ
فَ صْلاَتُو يَا إِنْسَـــــانْ   كُثّْرْ جَهْرْ اُوكُتْمَـــــانْ
مَا فَ صْلاَتُو نُكْــرَانْ   وَاَلنَّاكَرْهَا مَلْعُـــــونْ
هِيَ شُرْبْ اللَّهْفَـــــانْ   هِيَ كْنْزْ اللَّحْقَـــــانْ
هِيَ الْفَرْحْ أُو سَلْـــوَانْ   هِيَ الرَّاحَةْ وَسْكُـــونْ

☆☆☆

طَهَ دُبَّابْهَا انْهَـــــارْ تْضْيقْ الْحَـــالْ   فِي يُومْ اللاَّتْفِيدْ مَخْلُوقْ انْدَامَـــــا
مَا بِينْ لاَنْبْيَا وْالاَفْضَـــالْ الاَرْسَـــالْ   كَابْدَرْ وْسِيمْ حِينْ تَعْظَمْ لَقْيَامَـــــا
أَنَا لَهَا يْقُـــولْ طَيَّبْ كُلْ افْعَـــالْ   هَذِي بْشْرَالْنَا بْالْعَفُو وَسْلاَمَـــــا
وَكْمَالْ شْفَاعْتُو مْنَ اللَّهْ اكْرَامَـــــا

طَبْ يْعَالَجْ الاذْهَـــــانْ   وَنْوَى يَشْفِي الابْـــدَانْ
وَجْبِيرَا لَلْكَسْـــــرَانْ   قَصْدْ كْمَالْ الْمَضْنُـــونْ
بَحْرْ الْوَدْ الْهَتَّـــــانْ   مَنْ لاَ مَثْلُـــو سَلْطَـــانْ
الزَّايَدْ لَلْعَرْفَـــــانْ   مَنْ عَلْمُو كُلْ فْنُـــــونْ
اللِّيلْ سْرَى بَالسَّرْيَـــانْ   رَتْفَعْ لَلسَّبْعْ امْتَـــــانْ
وَيُومْ احْرَمْ بَالْجَمْعَـــانْ   صَلَّى وَصْعَدْ مَامُـــونْ
تَمْ دْنَاهْ الْمَنَّـــــانْ   لَبْسَاطْ فْ : عَلُّو الشَّانْ
قَلْبُو يَسْمَعْ يَقْطَـــــانْ   وَيْنَاظَـــرْدُونْ عْيُـــونْ
تَمَّا طَـــــلْبْ الْمَنَّـــانْ   كَرْمُو وَرْجَعْ فَرْحَـــــانْ
لَقْرَيْشْ وْصَفْ بْبْيَـــانْ   فَضْلْ الدِّينْ الْمَصْيُـــونْ

☆☆☆

احْبِيـــــبْ اللهْ لاَ نْبِي مَثْلُو مَحْبُـــوبْ السَّابَقْ فَ : وَلْ السَّطْرْ لَلْعَرْفَـــانِ
مَنْ قَبْلْ اللّْ يْزِيـــــدْ خَبْرَتْ بِـهْ كْتُبْ كَمَا خْلَقْ أوْ نْشَاهْ نْعَمْ الْوَحْدَانِـــي
عَرْفُـــوهْ أوكَدْبُـــوُ وَجْحَدُوا هَلْ لَكْتُبْ وَاشْ يَجْحْدُوا فْ طَلْعَتْ الْبَدْرْ السَّانِي

لَوْلاَهْ مَا يْكُونْ شِي مَنْ الاكْوَانِ

هُوَّ مْحَطَّمْ الاوْثَـــانْ عَنْدْ اللهْ مَالُو ثَـــان
لَوْلاَ فَضْلُوا لاَ كَـــانْ فَارَغْ وَلاَ مَشْحُـــونْ
دِينْ الْمُولَى قَدْسَـــانْ وَنْتَاشَرْ بَالتَّبْيَـــانْ
وَجْنُودُوا هَلْ الاوْثَـانْ هَزْمُوهُمْ هَلْ لَسْنُونْ
أَلُوصَبْتْ الْبِيـــزَانْ ايعِيرُو لِي جَنْحَـــانْ
وَنْفَدْفَدْ بَالطِّيْـــرَانْ وَنْحَلَّقْ بِينْ مْـــزُونْ
حَتَّى نُوصَلْ الاَمَـــانْ وَنْقُولْ بْلاَ تُونَـــانْ
دَاخَلْ حُرْمَكْ خُوفَـانْ مَدَّاحَكْ عَنُّو هُـــونْ
لَعْقَلْ حَايَرْ هِيمَـــانْ وَنَاسَاهِي غَفْـــلاَنْ
وَالْعُمْرْ مْضَى خُسْرَانْ طُولْ حْيَاتِي مَدْيُـونْ

✪☆✯

صَلَّى اللَّـــهُ عْلِيـهْ قَدْمَـــاً يُذْكَـــارْ وَمَا فِي عَلْمْ مَنْ تْجَلَّـــى بْدْوَامُـــوُ
بِهَا نَفْتَحْ وَنْخَتَمْ حلَّتْ الاسْـــــــرَارْ تَنْوِيرْ وْسَرْ مَنْ الْمَبْـــدَا لَتْمَامُـــوُ
هِيَّ الرَّسْمَـــالْ وَالْفَضْلْ هِـيَّ التَّحْـــرَارْ بَرْكَا وَزْكَـــي لْمَنْ قْوَا عَشْقْ غْرَامُـــوُ

غَدّاً يُـــومْ النّْشُورْ بِهَا نَرْحَامُــــوُ

يَا رَبِّي بَالسبْطَــــانْ	وَالْفَرُوقْ أو عثْمَـــانْ
وبْمُوسَى بَنْ عمْــرَانْ	وَسلِيمَانْ وْهَـــارُونْ
يُومْ الرمْسْ أو الاكْفَانْ	بِينْ الْمَلْكِينْ اثْنَـــانْ
تَبْتْنِي فـ : السُّـــولاَنْ	وْلاَ تَجْعَلْنِي مَفْتُـــونْ
وَالْوَالَدْ وَالصبْيَـــانْ	وْهَلْ الاسْلاَمْ وْالايمَــانْ
يَا غَافَرْ لَلْعُصْيَـــانْ	غَفَرْ خْطَانَا وَذْنُـــونْ
الجيِّلاَلِي ستْعَـــانْ	بِكْ اعْلِيكْ التُّكْـــلاَنْ
وَالْمَادَحْ مَا يُوهَـــانْ	عَنْدْ رَوَاحُو مَضْمُـــونْ
وَسـْــلاَمْ لْهَلْ الاوزَانْ	وَالْفُقْهَا وَالْعُرْفَـــانْ
وَعْلاَ الشرْفَا تِيجَـانْ	هَلْ لَفْرَايَضْ وَسنْـــونْ

✪☆✯

هذه إحدى غرر المدائح النبوية في الشعر الملحون ، وهي للشاعر الفحل ... الجيلالي امتيرد المراكشي ، وقد سبق القول : "أنه كان في عصر السلطان العلوي سيدي محمد :

صَلِّيوْا عْلاَ الْعَدْنَـــانْ	مَنْ جَانَا بَالْبَيَـــانْ
نَمْجَدْ مُولْ الْفُرْقَـــانْ	طَهَ مَفْتَاحْ الْكَـــوْنْ

جمع "امتيرد" في "مداحيته" هاته بين مكرمات رسول الاسلام :

مُحَمَّدْ صَاحَبْ الْحقَـــــايَقْ وَالتَّحْقِـــيقْ السَّابَقْ لَلْعْبَادْ فَضلُو وكْمَالُـــو

جَيَّدْ وَافِـــي حنِـــينْ وَمَكْرَمْ وَشْفِـــيقْ ....

وبين محاسن هذا الدين الحنيف :

طْبْ يْعَالَجْ الاذْهـــــانْ وَدْوَى يَشْفِي الابْـــــدَانْ
وَجْبِيرًا لَلْكَســـــرَانْ قَصْدْ كْمَالْ الْمَظْنُـــونْ

جمع بين حبه للنبي الكريم :

حْبْ حْبِيبْ الرَّحْمـــانْ خَمَّرْنِـــي يَالَخـــوَانْ
وَسْقَانِي بَالْجَرْيـــانْ أَمَحْــلاَهْ ابْحَرْ جـُونْ
خَادْ جْوَارَحْ الابْــدَانْ ....

وبين خوفه أن لايكون في مستوى هذا الحب :

لَعْقَلْ حَايَرْ هَيْمَـــانْ وَنَاسَاهِي غَفْـــلاَنْ
وَالْعُمْرْ مْضَى خُسْــرَانْ طُولْ حْيَاتِي مَدْيُـــونْ

إنما يعود فيستبشر ويبشر : أوليس هو الشفيع ؟ نعم

هُوَ دَبَّابْهَا انْهَارْ يْضِيقْ الْحــالْ فِي يُومْ اللْ تْفِيدْ مَخْلُوقْ انْدَمَـــا
مَا بِينْ الانْبِيَا وْالافْضَالْ الأرْسَالْ كَبْدَرْ وْسِيمْ حِينْ تَعْظَمْ لَقْيَامَـــا
أَنَا لَهَا يْقُولْ طَيَّبْ كُلْ افْعَـــالْ هَذِي بُشْرَالْنَا بْالْعَفُو وَسْلاَمَــــا
وَكْمَالْ شَفَاعْتُو مَنْ اللَّه كْرَامــــا

ويختم بالصلاة على النبي الكريم ... وقد سبق أن قال في المقطع الثاني :

مَا فَ صْلاَتُو نُكْـــرَانْ وَالنَّاكَرْهَا مَلْعُـــونْ

وهذا رد صريح واضح على الذين كانو يروجون لطروحات الفكر المعتز لي المتطرف في عصره ، وإن دل هذا البيت على شيء ، فإنما يدل على تصوف امتيرد في حب الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ...

من الجيلالي متيرد الى الجيلالي الحقيقي

نَارْ الْبِينْ اللِّي كْدَاتْ بِينْ ضْلُوعِي وَسْفَـــاقِي وَالْمُهْجَا وَالدَّاتْ حَارْقَـــا
هِيَّجْهَا قَبْلْ الصْيَامْ فَ : اعْضَايَا رِيحْ اشْـــوَاقِي وَتْرَكْ رُوحْ الدَّاتْ شَايْقَـــا

مَنْ شوْقِي هلُّو دمُوعْ عيْنِي فـ َ : الْخَدْ اسْــواَقِـــي أوْ امطَارْ تْصبْ دَاْفقَـــا

وَالنُّومْ احلَفْ مَا يرُومْ جَفْنِي ضيّ أو اغسَـــاقِـــي ساَهرَتْ اوقَاتِي الْفَاسقَـــة

شلاً مَا قَاصِيتْ فـ َ : الْمْحبّاً وَالشّوْقْ وبَـــاقِـــي كَانتْمْنَا ساعَتْ الْقَـــا

هِيّ عنْدِي عزْ منْ الرّوحْ اللّي بِهَا بَـــاقِـــي وغْلاَ منْ عيْنِي الرّامقَـــا

وَحسَنْ منْ مَالِي امعَا اهلِي وَاحبَابِي وَارفَـــاقِـــي وفْضَلْ لِي منْ كُلْ مَا ابقَـا

وحْلاَ منْ شهَدْ الْجبَاحْ ، وطيَبْ فِي قلْبْ اعشَـــاقِـــي منْ طيبْ النّسْمَا الْعَابقَـا

لاَينَ قدْرْ اللّي اعشَقْتْ عَالِي .. وعْظِيـــمْ .. ورَاقِـــي منْ لاَذَاقْ مْحبْتُو شقَـــا

قُوتْ الرّوحْ ، ونُورْ للبْصيراَ .. وضيَالَمْـــــأَقِـــي منْ سرُّو الاسرَارْ دَافقَـا

تعرفنا على "محبوب" الجيلالي امتيرد ... من أول جملة في قصيدته :

حُبْ حبِيبْ الرّحْمَـــانْ خمّرْنِي يالَخْـــوَانْ

لكن "محبوب" الجيلالي لحقيقي ... مر المقطع الاول بكامله ولم نتعرف عليه ... كل ما في المقطع ... هو وصف لما يعانيه من هذا الحب الذي لازمه "قبل اصيام" أي من صباه وأن أقصى ما يتمناه هو ساعة لقاء ...وأن ساعة اللقاء هاته ... أعز من الروح ، وأغلا من المقل ... وأحب من المال والاهل والاحباب والرفاق ... وأحلا من العسل ، وأطيب من كل نسمة عطرة ... ويختم المقطع بقوله :

لاَينَ قدْرْ اللّي عشَقْتْ فَالِي ... وعْظِيمْ .. ورَاقِـــي منْ لاَ ذَاقْ امحَبتُو شقَـــا

قُوتْ الرّوحْ ، ونُورْ للبْصيراَ ، وضيَا لَمْـــأَقِـــي منْ سرَوّ الاسرَارْ دَافقَـــا

أعطِيتْ الْبِيعَة الْمَالْكِي وعْلاَ حسْنْ اتفَـــاقِـــي عَاَهدتُّو بعْهُودْ وَاتْقَـــا

غِيرْ أنَا وَاللّهْ وَالسنَا منْ طِيفْ الْيَشْـــرَاقِـــي كَانتْ بيْعَا حقْ خَارقَـــا

امتْزَجْ طَبْعِي امعَاهْ وظْهَرْ سرُّو فـ َ خـــلاَقِـــي واَفقْنِي جلْ الْموَافقَـــا

يْعدَلْ أوْيْجُورْ هذْ الْعصرْ حسْبِي روُنَـــاقِـــي وسْعَادَتْ روُحِي الرّاَيقَـا

عندما يصل الانسان الى هذاالحال من التجريد ، يصير حقا من الصوفية الكُبَارْ، ولا أقول المُتَصوِّفَة .

"يَعْدَلْ أَوْ يْجُورْ هَذْ لَعْصَرْ" لا يهم - حَسْبِي رُونَاقِـــي   وَسْعَادَت رُوحِي الرَّأيــقَا

على كل حال ... القصيدة أكبر بكثير من أن تحلل في جزء من كتاب ... والمعول على القارئ الكريم - أن يقرأها بحضور تام ..... فماذا باستطاعتي أن أقول عن هذا البيت ؟ ...

غِيرْ أَنَا وَاللَّهْ وَالسْنَـا مَنْ طَيْفْ الْيَشْـرَاقِـي   كَانَتْ بَيْعَا حَقْ خَارْقَـا

والبيت الذي يليه :

امْتَزَجْ طَبْعِي مْعَـاهْ وَظْهَرْ سْرَوْ فَ : خَـلاَقِـي   وَافقْنِي جَلْ الْمْوَافقَـا

فانا لا أحلل القصيدة كما ينبغي التحليل ... ولا أتعامل مع النقد وفق أصوله ومناهجه ... بل أكتفي بإشارة هنا وأخرى هناك وأمر مر الكرام على كل المواطن التي تحتاج في تحليلها الى صفحات وصفحات ... لان طبيعة الكتاب لا تحتمل ولان المدائح المحمدية الملحونة تحتاج الى مجلدات ومجلدات ، وليس الى عشر فصل في كتاب .

وتْمَـامْ مْنَايَـا وْغَايْتِي ونْهَـايَتْ تَرْيَـاقِـي   وكْمَالْ النَّعْمَا اللاَّحْقَـا

العْطْفَا لَمْدَاوْمَا بْجُـودَكْ تَشْرَقْ فْ غْسَـاقِـي   شَمْسْ الْحَقْ اتْدُومْ شَارْقَا

لاشك قد لاحظت - عزيزي القارئ - هذا الالتفات المفاجئ ... من ضمير الغائب الى خطاب الحاضر ... يسمونه في حضيرة الملحون "تنبيه اللي غفلوا" ... وربما خصصنا له فقرة أو فقرتين في الفصل الذي نخصصه لفنون البلاغة في فن الملحون .

إِلَى يَتْجَلاَّ بْهَاكْ كَانَفْنِـي فِي تَمْحَـاقِـي   بَشْعَاعْ انْوَارُو الْخَارْقَـا

وِيلَا نَحْجَبْتِي يْتِيهْ عقْلِي وِيهِيـجْ حْمَـاقِـي   وَنْهِيمْ فْ بْحُورْ غَامْقَـا

حَطِّيتْ حْمُـولِي فْ : بَابْ عَطْفَكْ مَنْ فُوقْ انْيَاقِـي   لاَيَنْ بَتْقَلْهَا الْوَاسْقَـا

كَلَّتْ وَبْعَادْ الْمْسِيرْمَا بِينْ ضْعْفَـانْ رْفَـاقِـي   وَمْسَارَبْ لَحْيَاتْ خَانْقَا

فِي بَابْ حْمَاكْ الْعْظِيـمْ دَقِّيتْ وْتَـادْ وْثَاقِـي   بَالسكِّينَا وَالْمْلاَيْقَـا

وَجْعَلْتْ هْوَاكْ العْظِيـمْ دُكَّـارْ لْغُصَنْ وْرَاقِـي   وَثْمَارْ نْوَاحِي الْبَاسْقَا

أنهينا المقطع الثاني ... وبدأنا في الثالث ... ولا يزال لا يتحدث عن حبه الكبير هذا ألا بالاشارة والتلميح ...

سْقَانِي لَمْدَامْ ذَالْمَحَبَّة أَمَـامَنْ سَـاقِـي   صَهْبَا مَخْتُومَا امْعَتْقَا

خَمْرْ قْدِيمْ بْلاَ عْصِيرْ مَا يَتْشْرَبْ بْعَرَاقِـــــي || بِه أَنْفَضَــــالْ الْقَوْمْ تَتْسَقَــا
يَسْرِي سَرْيْ الرَّاحْ فَ : الْعْضَا وَطْلُوعْ السُّرْيَاقِي || رُوحِي وَأَبْدَانِـــي امْحَقْـقَـا
لَمْحَبَّا تَفْنِي رْسُومْ ذَاتِـــي هَذَا تَحْقَـــاقِي || وَالْمُهْجَـــا بَالْحَقْ حَاقَّــــا
بَرْدْيَا "تَاجْ الْكْرَامْ" صَهْدْ مْشَـــاهَبْ تَحْـرَاقِـي || بَاكْوَابْ الْخَمْـــرَا الْعَاتْقَــــا
وَسْقِينِي حَتَّى نْشَـــاهَدْ الْمَتْحَجَّبْ فَ : رْوَاقِـي || نْفُوزْ بْطِيـــبْ الْمْعَانْقَـــا
نَنْسَى مَا عَانِيتْ مَنْ مْرَايَرْ فَ : عْـذَابْ فْرَاقِـي || فِي لَحْظَـــافَنَّا مْرُونْقَــا
بُوجُودْ الْعَطْفْ اسْعِيدْ وَطْلُوعْ بْهَـــاكْ الرَّاقِــي || يَا "سِيَدْ" مَنْ ســـادْ وَرْتْقَــا"
بَعْدْ خْفِيتْ هْوَاكْ فَ : الْعْضَامَا نَافَعْ تَضْرَاقِـي || وَنْوَارُو فَ : الْقَـــلْبْ عَامْقَــا
وَسْفُورَتْ لُونِي مْعَا نْحُولِي وَسْهِيـــرْ غْسَـاقِـي || مَنْ حَالِي لَحْبَـــابْ شَافْقَــا
رَحْمَا رَسْلَكْ رَافَعْ السْمَا لَجْلِيلْ الْخَـــلاَّقِـي || بَشْرِيعَـا كَشْمَسْ شَارْقَــا

الآن فقط - وبعد أزيد من ثلاثين بيتا كلها رموز وإشارات صوفية محضة ... كلها تلحيقات شاعرية رائعة ... كلها حالات شعورية صادقة ... يعرضها لنا بتعبيرات موحية تؤكد صدق الشعور - الآن فقط ... يعرفنا بحقيقة المحبوب .

رَحْمَا رَسْلَكْ رَافَعْ السْمَـــا لَجْلِيـلْ الْخَـلاَّقِي || بَشْرِيعَـــا كَشْمَسْ شَـارْقَا
وَسْرَى بِكْ فَ لِيلَتْ السْعَـــادَا فُوقْ الْبُرَاقِـي || وَعْطَاكْ الْحُجَّـــا الصَّادْقَـا
يَابَحَرْ مَنَ الْجُودْ وَالْفَضَلْ يَا مَحْبُـــوبْ الْبَاقِـي || مُولْ الْقَـــدْرَا دَايَمْ الْبْقَـا
أَنْتَ مُولْ الْحَوْضْ وَالشْفَاعَا وَالتَّـــاجْ الرَّاقِـي || خَبْرَتْ بِكْ السْـــوُنْ نَاطْقَـا
وَدَّكْ مُولْ الْمُلْكْ الْعْظِيـــمْ الْحَيْ الـرَّزَّاقِـي || بِمْحَاسَنْ لَبْهَـــاكْ لاَ يْقَـا
الرَّفْعَا .. وَالْجَاهْ .. وَالْعْنَايَا .. يَاضَيْ رْمَاقِـي || لِيلَـكْ فَ : الأَزَلْ سَابْقَــا
وَتْجَلاَّ نُورَكْ فَ الاكْوَانْ شَعْشَعْ مَنْ كُلْ افَـــاقِ || بَســرُورْ الْبَهْجَة الدَّافْقَــا
الْحِلْمْ .. الرَّحْمَا .. وَعْلَمْ وَاسَعْ.. شَعْ فَ : الادْوَاقِـي || وَفْضَــايَلْ مَاهِي مَضْرْقَــا

أَنْتَ هُوَ صَاحِبْ الشّفْـــاعَا يُومْ "التَّــلاَقِـــي   يُومْ تْكُــونْ النَّاسْ غَارْقَـاَ
فَ : بْحُورْ خْطَاهَا تْفُكْــهَا بَامَرْ مَنْ عَتَّــاقِـي   وَتْخَلّي لَحْسُـــودْ شَاهْقَـا

☆☆☆

اِلَى غَابْ بْهَـــاكْ فِي مْنَـامِي وَالْلاَفْفْيَـــاقِـــي   تَبْقَى رُوحْ الـذَّاتْ قَلْقَـــاَ
يَتْحَيَّرْ قَلْبِي مْعَا "الْوِجْدْ" وَيَقْـــوْاَ تَفْـلاَقِـي   وَنْفَاسِي تَمْشِـــي مْلاَحْقَـاَ
وَشْدَا عَطْرَكْ فَ : الاكْوَانْ مَنُّو كَانْ اسْتَنْشَاقِـــي   فَ حْدَايَقْ زَهْرِي الْحَادْقَـاَ
شَمِّيتُو وَحْيِيــتْ بِــهْ بِينْ دْهَــاتْ الْحـدُّاقِـــي   فَ : غْصَانْ دْوَاحِي النَّايْقَـا
قَالْ "الجِيلاَلِي" ابْمَدْحْ طَهَ عَمَّرْتْ اسْـــوَاقِـــي   جَاتْ اهْلَ الْحَضْرَا امْسُوقَـاَ
رَبْحُوا بَصْـلاَتْ النَّبِي فَضْلْ مَا تَحْصِيهْ اوْرَاقِـي   بِمْعَنْتُـو لَعْقُـــولْ فَـايْقَا
خُذْ ارَاوِيهَا الْفَـاظْ تُورِيلَكْ طَرْزْ مْسَـــاقِـي   فَ : بْيَـاتْ رْقِيقَا وْرَايْقَـــا
لَحْقِيقِي يَهْدِي سْلاَمْهَا لَدْهَـــاتْ الْحَـــدَّاقِـــي   أَوْلاَدْ الزَّهْـــرَةْ الصَّـــادْقَا
صَلَّى اللَّهْ عْلِيــكْ يَا أَمَــامْ اهْلَ الفَضْلْ الـتَّاقِـي   يَا سَيِّــدْ مَنْ فَازْ وَرْتْقَـــاَ
يَا تَاجْ الرُّسْلَ حْبِيبْ رَبِّي يَا ضَيّ ارْمَـــاقِـي   بَصْـلاَتَكْ الانْجَـابْ تَرْتْقَا

☆☆☆

كان هذا هو النص الكامل للمداحية الصوفية ، وكما كتبها الجيلالي لحقيقي جازاه الله عن مكتبة الملحون بكل خير ... ولعل القارئ الكريم ، قد لاحظ أنها من نفس النبع الذي استقى منه الجيلالي متيرد .

الاشارات والرموز الصوفية ... هي هناك ، كما هي هنا .. التحليق البعيد والغوص العميق ... هو هناك كما هو هنا ... حتى المعجزات هي نفس المعجزات ... معجزة القرآن عند امتيرد .

صَلِّيوْا اعْلاَ الْعَدْنَـــــانْ   مَنْ جَانَا بَالْبَيَـــــانْ

وعند لحقيقي "وَعْطَاكْ الْحُجَّة الصَّادْقَة" وهي القرآن

معجزة "الاسراء والمعراج" عند امتيرد :

لِيلْ سرْى بَالسرْيَـــانْ	رَتْفَعْ لَلسبْعْ امتْـــانْ
وْيُومْ حرْمْ بَالْجَمْعَـــانْ	صلَّي وَصْعَدْ مَامـــُونْ
تَمْ دْنَــاهْ الْمَنَّـــانْ	لَبْسَاطْ فْ : علْو الشـَّانْ
قَلْبُو يَسْمَعْ يَقْضـَــانْ	وِبْنَاظرْ دُونْ عيْـــونْ

وعند لحقيقي

وَسْرَى بِكْ فْ : لِيلْتْ السعْادَا فُوقْ الْبرَاقْ

ومعجزة الاخبار به في الكتب السابقة عند متيرد : "مَنْ قَبْلْ الْ يْزِيدْ خَبْرَتْ بِهْ كْتُبْ ... وعند "لحقيقي" :

خَبْرَتْ بِكْ الْسنْ نَاطْقَة" ....

والشفاعة المحمدية يوم الفزع الاكبر ... قال فيها متيرد المراكشي :

طَهَ دبَّابْهَا انْهَارْ يْضِيقْ الْحَـالْ	فِي يُومْ الْل تْفِيدْ مَخْلُـوقْ انْدَمَـــا
مَابِينْ الانْبِيَا وَالافْضَالْ الارْسَـالْ	كَبْدَرْ وْسِيمْ حِينْ تَعظَـمْ لَقْيَامــَــا
أنَا لَهَا يقُولْ طَيْبْ كُلْ فَعَــالْ	هذِي بشْرَالنَا بَالْعَفْـــوُ وَسْلاَمــَــا

وَكْمَالْ شفَاعتُو منَ اللَّـــهْ كْرَامَا

وقال فيها لحقيقي الفاسي :

فَأَنْتَ هُوَ صاَحِبْ الشفْاعَا يُومْ التْلاَقــي	يُومْ تْكُونْ النَّاسْ غَارْقَـــا
فَ : بْحُورْ خَطْاهَا تْفَكْهَا بَامَرْ منْ عتَّاقِي	وَتْخَلِّي لَحْسُودْ شَاهْقَـــا

بل وحتى الصلاة على النبي الكريم ، للجيلالي لحقيقي فيها ، نفس اعتقاد الجيلالي امتيرد : فهذا يقول "ما ف : صلاَتُو نْكْرَانْ وَالنَّاكْرهَا مَلْعُونْ وذاك يقول : "بَصْلاَتَكْ الانْجَابْ تَرْتْقَا"

أرجو أن أكون قد أحسنت الاختيار ... ولو أن من الصعب جدا جدا ، أن يختار الانسان ثلاث قصائد فقط ، من ثمان مائة قصيدة في المديح النبوي ...نعم ياحصرات القراء ، ثمان مائة قصيدة في هذا الغرض فقط وليس كل الاغراض ... أفلا يصعب الاختيار ؟ .

مديح نبوي للشريف محمد بن الوليد

اللازمة:

هَلْ يَاتْرَى نَلْقَــــاكْ　　وَنْشَــاهَدْ نُورْ بْهَــاكْ　　يَاأحْمَدْ يَــاطَهَ
يَالْمُصْطَفَى زِينْ الزِّينْ　　وَيَا جَدّْ الْحَسْنِينْ

★✪☆

آهْ عْلِيَّ بْهَــــــوَاكْ　　يَامَنْ رُوحِي ، فَ هْوَاكْ　　عَزْهَا وَهْوَاهَــا
يَا اللِّي فِيكْ الظَّنْ احْصِينْ　　وَنْتَ الْحِصْنْ الْحَصِينْ
سِيدِي لَكْرِيمْ عْطَــاكْ　　وَالرَّحْمَا مَنْ مَعْطَاكْ　　لَلْعْبَادْ عْطَاهَــا
بِكْ إِسْلاَمْ الْمُسْلِمِينْ　　صَحْ الصَّدْقْ الْمُبِينْ
صَــحْ الهُدَى بَهْـدَاك　　انْهَارْ اللَّهْ اهْـــدَاكْ　　لَلْهْدَى وَهْدَاهَا
وَدْهَا فِي لِيلْتْ الاتْنِينْ　　بِكْ الْمُولَى لَحْنِينْ
يُومْ الْحَقْ تْـــــوَلاَّكْ　　أُوبَانْوَارُو جَــــلاَّكْ　　دَرْجْتَكْ عَلاَّهَــا
شَرْفَكْ وَنْصَرْ بِكْ الدِّينْ　　يَا تَاجْ الْمُرْسَلِينْ
وَسْلاَمْ اللَّهْ رْضَــــاكْ　　وَيَعَم اللِّي يَرْضَــاكْ　　شُوفْتَكْ نَرْضَاهَا
يَاالشَّافَعْ فَ : الْمُذْنِبِينْ　　وَتْخَمَّرْنِي فَ : الْحِينْ

★✪☆

ابْدِيتْ فَ : انْشَادِي بَاسْمْ اللَّــــــهْ
نَنْسَجْ حُلاَّفَ : النَّسْبْ هَاشْمِيًّــــــا
بَرْزَاتْ مَنْ شْجِيًّــــا

بلَفَــــاظْ مرَتْضِيـــــــــا
ونَقُــــــولْ يَا اللّهْ مُولَايـــــاَ
احسَنْتْ فيـــــكْ ظَنْ رْجَايــــاَ
ارْحَمْ جْوَارْحِـــــي وَعْضَايَــــا
يَــــــامَنْ رْزَقْتْ الاسمَــــاكْ
ورْفَعْتْ سمَكْ الافْـــــــلاَكْ
نَبْغِنِي لَنْهَاجْ الرْضاَ انـَالْ سلاَكــــي
لَلسْــــــلاَكْ نْسلَكْ آســـلاَكْ
نَتْوَسلْ بَاسمَكْ لِيــكْ أوبْصَادُو طَـــهْ
وقَــــافْ وَالرّحْمَـــانْ أويَسِـــينْ
وَالقُرْآنْ الْمُبِـــــينْ

☆✬★

يَا أحمَدْ صرَخَتْ مَنْ نَــــــدَاهْ
لاَتَحرَمْنِـــي مَنْ شُوفَكْ اَلْهَـــادِي
رَانَاكَا النّادِي
يَاشَـــــافَعْ الْعْبَـــــادِي
وبِلاَ نْــــــرَاكْ يَـــــا مُحَمَّدْ
بَلْســــــاَني مْعَكْ انْشَهْــدْ
وَنْــــزُوكْ فِي بْهَـــاكْ أونَسْعَدْ

وَنْشَـــدَّ فِيــكْ وَنْـــــــرَاكْ
كَمَا صَحْــــــابَكْ اتــــرَاكْ
يَفْجَا بْنُورَكْ ظْـــــلاَمْ خْلاَكـــي
وِيشْرَقْ فِيــا نُــورْ ضْيَــــــاكْ
وَنْصَلِّـــــي مَنْ مُــــــورَاكْ
رْكَعْتِينْ نـــــــــــــزَاهَا
نْصِيبْهَا يُومْ خْلاَصْ الدِّيــــــــنْ
تَلْقَفْ ذَنْبِـــــــي لَمْتِــــــــينْ

✪☆✯

مَا حَرْ حَالْتْ بْطْــــــــــاكْ
عَنْ ضَـــــيِفْ جَـــاكْ نَــــادَاكْ
مَنْ قَامْ بَالْفَضَلْ وَاشْ انَــــاكِـــي !
الضَّــــيِّفْ يَا مُحَمَّدْ لُـــــولاَكْ
مَـــــا تَتْشَرَّفْ عُقْبَـــــــاكْ
مَا تْكُـــــــونْ نْبَـــــاهَـــا
لَلاَشْـــــرَافْ الْمُقَرَّبِـــــينْ
وَلاَلَّلْمَسَـــــــاكِـــــــينْ

✪☆✯

يَا الْهَاشِمِـــــــي نُـــورْ اللَّـــــه
هَلْ يَامَنْ دْرَا نَلْقَـــاكْ فِي مْنَامِـــي
نَرْتَـــــاحْ مَنْ سْقَـــامِي
وَنْزَّهْ النْيَـــــــامِـــــــي

نَظْــــرَافْ : صُورْتَكْ لَكْرِيمـــــاَ

فــــــيهَا البُشْرَى وَغْنِيمَـــــا

يَا أَبْ لاَ للأْ فَـــــاطِمـــــــاَ

كَرْمْ الْكْــــــــرِيمْ مَثْـــــوَاكْ

وَرْفـــعْ دَنْـــــــرَاجْ مَـــــتْوَاكْ

أَنْتَ فَ : الرَسْــــــاَلْ الزَكْـــــي

وَاسْمُو مَقْــــــرُونْ بَــــــأَسْمَكْ

وَالشَّمْسْ ابْنُـــــورْ ضْيَـــــاكْ

شَعْشْعَتْ فَ سْمَـــاهـــــــاَ

مَنْ قَرْعْ بَـــــــابْ ظْفَرْ بَمْنَـــــاهْ

فَضْلاً عَنْ مَنْ يَقْرَع بْـــــابْ جــــدَّوُ

حَاشَـــــــا يْخِيبْ قَصْـــــــدُو

فَ : اللِّي بْغَــــــاهْ عَنْـــــــدُو

وَنْتَ يَــــــــــاحْمَدْ لاَبَـــــدُّ

تَكْرَمْ حَفِيـــــــــدَكْ بْمَوَدَّـــــاً

مَنْ قَبْلْ مَا تْفُــــــوتْ الْمُـــــداً

الْهَرَمْ دَرْكْ الْحْـــــــــــرَاكْ

وَرْمَا عْقَــــــــــالْ الادْرَاكْ

وَالشَيَّبْ قَـــــامْ جَنْدُو لَعْــــــرَاكِي

وَالاعْضَــــا كَلَّتْ مَنْ الْعــــــرَاكْ

وَقْتْ الصغُّرْ الهَتَّــــــــــــــاكْ

فَ : الْوْعَرْ خَــــــــــــــلَّاهَا

طـــــــالْعَة فِي عَقْبَةْ سَتَّـــــــينْ

يَا طَهَ بِـــــــــينْ وبِـــــــينْ

★✪☆

يَـــا الْمُصْطَفَى ضِيــفْ اللَّـــــهْ

رَحَّبْ بِيَّ يَاخَـــــــاتَمْ الرَسْـــــالَا

وَقُلْ لِّـــــــــي تْعَــــــالاَ

دَغْيــــــا بْلاَ مْهَـــــــالَا

نْرَا انْـــــــوَارْ وَجْهَكْ لَجْمِـــــيلْ

مْعَا جْمَـــــــالْ خَدَّكْ لَأْسِــــــيلْ

وَنْرَى جْـــــــلاَلْ طَرْفَكْ لَكْحِـــيلْ

فَرْحَـــــــا وْعِيدْ نَحْكِـــي وَنْحَاكِي

عَنْ امْتَكْ وَالنَـــــاكِي فَ : عـــــذَاكْ

وَنْصَبْحْ امْـــــــنَ التِّيَّــــــاكْ

مْنِيتِـــــــي وفَاهَـــــا

خَالَقِــــــــي رَبْ العَالَمِـــــــينْ

مَلِكِ يَوْمِ الديَّـــــــــــــــنْ

★✪☆

أَشْ رَامَنْ لاَ شَـاف بْهَـــاهْ

كُلْ مَا نَالْ فْ دُنْيْتُـو خْسَـارَا

لاَ مَـالْ لاَتْجَـارَا

وَلاَ يْلْـو عْمَـارَا

سَعْـدَاتْ مَنْ شَفْـاوْا ابْصَـارُو

فَ جْمَـالْكْ أحْمَدْ وَانْـوَارُو

دَارْ الْكْـرَامْ هِـيَّ دَارُو

نَعْمْ الْعْظِـيمْ صَطَفْـاكْ

سُبْحَـانُو وْنَبَّـاكْ

وَانَا فِي سْكُونِـي وَحْـرَاكِي

نَرْتْجَـى عُمْرِي مَا نَخْطَـاكْ

نَصْبَـحْ وَنْـرُوحْ مْعَـكْ

رَاحْتِـي كُلَّهَـا

فِيـكْ .. عَادْ الزَّادْ أُولَغْوِيـنْ

عَـزْا مْنَ الوَالِدِيـنْ

☆★★

زَانْـتْ اسْمَـاوَاتْ أُو أَرْضِـينْ

بِكْ اسِيـدْ الثَّقْـلِين

لاَإِلاَه إِلاَّ اللَّـــــــــــــــهْ

وَنْتَ رَسُـــــول اللَّه يَا الْمُخْتَــــارْ

مَنَّك نُورْ الانْوَارْ

وَنْتَ سِيــــــــدْ الابْــــــرَارْ

أَنَا دْخِيلْ لِيكْ بْ قـــــَافْ الْقُـــدْرَا

وْعِينْ عَزْ صَحْــــــابَكْ عُشْـــــرَا

وْبُو الْفَضَلْ وْفــــــَاطْمَة الزَّهْـــرَا

وْلاَمْ لَمْــــــــــــــلاَكْ

اْلقـــــــرْاَبْ عَنْدْ مُــــــــولاَكْ

هَا انــــــَا وَاقْفْ فْ : بَابَكْ شــَاكِي

زَكْتْ يــــــَا مُحَمَّدْ فَ حَمْــــــاَكْ

فَادِي رُوحــــــــِي بَفــــــــدَاكْ

مَنْ يَدْيــــــــــنْ عَدْاَهـــــــَا

نَفْسْهــــــــَا وَهْوَاهَا لَخْشِــــــينْ

وَالشَّيْطــــــــَانْ اللَّعِـــــــينْ

★★☆

خْيَارْ كُلْ مَا نَتْمَنَّـــــــــــــــاهْ

مَنْ هَذْ الدَّنْيــــــَا جُودْكْ الْعَرْبِـــــي

هَــــــــذَاكْ حَدْ رَغْبِــــــــي

يُغْفَرْ بـــــــــهْ ذَنْبِـــــي

سِيــــــــدِي انْدُوزْ فَ حْمَـــاكْ

بْشُـــــــرَا مْنَايْنْ نْـــــرَاكْ

خـــدْ يَا رَاوِي سَـــرْ اللَّــــهْ

وْتْأمَّلْ فَ : كْلاَمِي وْقَيْــسْ وْجُـــولْ

هَذَا الْحَــــدِيتْ مَنْقُــــولْ

عَنْ مْلُــــوكْ لَعْقُــــولْ

الَّـــــى أَنْتَ الْبِيــــبْ وْعَــاقَلْ

خْضَعْ أُوتْـــــأَدْبْ وَمْتَـــاَتَلْ

حَتَّى تْنَـــــالْ قَصْدَكْ كَـامَلْ

وَحْكِـــــي عْلاَمَنْ صَنْعَاكْ

وَاللِّــــي جَاوْسَقْصَـــاكْ

أَنَا اسْمِــــي أَفْ رْمُوزْ "كْتَابْكِــــي"

وَعْتْبَرْتْ الكَنْيَـافَ : "فَجَـــــاكْ"

ايَكْفَـــــاكْ اَيَـــــزَّاكْ

انْتْهَـــا وَلَّـــلا : "هَـــا"

وَالسَّــــلاَمْ عْلَى الْمُومِنِــينْ

وَعْلَى الْمُجَاهِدِيـــــــنْ

لا أعلم على وجه التحديد و أهو الانس بالرسول جعله يشطح مثل هذه الشطحات ؟ أم هو تدلل الحفيد في أحضان جده الحبيب .

وَنْتَ يَامْحَمْدْ لاَبُــــــــدً

تَكْرَمْ حفِيدَكْ ابْمَـــــــوَداً

★★★

رَحَّبْ بِيَّ يَا خَاتَمْ الرْسَــالَا

وْقُلْ لِـــــــي تْعَـــالاَ

دَغْيَـــــا بْلاَ مْهَـــالاَ

★★★

وعلى رأى الحاج محمد بنعمر المراكشي : "شْرِيفْ مْخَنْتَرْ . كِيفْ مَا كَالْهَا يَقْبَلْهَا جَدُّو إِنْ شَاءْ اللَّهْ" .

تعرف هذه القصيدة باسم "الهاشمية" ، لان كاتبها قال :

نَنْسَجْ حلَّة ف : "النَّسَبْ" "هَاشْمِيَّةْ"

أهو تذكير "بهاشميات" الكميت ، وما قال فيها عن آل البيت ؟وقوله :

هَذَا الْحَدِيثْ مَنْقُـــــولْ

عَنْ مْلُوكْ الْعَقُـــــــولْ

أَوَلاَ يعني أولئك الذين مدحوا الرسول في حياته ، والذين أثنوا عليه بعد وفاته،صلى الله عليه وسلم ، والذين دافعوا عن آل بيته ؟ .

فمدائح حسان ، وبانت سعاد لكعب ، وتائية دعبل في آل البيت ، وقصائد الشريف الرضى في صريع كربلاء ، وقصائد مهيار ، وميمية ابن الفارض ، وبردة البصيري وبديعية ابن حجة الحموي ، ومدائح ابن نباته ، تزاحم قصائد الملحون في مخطوطات ، وتقاييد ، وكنانيش المكتبات الخصوصية لمعظم "الخزانا" أي رواة الملحون ...

بل أن فقرات طويلة من خطب الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نجدها في المخطوطات الملحونة كمقدمات لقصائد معينة مثل "عريس الجنا" "اتفافح" "اشباب الغساني" "العرفاويا" "الشافي".

فمثلا في مخطوط "الهاشمي" بوشعرة "السلاوي" - وقد وجدته في حوزة الحاج محمد بنغانم - لازمة " العرفاويا".

رَيْحِي وَسَرُورْ الْقَلْبْ وَالْمْنَا حبْ عْظِيمْ الْجَاهْ   مُولْ الْحْلاَ وَالتَّاجْ يَا الْغَافَلْ كَثَّرْ فَ : صلاَتُو

صلَّى اللَّـــــه علْيـــــهْ

حَالِي لاَ حَالاَ مَنْ فْرَاقْ سِيدِي رَسُولْ اللَّـــهْ   أَمَضْرَا يَارَبِّي انْشَاهَدْ مْقَامْ شَفِيعْ امْلَّتُو

قَلْبِـــــي شَايَقْ لِيـــــهْ

وبعدها مباشرة .. أي قبل بداية القصيدة ، نجد هذه الفقرة من خطبة للامام علي كرم الله وجهه :

"أرسله على حين فترة من الرسل ، وطول هجعة من الامم ، واعترام من الفن ، وانتشار من الامور ، وتلظ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقهاوإياس من ثمرها ، واغورار من مائها ، قد درست منار الهدى وظهرت أعلام الردى ، فهي متجهمة لاهلها ، عابسة في وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف ورثارها السيف" وبعد هذه الفقرة مباشرة نجد النصف الكامل لقصيدة العرفاوية ...

بل أننا نجد في بعض المخطوطات للعربي المكناسي مدائح نبوية ملحونة تتخللها أبيات فصيحة ، ولعلها كانت تستعمل كمواويل للترويح بين كل مقطع وآخر :

يا مصطفـــــى من قبل نشــــاة آدم	والكون لم تفتح له أغـــــلاق
ايـــــروم مخلوق ثنـــــااءك بعدما	أثنى على أخلاقك الخـــلاق

✪☆✭

بعدت همة عـــــــين	طمعت في أن تـــــــــراك
أوما يكفي لعينــــــي	- جعلت نفسي فـــــــــداك -
أن ترى من قد رأى من	قـــــد رأى من قـــــدرآك

✪☆✭

ألايا محب المصطفى زد صبــــــابة	وضمخ لسان الذكر منك بطيبــــــه
ولاتعبأن بالمبطلين فإنمــــــــــا	علامة حب الله حب حبيبــــــــــه

✪☆✭

الغرض الثالث :

"لوصايات" أو "لوصيات" وهي قصائد كثيرة ومتنوعة ، منها ما هو ديني كالقصائد التي تنطلق من حديث جبريل المعروف "الاسلام ، الايمان ... الاحسان" وتركز على الكتاب والسنة . ومنها ما هو اجتماعي يشمل سائر الاخلاق والواجبات ويعتمد على التجربة والملاحظة.

غير أن هذه القصائد منها ما يوجه للمجتمع بصفة مباشرة كقول "بنعلي" :

لَّهْ يَا ابْنَ الدُّنْيَا خُذْ وْصَايْتْ الدهَاتْ اللِّي مَرْوِيًّا

قُلْ مُومَنْ لِيكْ نْظَمْهَا وْخُوكْ فـَ : اللَّهْ

ومنها ما يخاطب فيه الشاعر نفسه :

يَا هَذْ النَّفْسْ اللِّي مْجَرْعَانِي كِيسَانْ الْأَسَا

رَجْعِي بِيَّ مَا حَدْنِي لْدَابَا مَا قَاطَعْ يَاسْ

أو يخاطب قلبه : "قَلْبِي يَا قَلْبِي تُبْ وانْتْهَى مَنْ لَهْوَكْ وَرْمِيهْ"

أو يخاطب شخصه : "أَرَاسِي نُوصِيكْ يَا الزَّايَدْ تَعْبِي وَشْقَايَا"

وهكذا يكون التوجيه والنصح بصفة غير مباشرة ... وتكون القصيدة وكأنها تجربة شخصية عاشها الشاعر ... وعبر عن إحساسه بها ... وهذه ـ لعمري ـ أروع قصائد هذا الغرض ، وأحبها الى قلوب الناس فليس فيها أستاذية ، ولا استعراض عضلات ، ولا تسبب للمستمع أية ضآلة أو تحقير..

فالشاعر يخاطب نفسه ، أو يحدث عن نفسه ، والمستمع يستمع .

فالقصيدة في الواقع لا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد .. ولكنها في الحقيقة تفعل في وجدانه ما الله به أعلم :

وقد اخترت من التوجيه الديني قصيدة "الخمس اوقات" باعتبار أن الصلاة عماد الدين . وأنها أكبر صلة بين العبد وربه ... ومن التوجيه العام الذي يجمع بين الدين والدنيا ، والمجتمع والناس ، قصيدة "لّه يَا ابْنَ الدنْيَا" ومن التوجيه الصوفي :

"زَانْ تَقْلِيدُ ومَنْ صَلَّى خَلْفْ إمَامْ"

الخمس أوقات للشيخ لحمر

يَارَاسِي خِيرْ لِيكْ تُبْ لَمُولَاكْ وْعظَمْ الْقَدَرْ   بَالْحَمْدْ وْغَايْتْ الشكُــــرْ

الْحَيْ الْوَاحَدْ الْمُهَيْمَنْ مُولْ السَّطْوَا الْعَالْيَا

احْمَدْ نَعْمْ الْكْرِيمْ مُولْ الْقُدْرَا لَمْدَبَّبْ الأَمَرْ   وَطْلَبْ لَعْفُو مْعَا السَتْــــرْ

وَالْعِنَايَا مْعَا الصَحَّةْ وَالْبَرَكَا الْوَافْيـــــَا

رَبِّي غَانِي كْرِيمْ جِيدْ مُوجُودْ يَسَمْحْ وِيغْفَرْ   وِيشَافِي هَوْلْ كُلْ ضَـــــرْ

يْسَلَكْنَا جْمِيعْ بَالْعتْقَا مَنْ نَارُو الْحَامْيـــــَا

بِجَهْ هْلَ الصفَا وْجَاهْ الْكُتُبْ وْجَاهْ مَنْ ذكُرْ   وَهْلَ الْقُرْآنْ وَالذكْـــــــرْ

وجبل عرضا وجاه من داروا عمرت كل زوايا

بِجَاهْ شيَاخْ وَالتْلَامَذْ وَنْجُومْ الدَاجْ وَالْبْـدَرْ   وَالأَوْلِيَا هْلَ الصبْــــــرْ

وَالشَمْسْ وْجَاهْ مَنْ تْضَرَّعْ وْهْلَ النِيَّةْ الصَافْيَا

سألت شيخي وأستاذي سيدي إدريس العلمي رحمه الله عن معنى "نجوم الليل ، والبدر والشمس" في هذا السياق : فأجاب رضي الله عنه : "نجوم الداج هم الانصار والمهاجرين الذين انعكس عنهم نور الشمس ، فأضاؤوا به ليل الحياة ... والبدر هو الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ... أما الشمس يرمز بها الى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

الْخَمْسْ اوْقَاتْ مَنْ حَضْــــــاهَا   بِهَا يَنْجَى مَنْ الْهْمُــــــومْ

الْخَمْسْ اوْقَاتْ مَنْ رْضَــــــاهَا   بِهَا رَبْحُوا هْلَ الْعْلُــــومْ

الْخَمْسْ اوْقَاتْ مَنْ قْضَــــــاهَا   قَالْ الْمُولَى رَبْحَتْ قَــــومْ

الْخَمْسْ اوْقَاتْ مَنْ دْخَلْتْ فْ قَلْبُو يَنْجَى مَنَ الْمَكْرْ   وَالْهُولْ وْغُمْتْ الْقْبَرْ

وِينَجِيهْ الْغْنِي الدَايَمْ مَنْ شدَّتْ كُلْ دَاهْيَا

الْخَمْسْ اوْقَاتْ فِي شَأْنْهَا كَمْ مَنْ حَدِيثْ مَشْتْهَرْ   وَامَا مَنْ أَيْ فَ السطَرْ

وَالصُومْ وْحَجْ مَنْ الارْكَانْ وْهَلْ لَكْتُبْ دَارْيَا

وَجْهَادْ النَّفْسْ هُوَ لَجْهَادْ بْصَدْقْ يْنَاسبْ الْعَصَرْ   وَهْلُو فَ : الْعَزْ وَالنَّصَـرْ

وَالزَّكَا فَرْضْ بِهْ تَبْقَى هَذْ الأُمَّا مْكَافْيَا

لاأسمح لنفسي بتفتيش وحدة القصيدة ، قصد تسليط الاضواء على أبياتها لاكتشاف مافي تلك الابيات من أفكار وآراء رائدة .

فقوله عالى سبيل المثال ... " وَجْهَادْ النَّفْسْ هُوَ الْجْهَادْ بْصَدْقْ يْنَاسبْ الْعَصَرْ

يحتاج الى تأمل .. وكذلك قوله"

"وَالزَّكَا فَرْضْ بِهْ تَبْقَى هَذْ الأُمَّا مْكَافْيَا"

إنما المعول على القارئ ، أن يقرأ تراث آبائه وأجداده ... بصبر وتأني ... ليستطيع سبرأغواره ، والوصول إلى خفاياه ..

يَا مَا اسْعَدْ كُلْ مَنْ عْمَلْ تْكْلُو فِي مُولاَهْ مَا خْسَرْ   عَنُّو يَسْهَالْ مَاوْعَرْ

مَاخَاسَرْ غِيرْ مَنْ تْمَادَا   وَسْعَفْ نَفْسُو الْخَاطْيَا

شُوفْ اهْلَ الدِّينْ كُلْ وَاحَدْ فَ : الْجَنَّا عَدْلُو قْصَرْ   وَقِيلْ : عَدْلُو اكْثَرْ

مُولْ الْحُسْنَا رْضَاهْ رَبِّي وَسْعَدْ مَنْ نَفْسْ رَاضْيَا

✪☆✯

يَارَاسِي لَلْغْنَى اسْتَرْجَــــعْ   وَعْرَفْ الْمُوتْ كَايْنَـــــا

صَغْيَ لِيَّ وْكُنْ تَسْمَــــــعْ   وَطْرِيقْ الْحَقْ بَايْنَـــــا

بَالصَّوْمْ مْعَا الصْلاَ وَتْوَلَّــعْ   وَالْمُكْتَابَا امْعَايْنَـــــا

نُوصِيكْ أَرَاسِي السَّاهِي قَلَّلْ مَنْ قَلّةْ الْوْقَــرْ   قِيلْ ثْلاَثَةْ أهْلَ الْغَــدَرْ

إِبْلِيسْ مْعَ الْهْوَى وَنْفْسَكْ هُمَا شَرْ الْمْلاَهْيَةْ

وَإِلَى تَسْمَعْ لِي نُوصِيكْ ، صَغَى لَمْوَاهبْ الذكَرْ   لُوطَالْ الفْلَكْ وَالْعْمَــرْ

لاَ تَتْبَعْ غِيرْ دِينْ رَبِّي قِيلْ الدُّنْيَا الفَانْيَة

أَشْ مَنْ زْهُو يْضَادْ الْخَمْسْ وْقَاتْ وْسَرْهَــــاَ ظْهَرْ   مَا كِيفْ وْلاَعْتْ الْفْجَرْ

وَالصُّبْحْ نْزَاهْتُه فْ وَقْتُو وَالنَّجْمَة فِيهْ ضَاوْيَة

ماكيف نْزَاهْةْ الدَّهُو وَنْزَاهَا بْصَفُوفْ تَتْذْكَـــــرْ   هَذَاكْ لْذَاكْ مَا صَبْـرْ

مُورْ الإِمَامْ كَاتْبَايَعْ نَاسْ التَّقْوَى مْسَامْيَـــة

المقطع الرابع:

وَالعَصَرْ كْرَامْتُه كْــــرَامَة   وَهْلُه لَكْرِيمْ كَرْمَهُـــمْ

عَمْدًا عَمْدًا اللِّي تْغَامَـــى   يَتْوَفَّى وِيشْتَاقْهُـــمْ

أَنَا خُوفِي تْجِي نْدَامَـــة   لَلِّي هُوَ تَرْكْهُـــمْ

الْمُغْرَبْ يَا مَنْ تْسَالْ مَنْ صَلاَّهَا فِي وَقْتَهَا بْشَـــرْ   وَالعْشَا وَالشَّفْعْ وَالْوَتْـرْ

هَذَا رَبْحْ الاسْلاَمْ جُمْلَة وَاهْلَ النِّفَاقْ عَامْيَة

وَقْتْ الصَّلاَ مْعَ الاِمَامْ تَنْجِي وَتْزِيدْ فَ الْعْمَـــرْ   مَعْلُومَة مَا لْهَا نْضَـــرْ

وَالتَّارْكْهَا نْهَارْ يِبْعَتْ عِينُو بَالدَّمْ بَاكْيَـــة

فِي جَهَنَّمْ مَنْزْلُه فِي بِيرْ الْفَلَقْ يَنْحَشَـــــرْ   يَتْشَوَّى فُوقْ الجْمَـــرْ

اللَّهْ يْجِيرْنَا مَنْ الْقُومْ اللِّي بَالْجُورْ طَاغْيَـــة

تُبْ لْرَبِّي الَى بْغِيتِي تَغْنَمْ وَتْزِيدْ فَ : الشُّكْـــرْ   مَنْ تَابَعْ نَفْسُه خْسَـــرْ

عَايَشْ مَغْرُورْ غَرْتُه نَفْسُو وَإِيمَانُه الْخَاوْيَـــة

المقطع الخامس:

يَا حَيْ اللّْ يَنَامْ تَغْفَـــــرْ   وَرْحَمْ الاسْلاَمْ كَلْهَـــــا
نَتْوَسَّلْ بْالنْبِي الطَّاهَــــرْ   وَالْمُعْجِزَة وَسَرْهَـــــا
واصْحَابُو لاَ مْتْ الْغَنَـــادَرْ   رَضْوَانْ اللَّه عَنْهَـــــا
اللَّهُمَّ بْحَقْ مُلْكَكْ يَا رَبِّـــــي سَلّكْ الأُمْـــرَ   دَبَّبْ الاحْوَالْ يَالْبَـــرْ
احْنَافِي عَارْ لاَلّْ فَاطِمَة الزَّهْرَة البَاهْيَـــة
والسَّمَوَاتْ وَالْبْحَرْ وَالأَرْضْ وَالشْبِّيكْ وَالْقْبَـــرْ   وَالْخُلَفَـــا وبْــوبَكْرْ
نَتْوَسَّلْ بَالْفْضِيلْ عُثْمَانْ احْفَظْنَا مَنْ الْمْلاَهْيَة
اللَّهُمْ بْحَقْ عَالِي وَبْبَرْكَةْ سِـــــيدْنَاَ عُمَـــرْ   وْسَـــادَاتِي اهْلَ الْغَـــزْرْ
مْعَ الْحَسْنِينْ وَالاشْرَافْ وْأَهْلْ النَّجْمَة الضاوية
اللَّهُمَّ بْحَقْ فَضْلَكْ تَدْرَكْ الاسْـــلاَمْ بْالَنْصَرْ   يَا مَنْ هُو عَنْـــنَا اقْـــدَرْ
كَافِي يَا ذَا الْجْلاَل كَافِي وَنْتَ مُولْ الْمْكَافْيَة

المقطع الخامس:

مَصَّابْ يَجِي ضَيْنَا اعْيَانِـــــي   يَفْدِي فِي لاَمْتْ الْجْحُـــــودْ
هَذَ مَا قُلْتْ فِي اوْزَانِـــــي   سُبْحَانْ الْمَالْكْ الْـــــوَدُودْ
سَلَّمْ يَاحَافْظْ الْمْعَانِـــــي   لارْبَابْ الْفَنْ هَلْ الْجـــوُدْ
وَسَلاَمْ لِلْمَاهْرِينْ جَمْلَة مَا فَاحْ الْوَرْدْ وَالزْهَرْ   مَنْ عَنْدْ التَّايْكْ الاحْمَـــرْ
يُوصَلْ هَذْ السْلاَمْ لِيهُمْ تْرُوحْ الذَّاتْ هَانْيَة
بَعْدْ السْلاَمْ وَالصْلاَةْ عْلَى طَهَ طَيّبْ الذكْـرْ   مُحَمَّدْ سَيّدْ الْبْشَـــــرْ

صلَّى اللَّه علِيهْ قَدْ القَومْ الْحيَّــــة وفَانْيَـــة

صلَّى اللَّهُ علِيهْ عدَ الذكْرْ ومَافِيهْ منْ سَطَـرْ   ومَنْ يتْلِيهْ سرّ والْجهْرْ

وَهْلَ السنَّة وهْلَ الْحدِيثْ وَهْلَ الْهِمَّة الْعَالْيَـة

الهْمَامْ اللِّي يتُوكْ قبْلَة لِنَا مَازَالْ مَا ظهْـرْ   مَالُه مَابَانْ لُهْ خبَـرْ

مَنْ صَابْ يْجِي يَسَلْ سِيفُه مَابِينْ سيُوفْ مَاضْيَة

★★★

ـ اللازمة ـ

رَاجِي يَعْفُو اللَّه عَنِّي وَانْعُودْ مْوَابْدْ الْفَجَـرْ   نَعْبَدْ الدَّايَمْ الاكْبَــرْ

ونْكثّرْ فَ : الصلاَ علّى شفِيعْ الامَّة الزَّاكْيَــة

★★★

أما الشريف سيدي محمد ابن على الملقب ب :"ولد آرزين" .. فهو كالفقيه لعميري ينطلق من اطلاعه ، وليس من شعوره أو إحساسه..

وهو لا يخفي هذه الحقيقة ، بل يعلنها : "خُذْ وْصَايْتْ الدّْهَاتْ اللِّي مَرْوِيَّــا" .

"شْحَالْ مَنْ قَوْلْ وَرْدْ فِيهُمْ .. "هَذْ الْمْوَاعْظَة مَنْ عَنْدْ اللِّي عَارْفِينْ" ...

"اسْمَعْتْ فِي حدِيثْ اهْلَ العلْمْ ... "نُوصِيكْ كِيفْ وَصَّى " الْحْرِيرِي" قال

فَ : "الْمَقَامَة السَّاسَانِيَّة . " قالوا نَاسْ الْحدِيثْ وَاهْلَ الْعَرَبِيَّــة"

على كل حال ، هو لا يخفى أنه ينقل عن "الدهات" و "العارفين" و "أهل العلم " بل يعلن ذلك بالكثير من الفخر والاعتزاز ، بل إنه في اللازمة ينادي المخاطب ب : يابن الدنيا " .

لَلَّهْ يَا "بْنَ الدُّنْيَا " خُذْ ، وْصَايْتْ الدْهَاتْ اللِّي مَرْوِيًّا

قُلْ مُومَنْ لِيكْ نْظَمْهَا وْخُوكْ فَ : اللَّه

والمتصوفة ينعتون ما سواهم من عباد الله بهذا النعت "أبناء الدنيا" بل ويضيفون : "أن أبناء الدنيا لا يصلحون للآخرة ،

كما أن أبناء الآخرة - أي هم لا يصلحون للدنيا"

وقراءة متأنية لحديث : " من يكفله ؟ "تغنى عن مناقشة مثل هذه الاقوال .

يَامَنْ خْفَاهْ حَالْ الدُّنْيَا واحْوَالْ نَاسْهَا يَتْصَنَّتْ لِيَّ

اشْحَالْ مَنْ : "قَوْلْ وَرَدْ فِيهُمْ " يَامَنْ صَغْـــــاهْ

نستعرض مع "ابن علي" في هذه القصيدة إذن مجموعة من الاقوال التي وردت في : "حَالْ الدُّنْيَا وَاحْوَالْ نَاسْهَا".

اعْلاَ الاطْمَاعْ رَتْكَبْ حَالْ الدُّنْيَا وَحْيَنْهَا وَعْلاَ مَاهِـــيَّ

كِيفْ مَنْ شَيَّدْ سُورْ عْلَى الْفَضَا وَعْــــلاَّهْ

حْرُوفْ" طْمَعْ" كِيفْ اهْلَ الدُّنْيَا جْبَاحْ مَنْ دَاخَلْ مَخْوِيًّا

وَاشْ تَرْجَا فَ : اللِّي خَاوِي عْلاَ شْ تَرْجَــاهْ

علق "أحمق الجن" على هذا البيت بقوله : لو قدم حرف " العين" وأخر حرف "الميم" لاصبح اللفظ "طعم" وإذن لوجد فيه الكثير من الخير والبر والوداد . هي نفس الحروف "من داخل مخويا""

هِيَ الْغْرُورْ وَاللاَّهِي بِهَا كَايْغَرْ لُوشَاقْ الْمَدْهِيـــــــــا

وكُلْ مَنْ سْعَا لِيهَا مَغْرُورْ خَابْ مَسْعَـــــــــاهْ

لاحظ حرفية الآية :

وَالْكَانْزِينْ ذَهَبْ أو فَضًّا بِهَا جْبَاهْهُمْ تَضْحَى مَكْوِيًّا

فَ : يُومْ يَصْلاَ وَاعْلَى حَرْ الْجْحِيمْ وَالضـــــــاهْ

وحرفية الحديث :

جَنَّا لْكُلْ كَافَرْ وَسْجَنْ لَلْمُومْنِينْ هِيَّ هَذْ الدَّنْـــــيَا

مَنْ دْخَلْهَا وَخْرَجْهَا أَشْ خْرَجْ مْعَـــــــــاهْ

وَاللِّي تْقَدَّمْ تُوجْدُو وَاللِّي تَنْفَقُو تَرْبَحُو لاَشْكِّيَّـــــا

وكُلْ مَا تَرْكْتِي مَخْسُــــــــــــورْ غِيرَكْ الدَّاهْ

نُوصِيكْ كَانْ كُنْتِي دَنْيَوِي صـــاحَبْ للاشْغـــالْ الدَّنْيَوِيْـــا
عْلِيكْ بَالتَّنْزِيلْ اتْحَزَّمْ مْعْـــــاهْ وَقْـــــرَاهْ
وِيلاَ مَا دْرَكْتِي ستَّيْنْ عْلِيكْ بَ : الثْلاَثــين الْخَتْمِيًّــا
وْدِينَكْ تْفَقَّهْ فِيهْ فْ كُلْ بَـــــابْ تَفْقـــاهْ
وَقْرَا "الْبَيَانْ" وَ "الْمَنْطِقْ" يْصَفِّي النُّطـــقْ مَنْ كُلْ الْجَهْلِيًّــا
وْطَالَعْ مْنَ "التَّوْحِيدْ" اللِّـــي ابْلَغْتْ مَعْـنَـــاهْ
وْخُذْ مْنَ التَّنْجِيمْ حْسَـــابْ الْوَقْتْ وَالْفَصُولْ اللِّي مَسْمِيــًّا
لْجِـــيهَتْ الْقَبْــــلاَ تَتْوَجَّهْ كُلْ تُوجَـــاهْ
صَلِّي وْصُومْ وَاحْمَدْ وَشْكُرْ رَبْ الاشْيَاءْ كَـــامَلْ كُلْ عْطِيًّــا
دِيرْ مَايَبْغِي رَاحَمْ ضُعْفَـــنَا وِيَرْضَـــــاهْ
وَعْلِيكْ بَالغْرَاسْ للأَشْجَـــارْ التَّـــامَرْ اللِّي فِيهَا غَلِّـــيًّا
وهِيبْ غَرْسَكْ فَ : سْبِيـــلْ اللَّـــهْ تَرْبَحْ تْــنَاهْ
وَتْعَلَّمْ "الرْمَايَا" وَرْكُوبْ الْخَيْلْ لَلْجْهَـــادْ بْقَصْدْ النِّيًّـــا
وَ"السَّقَرْ" اتَّخْذُ لَلْحَرْبْ فْـــرَاشْ وَغْطَـــاهْ
زَكِّي وْعَشَّرْ ، وْصَدَّقْ ..ذَاكْ اللِّي حْـــلاَلْ لَلنَّـــاسْ الاغْنِيًّــا
وْكُلْ مَا فَ : الدُّنْيَـــا دُونْ الاحْسَـــانْ يُكْـــرَاهْ
نُوصِيكْ كَانْ كُنْتِـــي فَ : الدُّنْيَا لاَمْوَالْ لاَحَـــرْفَا نَقْلِيـــًّا
لاَغْرَاسْ وْلاَ "أَصَلْ" كَاتْعِيـــشْ فَ : كْـــرَاهْ
الرَّفْقْ فَ :الْمْعِيشَا افْضَلْ قَالُوا مْنَ التْجَارَا بَـــالَفْ مِيـــًّا
وْخُذْ رَاحَا فَ : نْصِيـــبَكْ مَنْ الْوَقْتْ وَشْقَـــاهْ
وَغْنَا عْلَى الْحْرَامْ بْ : الْحْلاَلْ كْفَـــاكْ كُلْهَا نَـاسُو مَغْنِيًّــا
وْكُلْ مَنْ يَقْنَعْ بَحْلاَلُـــو كْفَـــاهْ وَغْـــنَاهْ

اسْمَعْتْ فِي حدْيـــــــثْ اهْلَ الْعلْمْ العَارْفِـــــينْ الاسيَـــــادْ الأتْقِيـا
الْقنَـــــاعَا هِيَّ كَنـــــزْ الغنْـــــا فْ مَبْــــــــدَاهْ
"اقْضِـــــــي" بْمَا فْ : رزْقكْ وَصبْـــرْ حَتَّى الْيُـــومْ الاجلْ أوْلمْنيــاً
أشْ بِـــــــــــيدكْ مَاتخْتـرْ ؟ كُلْشِــــــي لْمُـــــولاهْ
وْلاَ تْشـــــــوفْ دُومـــــالِي وتْحَسَدْو وَالْحسَدْ مَنَ الْكُفْرِيـــــاً
وْلاَ تْقطَعْ ايـــــاً سكْ مَنْ اللِّـــــي عطَـــاهْ وَغْنــــاهْ
وبْغِي لْكُلْ مومَنْ مَا تَبْــــغِي لِيكْ كُلْهَا الاسْـــلاَمْ سْوِيــــاً
نَنْصْحــــــكْ وَنْصَحْنِـــي نَصْــحْ الْقلُـــوبْ وَافْـــوَاهْ
وْصَـــــايْتِي لْمَنْ يَصْغَــــى وَالتَّوْفِيــقْ مَنْ الْعَالَمْ كُلْ خْفِيـا
قَــــدْرْ اللِّــــــي قَدَّرْ رَبْ الاشْيَــــاءْ وَقْضَـــــــاهْ
أُوصِيـــــكْ كِيفْ وَصَّى "الحرِيـــرِي" قَالْ فَ : الْمقَامَـــا السَّسَانِيًّا
يُومْ وَاعَظْ وَلْدُو بْلَطَافْتُو وُوَصَّاهْ
إِيَّاكْ قـــــال لوُّ : تتْـــأمَّرْ لاَفَ : الْمُدُنْ وَلاَ فَ : الْبَادِيـــــاً
ايَّـــــاكْ تَتَّـــــاجَرْ لاَ حَاجَـــا فْ : بـــــيعْ وَشْــرَاهْ
ايَّــــاكْ الْفَــــلاَحَا وَالرَّزْقْ الضَـــأمْنُوا يْجِيبُـــو لِيــكْ وِلْـــيًّ
سَوْلْـــــو : كِيــــفْ يْعِيـــشْ ؟ فْ : دَنْيتـــــو : وُورَاهْ
لْبِيـــــبْ قَالْ لُوكُـــنْ .. وْكَيَّسْ .. لاَ تْكُونْ فَ لْسَانَكْ خَشْنِيًّـــا
مْسَـــاعَفْ ... صَـــرُوخِي ... مَنْ رَمْتُـــو تْعِيـــشْ فَ : حمَــــاهْ
بِـــالصَّدْقْ ... وَالْوَفَا ... وَالْكَلْمَا .. وَالْعَهْدْ ... وَالْقَبُولْ مَنَ الْوَهْبِـــيّاً

مَنْ قبْلَ عَنــــــوُ رَبْ الْكـــــايْنَاتْ هَنَّـــــــاهْ
أيَّاكْ الْغدرَ .. وَالشبْهَا .. وَمْوَاطنَ الاتَّهـــــامْ السوْئيـــــاً
خُوكْ فـَ : النَّاسْ اللِّي وَاتَــــــاكْ كُنْ لُوخـــــاهْ
وَاصلْ الرَّحِيمْ وَلَّا تَقْطَعْ صِيلتُـــــو فـْ : قُرْبْ وَلاَ بعْدِيـــاً
وَاصلُو لاَ تَقْطَعْ وَلُو يصِيــــــبكْ خطـــــاهْ
وَجْعَلْ كُلْ مَنْ شَأْتْ امِيــــرْ وكُن لِيهْ لِيكْ يكُونْ رعِيـــــاً
وكُلْ مَا شَأْتْ غنَا عنُّو تكُـــــونْ فـَ : ســـــوَاهْ
وَسَأَلْ كُلْ مَا شَأْتْ فقِيرْ آمَنْ تسَـــالْ فـَ : الدُّنْيَا الدُّنِّيـــاً
لاَشْ مـــــــا تَطلَبْ رَبْ الاَيْمَنْ مَعْطـَـــــــاهْ
نُوصِيكْ لاَ تْجَسَّسْ .. لاَ تَغْتَبْ لاَ تْنَمْ لاَ تَجْهَلْ أصلِيًّـــــا
كُلْ مَخلُــوقْ اللَّـــي مكْتــــــوبْ لِيـــــهْ ودَاهْ
وَالْغَاتبِينْ هَلْ الْمَعْــاصِي ، هَنُوكْ شرَ مَنْهُمْ فـَ : الْمَعْصِيًّـــا
وَاعظْ الْخــــــــلْقْ فـَ وَجْهُو لاَ تْدَمْ فـَ : قْفـــــاهْ
النَّفْسْ وَالْهوَى وَالشيْطَانْ عـــــــدَاكْ لاَ تـــأْمَنْهُمْ قَطْعِــياً
وَاشْ مَنْ عَاقَلْ يَا مَنْ يـــــا فْهِيـــــمْ فـَ عـْـــدَاهْ ؟
غَضْ الابْصـــارْ عَلْ لَحرَايَمْ وَفْ : شوُفتْ الْحرَايَمْ كُلْ خطِيـــاً
رَاقبْ اللَّــــــي خلَقَكْ فِي كُلْ حِـــــينْ وَخْشَـــــاهْ
وَاخْتَارْ مَنْ تْرَافَقْ شـــــوُفْ اللِّي طَـاعْ خَالقُو جَعَلُو وَلْفِيًّـــــا
عْسَى يْجَلْبَكْ وَتْوَ للِّـــي لَلْوحِيـــــــدْ وَحــــــدَاهْ

مَرْجُوعْنَا اللاصَلْ قَـــالُو نَاسْ الْحَـــدِيثْ وَاهْلَ الْعَرَبِيـــهْ

وَالاطْبَاعْ يَسْرَقْـــو الاطْبَـــاعْ يَالْلِّـــي تَـــاهْ

نُوصِيـــكْ دِيرْ زَادَكْ مَنْ مَا تَصْرَفْ مَنَ الايَّامْ اللِّي مَخْلِيَّـــا

اشْحَـــالْ مَا قَمْتَـــي تَرْحَلْ يَامَدْخَرْ بَـــلاَّهْ

اقْصَدْ لَلطْرِيـــقْ بَالافْعَـــالْ الطِّيْبَا وَتُوجَدْهَا مَخْلِيَّـــا

فِي صَحْـــوفْ فَعَـــالَكْ مَـــادَرْتْ رَاكْ تَلْقَـــاهْ

الَى فَعْلَتِي سِيـــهْ تَلْقَا ابْحَـــالْهَا وِيحْ اهْلَ السِّيـــهْ

وَمَنْ عَمَلْ حَسَنًا بَالْعَشْـــرَا صْحِيـــحْ مَجَـــزَاهْ

لَمْحَاسْنِـــينْ فَ : الْجَنَّا وَقْرَارْ النْعِيمْ فَ : الْقْصُورْ الْعَلْـــوِيَّا

وَالْجَحِيـــمْ يْـــرَاجِي لَلْفَاجْـــرِينْ بَلْضَـــاهْ

أَمَّا خِيـــرْ لِيـــكْ ؟ الْجَنَّا وَلَّا النَّارْ يَالنَّفْسْ الْمَدْهِيـــهْ

يَالَلِّـــي مَا يَعْـــرَفْ غَدَّاوِينْ مَـــتْوَاهْ

ابْكِـــي عْلَى ذْنُوبَكْ مَـــادَلَّكْ حَتَّى بَالدْمَا وَدْمُوعْ سَخِيـــهْ

يَـــاللِّي مَا زَالْ انْهَـــارْ الْحْسَـــابْ يَرْجَـــاهْ

هَذْ الْمْـــوَاعْظَا مَنْ عَنْدْ اللِّي عَارْفِـــينْ تَكْفِي لِيكْ وْلِيـــهْ

يَاللِّي صَـــابْ اللِّي نَصْحَـــو صْحِيـــحْ وَصَـــاهْ

سَتَّأمَنْ الاقْسَـــامْ فَ : مِيَاتِي "خُذْهُمْ كُلْ قْسَمْ بُوصِيـــهْ

وَكُلْ بَيْتْ عَنْ أيَا وَحْدِيـــثْ قَـــامْ مَعْنَـــاهْ

وَسْلاَمْنَا لَنَـــاسْ التَّسْلِيمْ مَا فَاحْ الزْهَرْ بَنْسَـــومْ ذْكِيـــهْ

وْلاَسْلاَمْ عْلَى الْعَارَفْ مَنْ نْشَـــــاهْ وْعْصَـــــاَهْ

وَالْغَاتْبِينْيِّ فَ : الْغِيبــاَ لَمْلاَكْ جَاوْبُــوهُمْ فَ : الْغِيْبِيــاُ

وْلاَ يْعْرَفْ الْغْتَـــــابْ عْلِيــــهْ لَعْنَتْ اللّـــــهْ

وْشَرْ مَنُّو غَاتَبْ الاشْــــرَافْ مَنْ الْغَلْ وْمْنَ الْبُغْضِيــــا

وْمَنْ بْغَضْهُمْ يْبْغَضُـــــو فِي انْهَــــارْ يَرْجَـــاَهْ

امْحَبَّتْ الاشْــــرَافْ الْوَجْهْ اللِّي جَابْشِـيرْ وْنْـذِيرْ اللّبْرِيـاُ

وْمَنْ كْرَهُّمْ يْكَرْهُو مَايَــــنُوزْ فَ : حْمَــــاهْ

مُحَمْدْ اسْمِي وْرَجَـــايْ فَ مَنْ لاَيْخَيّبْ الّلاسَــلاَمْ رْجِيّـا

وَلْدْعَيْنْ الرَّحْمَــاَ نَعْمْ الْجْلِيــــلْ مْصَطْفَـــــاهْ

اعْلِيهْ الصَــــلاَتْ امْنَ اللَّهْ مَا دَامْ الصبَّـــاحْ وْكُلْ عْشِيّـا

مَاتْنْتَهِـــــى وْسَـــلاَمْ اللَّهْ كِيـــفْ يَرْضَـــاَهْ

افتتحنا هذه الاغراض الدينية الثلاثة بقصيدة "الصرخا" أي الاغاثة ، وهي لسيدي عبد القادر العلمي. ونحب أن نختتمها بقصيدة "الإمامة" "زَانْ تْقْلِيدُو مَنْ صلّى فْ خَلْفْ إمَامْ"؛ وهي لنفس الشاعر .

تقع هذه القصيدة في واحد وستين بيتا على قافية الميم .

وهي ككل رسائل الشيوخ الكبار الى مريديهم ، تتابع المريد في كل أطوار حياته خطوة خطوة .

أَمَّا مَنْ ضْعِيفْ الزَّادْ عْلَى السْلُوعْ رَسَـــمْ   مْعَا الْتّجَارْ فْ : بِبَانْ سْوَاقْهاَ يْزَاحَمْ

هكذا بدأ القصيدة ... عينة من البشر سباقة في كل ميدان ، وتزاحم رواد كل ميدان .

كْفَاهْ مَسْكِينْ بْسِيمَتْ هَلْ الْفَنْ يْسَامْ   وْلاَ فْ مْلْكُو مَنْ ذَاكْ الْفَنْ غِيرْ الاَسَمْ

يكفي الواحدمن هؤلاء أن يصنف ضمن أهل هذا الميدان أو ذاك ، حتى ولو لم يكن يعرف من هذا الميدان أو ذاك إلا الاسم

هو يشير في هذين البيتين الى المشعوذين المتطفلين عى "اسواق أهل الله" لكن المثل ينطبق على كل المتطفلين في كل

الميادين ، خصوصا وأنه أضاف :

تَاجَرْبْغِيرْ بْضَاعَا بَالْفَضُولْ يْتْهَـــــامْ   كِي دْخَل يْخْرُجْ حدّْ شْطَارْتُو يْسَاوَمْ

مَا وْصَلْ مَا وَصلْوهْ الْوَاصلِينْ الْكْـــرَامْ   غِيرتْهُمَا لَسقْتْ مَنْ جُمْلْتْ الْمْتَاهَــمْ

ويدخل بنا الى صلب الموضوع :

الطَّامَعْ بْأُجْرَا لَلْخَدْمَا يْشَدّْ الْحَــــزَامْ   وِيبرّْ بْ : مَخْدُومُو ، وَلْطَاعتُو يْلاَزَمْ

الاجرة هنا هي رضي الله ، هي روح الله ، هي البشرى بالقبول ، والخدمة هي كل الرياضات والمجاهدات من قيام وصيام وأذكار ، وأيضا قضاء حاجات الناس وتقديم العون لهم ، إنما ـ وكما سبق القول ـ فإن الامثلة التي يصنعها سيدي عبد القادر العلمي ، يراعي في صنعها أن تكون صالحة للدنيا ، كما هي صالحة للدين ، إذ يتوجب على كل طالب أجرة .

.............لَلْخَدْمَا يْشَدّْ الْحْــزَامْ   وِيبرّْ بْ : مَخْدُومُو ، وَلْطَاعتُو يْلاَزَمْ

ولاَ يْكُونْ قْلِيلْ الصُّرْخَا كْثِيرْ لَمْــــلاَمْ   عْيُونْ رَاسُو يَقْظَانَا وَالْقْلِيبْ نَايَمْ

وْلاَيْقُولْ خَدْمَ نَاسْ الْحَالْ كَمْ مَّنْ عَــامْ   وْلاَ نْظَرْ لَلسَّعْدْ بْشَارَا وْلا عْلاَيَمْ

يَجْتَهَدْ فَ : الصّبْرْ أُويَرْجَا صْرُوفْ الايَّامْ   كِيفْ يَرْجَا الرَّاحَا مَنْ هُوَ مْرِيضْ عَادَمْ

وْلاَ يْكُونْ مْثَلْ مَنْ يَغْشَاهْ مَرْضْ لُوخْــــامْ   سَاعْتْ الرَّافَا يَلْقَا خَاطْرُو مْفَاكَمْ

وْلاَ يْكُونْ فْ : لَحْرُوبْ بْلاَ سْلاَحْ زْعَّـامْ   بَاشْ يْلَقَى صَدْمَتْ لُوغَا الَى تْلاَطَمْ

وْلاَ يْكُونْ عْلَى الْبَعْضْ مْنَ الْوْرَادْ قْــدَّامْ   بْدُونْ "عَارَفْ" شَيْخْ مْرَبِّي فْقِيهْ عَالَمْ

نعم إن أهل الملحون يشترطون الشيخ للتلقي ، ومن أقوالهم في هذا الباب : "شِيخْ بْلاَ شْيَاخَا بَاطَلْ شَاخْ" "وْشِيخْ بْلاَ شِيخْ لُوعْمَرْ جْبَحُو خَالِي" ، ولكنهم لا يشترطون في الشيخ الذي يعلم الملحون أن يكون بهذه المواصفات : "عارف ، مشيخ ..مربي .. فقيه .. عالم" : فالمسألة أكبر بكثير من "شيخ لفريحا" أو "شيخ شْجِيّاً" إنه الشيخ الذي قال عنه الامام الغزالي في الاحياء ، وفي غيره من كتبه :

ينبغي للسالك شيخ ، مرشد ، مرب ، ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ، ويجعل مكانها خلقا حسنا] وفي مكان آخر يقول : [ولابد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده الى سبيل الله تعالى] ويشترط في الشيخ [أن يكون من فقهاء الشريعة ، ومن المعرضين عن حب الدنيا ، وحب الجاه ، و أن يكون قد تابع لشخص بصير تتسلسل متابعته الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان الشيخ هكذا ، وكان محسنا رياضة نفسه من قلة الاكل والقول والنوم ، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم

وكان بمتابعة الشيخ البصير ، جاعلا محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل ، واليقين ، والقناعة وطمائينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوقار وأمثالها ، فهو إذا نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم ، يصلح للاقتداء به] .

وْلاَ يْكُونْ عْلَى الْبَعْضْ مَنَ الْوْرَادْ قْـــدَّامْ بْدُونْ عَارَفْ شيْخْ مْرَبِّي فْقِيهْ عَـالَمْ

ثم أن الاوراد تشمل الكثير من العبادات ومن ضمنها الاذكار ، والاذكار تكون ببعض اسماء الله الحسنى،والاسماء الحسنى في تعاليم السادة الصوفية ـ منها ماهو للذكر والتخلق ، كالكريم جل جلاله ، والحليم جل جلاله والعفو جل جلاله ، والودود جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتعلق، كالرحمان جل جلاله ، والملك جل جلاله ، والقدوس جل جلاله ، والعظيم جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتحقق كالاول جل جلاله ، والاخر جل جلاله ، والظاهر جل جلاله،والباطن جل جلاله ، ولهذا لا ينبغي للمريد أن يذكر بإسم من أسماء الله الحسنى إلا إذا أذن له الشيخ .

فالذي تغلب على نفسه الشراسة ، أوالرعونة ، أو الفضاضة مثلا .. ينصحه الشيخ بأن يذكر باسم القهار جل جلاله ، والذي لا تزال تزل قدمه ولو من حين لاخر ، ينصحه الشيخ بأن يذكر باسم التواب جل جلاله ، أو باسم العفو جل جلاله ، والخائف الوجل يذكر باسم السلام جل جلاله ، أو باسم المؤمن جل جلاله ، وأصحاب العلل المزمنة ينادون "يارحمان يارحيم" أو "ياأرحم الراحمين" وهكذا ...

فالشيخ إذن هو الذي يعرف طبائع نفوس مريديه ، ويتابع تحولاتها باستمرار . ويرصد ما يطرأ عليها من تغيير، وبالتالي هو الذي يعرف ما يصلح حال هذه النفس،وما يناسب تلك،فهو طبيب نفوس مريديه .

مَابْلُقْيَا ف : مْسَالَكْ هَلْ الْفَنْ يُـــــــرَامْ اصْبَرْ الاعْوَجْ مَا وَاتَاوْهْ الْخْوَاتـــمْ

الدْوَا النَّافَعْ مُرًّا شَرْبَتُوفْ : لُقْـــــامْ حِينْ يَتْجَرْعْ بَالتَّكْلِيفْ لَلْحْلاَقَـــمْ

وِيسْرِي لَلْجُوفْ يْنَقِّي عْفُونْ الاتْـــخَـــامْ مَنْ الْقَلْبْ الْمَلْسُوعْ الْمْبَتْلِي السَّاقَمْ

وهذه فلسفة سيدي عبد القادر في "الصبر والتوكل" كما أشرنا إليها في أول قصيدة من الغرض الاول .. الصبر عند تجرع الدواء ، والتوكل على الله في الشفاء . الصبر على مشاق العمل ، والتوكل على الله في إنجاح العمل .

وفي طريق القوم ، الصبر على الجوع والعطش في الصيام ، والتوكل على الله في القبول ، بل الصبر في كل الرياضات والمجاهدات التي يامر بها الشيخ ، ومن دون تأفف ولا تبرم والتوكل على الله في إصلاح حال النفس .

التْلاَمَدْ فَحْضَنْ الاشْيَاخْ مَثْلْ الايتَامْ وْمَنْ "طْرِيقْ القَوْمْ" الْمَكْفُولْ مَا يْخَاصَمْ "ما يخاصم" أي لا يجادل،فالمريد وهو في مجلس شيخه ينبغي أن يحترمه ظاهرا وباطنا . يقول الامام الغزالي في إحدى رسائله : [أما احترام الظاهر فهو أن لا يجادله ، ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة ولو علم خطأه ، وأما احترام الباطن : فهو ان كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن ، لا فعلا ولا قولا ، لئلا يتسم بالنفاق] .

وْ حِينْ يكْمَلْ حَالُو وَالرُّشْدْ فِيهْ يفْهَـــــامْ   يحَلْ تحْجِيرْ ومَنْ هُوَ علِيهْ حَـــاكَمْ

كَالْجِنَانْ الَى صبَ علِيهْ مُزْنْ الْغمَــــامْ   وقْتْ هِيجَانْ الْقَاحِلُو فَ : الدْجَا الْباهَمْ

يَزْيَانْ غَرْسُو يَطْفَحْ زَهْرُ وبْطِيبْ الانْسَـــامْ   بَعْدْ زَهْرُو يَثْمَرْ وِيعُودْ رَوْضْ نَـــاعَمْ

مَا يْلُومْ مَنْ عشَقْ مَنْ فَاتْ فِيهْ الْغْـــرَامْ   حِيثْ جفْنُو فِي بَحْرْ الْحُبْ كَانْ عايَمْ

إلىَ يشُوفْ خيَالْ حبِيبُو فْ : طِيبْ الْمنَامْ   يقُولْ مَا بَاقِي هَجْرْ وفْزْتْ بَالنْعَـــايَمْ

أمَّا إلَى تَمْ الْجمَعْ ووَاصلُو بْالاقْــــدَامْ   ونَادمُو وَحيَا بِهْ عوَاهْدْ الْمَـــرَاسَمْ

يْصدَّقْ الرُّؤْيَا يَشرَحْهَا بْخِيرْ وَســـلاَمْ   يصِيبْ حسَنْ الْفَالْ لْتعْبِيرْهَا مْــوَالَمْ

يَرْتْحَمْ : "السرّْ الْكُلِّي التَّامْ الْعَــــــامْ"   فْ : مَنْزْلاَ مَحْجُوبَا عَنْ لُومْ كُلْ لاَيَمْ

وبعد وصفه لجماليات البدايات ومحاسنها ـ وليس من الاقطاب الكبار من لا يحن الى لوامع بدايته وبوارقها ، وإلى ما رأى فيها من رؤى ، وما شاهد من مشاهدات ـ بعد وصفه الشاعري الجميل لبداية التنوق عند المريد .. إلى أن يرحمه الله بما أسماه : "السر الكلي التام العام" يبدو وكأنه يخشى على هذا المريد أن ينزلق ، أن تنال منه آفة من آفات الطريق ، فالانس قد يكون السبب في الشطحات ، والقرب ربما أوصل الى التمادي وسوء الادب ، ولهذا نراه يقول له بكامل الصراحة والوضوح :

زُوكْ فْ : السنَّة .. وَدْخُلْ تَحْتَ ظَلْ لَعْلاَمْ   وْلاَ تْكَدَّرْ صفُوْ الْحَسْنَاتْ بَالْمَـــــاثَمْ

وْلاَ تْبَدَّلْ صدْقْ الْيَقْضَا بْطِيبْ الاحْـــلاَمْ   وْلاَ تْقَابَلْ سرْ اهْلَ الْكَشْفْ بَالْمْنَـــايَمْ

كُنْ فِي مَجْمَعْهُمْ زَاكِي مْهِيلْ مبْهَـــــامْ   كُنْ عنْدْ الأمْرْ إلىَ أذْنُوكْ عــــــازَمْ

غَارْسْ الْحِيلاَ مَا يَجْنِي ثْمَارْ الْمْظْــــرَامْ   ابْحَالْ منْ يَزْرَعْ حبْ الْقَمْحْ فَ: السمَايَمْ

مَا يْفُوزْ بْغَلاَّ بِهَا علِيهْ ينْعَـــــــــامْ   مَا ينَالْ الرَّاحَة دغْيَا يعُودْ نـــــادَمْ

الْوَرَادَ بْلاَ لَــذاَّ نُوعْ مَنْ الالـــــــمْ   الْغدِيرْ حدَاهْ وْجُوفُو عطِيشْ فَـــاحَمْ

مَنْ تْعَبْ فَ : الْمَبْدَا يرْتَاحْ عَنْدْ الْخْتَــامْ   إلَى بْرَا ضرْ الْقَلْبْ ارْتَاحَتْ الكْــوَايَمْ

مَا يْلُوسَهُمْ قْصِيرْ الْبَاعْ بِينْ الاسْهَـــامْ   لُو يكُونْ فْ : ظَاهَرْ فَعلُو حرِيصْ عــازَمْ

وَاشْ حَقْ الصَّابِي يوْمْ الْخَلُوقْ يفْطَـــامْ — لالْبَا تَدْيْ أ ولا طَعْمْ لِيهْ رَايَـــمْ
غِيرْ كَاتُخْرَجْ دَا تُومَنْ غَمُوقْ الارْحَـــامْ — لْمَنْ انسَاهْ يسْبَحْ وَعْلَى اللْبَا ينْـــاهَمْ
يُوجَدْ نْعِيمْ فْصَدَرْ الأمْ بِهْ يُرْحَـــامْ — كِيفْ يُرْجَامْ ضْعِيفْ النَّبْتْ بَالرْهَـــايَمْ
مَنْ فَقَدْ تِيسِيرُو بِينْ اللّسُونْ يدْمَـــامْ — ضِيقْ لَمْعِيشَا يكْسَر هَيَبْتْ اصْــلادَمْ
كِيدْ هَاذْ الدُّنْيَا قَانُونْ شرْحْ يغْـــلاَمْ — الَى بْرَقْ ضَيْ الشَّمْسْ نْزَاحَتْ الدوْاهَمْ
صَالَحْ الرّيْ الصُحْبَتْ هَلْ الْخِيرْ يلْهَـــامْ — يَا هْنَاهْ الَى كَانْ بْحَقْهُمْ قَـــايَمْ
كُلْ مَنْ يَحضَرْ مَجْمَعْ ذَكْرْهُمْ يرْحَـــامْ — يْعَايَنْ الرّفَا بِاعْتِقَادْ لِيهْ جَـــازَمْ
حْلاَوْتْ الْعَطْفْ يطْلَبُوهَا خْصُوصْ وَعْـوَامْ — وَالاغْرَاضْ اخْتَلْفَتْ فَطْبَايَعْ العَـوَالَمْ
وَالشّبَابْ الْمَرْبُوحْ مْعَ وقُوفْ الايـــامْ — ايحَلْ بَابْ الْمَنْزَلْ ويفَتّحْ الشَــرَاجَمْ
الَى خْفَاوْ أَهْلَ الْحَكْمَا عْن عقُولْ الْغَشَامْ — يعْرَفُوهُمْ أَهْلَ التَّمْيِيزْ بَالْوَســـايَمْ

بودي لو أستمر في القاء بعض الاضواء على أبيات هذه القصيدة حتى النهاية؛إلا أن الاغراض التي لا تزال أمامي كثيرة جدا ، ويتوجب علي أن أترك لكل غرض حصته من صفحات هذا الكتاب . ويرحم الله القائل : "اذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار ".

وها قد ظهر المعنى الصوفي لهذه القصيدة ، وأرى أن لا ضير على القارئ إذا ما تركته مع ما تبقى منها دون أدنى تدخل مني .

اسْتَنْشقُوا رِيحْ الْمَسْكْ مْنَظْفِينْ الْخَشَـــامْ
لُو ينْحَجَبْ عَنْهُمْ ف : دوَاخَلْ الْمْكَاتَـــمْ
الْقْمَرْ مَنْ بَعْدْ يغْطِيهْ تُوبْ الْغْمَـــامْ
الغْلاسْ تْرَاهْ عْلَى هَالْتُه تْرَاكَـــمْ
يْبَانْ شَطْرُو وبْيَاضُه مَنْ الْجَوْ سهَّـــامْ
كِي يبَانْ الشّيْبْ مَنْ سَحُومْتْ اللْمَـــايَمْ

المقطع الرابع

مَنْ حفْظْ خَمْسَة دَالْحَسْنَاتْ حفْظْ مُحْكَـــــمْ

وفْيهْ رَسْخُوا كِي رَسْخْ الْوَشْمْ فَ الْمْعَاصَــــمْ

يَعْتَدْلْ مَيْمُونُو وَالسّعْدْ لِيهْ يَسْتَقْـــــامْ

يَرْتَفَعْ بَعْدْ الْخَفْضْ الْهَامْتْ الدّوَاخَــــــمْ

الصَّمْتْ وَالْعَزْلَة ، وَالْهدْنَة ، وتْرَكْ الْمْــــلاَمْ

وَالْقَنَاعَة ، وَفْرَاقْ الْبَعْضْ مَنْ بْنَـــــادَمْ

وْمَنْ تَرْكْ خَمْسَة دَالسيَّاتْ تَرْكْ عَــــزَّامْ

كِي يَتْرَكْ الْمَحْرُومْ اللِّي عْلِيهْ حَـــــارَمْ

الْحْسَدْ ، وَالْكِبرْ، وَالْجفَا ، وضِيقْ الاشْيَــامْ

وَالطْمَعْ بِيْتْ الذُّلْ ومْنَصْبْ الْحْشَـــايَمْ

كُلْ سِيةْ مَنْ دَالسيَّاتْ ضَرْهَا ســــامْ

فَاقْ سَمْ الْحيَّاتْ الرُّكْدْ السْـــــوَادَمْ

هْبِيلْ مَنْ يَزْعَمْ يَتْزَيَّا بْزَيْ الْكْـــرَامْ

وِيبْلِيسْ عْلَى عُنْقُهْ بَالاَقْدَامْ زَاطَـــــمْ

مَا يْلِقْ يُوجَهْ وَجْهُهْ لْهَذْا الْمْقَـــامْ

غِيرْ مَنْ نَفْسهُ فِي مَلْكُه مْثِيلْ خَـــادَمْ

تْرَيَّضْ ارْبَابْ الْفَنْ نْفُوسْهَا اللَّقْـــوَامْ

كِي تْرَيَّضْ الْعْرَابْ عْوَاصِيْ الْهْجَـــايَمْ

وَاشْ مَنْ بَاتْ عْلَى فَتْرَة وْضَلْ هَــــــوأَمْ

كَمْثْلْ مَنْ بَاتْ يْصلِّي وْضلْ صَــــــايَمْ

المقطع الخامس:

الشْرِيعَة جَزْرَتْ مَنْ فِيهْ بَانْتْ أَثْــــــامْ

لُو زْعَمْ وَايَنْ قَلْبُه مَنْ الْجَهْلْ سَـــــــالَمْ

وَالْحقِيقَة يَفْعَلْ مَارَادْ مُولْ الْحكَـــــامْ

عَبْدْ رَحْمُه سِيدُه مَا ضَرَتُّه جْرَايــــــــمْ

حَيَّاهْ بَ : الثُّوبَة مَنْ يَحْي رمِيمْ الْعَظَــامْ

وَأيدُه بَالْقُرْبْ وْنَقْدُه مَنْ النَّقَـــــــــايَمْ

الرَّوْفْ الْبَرّْ ، الشَّافِي ، الْغْنِي ، السْلاَمْ

يَنْتَجْ الْعُقْمَاويَنطقْ الْبــــــــــــوْاكَمْ

سَرّْ الاجَابَة فَ : صْدُورْ الرّْجَالْ مُكْتَــمْ

فُوقْ مَا يَنْكَتْمُوا الْكْنُوزْ وَالْحــــــــــزَايَمْ

سَرْهَا خَبْرُو بْجُودُه لْسُونْ الاقْـــلاَمْ

وْخَرَقْ عَادتْهَا فِيهْ قْصَارْتْ الْفْـــــــوَاهَمْ

نْقَايس ْالدُّرّْ مَنْ جْوَافْ الْبْحُورْ تْغْنَامْ

وْلاَ يْغُوصْ عْلِيهَا إِلاَّ شِيخْ عَـــــــــــازَمْ

مُسْتَمَرْ مْعَا مُوجْ البَحَرْ شِيخْ عَوَّامْ

مَنَ الصّغْرْ مَتْوَلَّعْ بَصْيَادتْ الْغْنــــــــايَمْ

كُلْ كَنْزْ فْ : بَابُه حرَّاسْ لِيهْ خُــــدَّامْ

وْمَنْ وْضَايَفْ شرْطُه الْبْخُورْ وَالْعزَّايَــــمْ

مَا يفْتَحْوُ إلَّا تَاقِي حكِيمْ نَجــــَّامْ

مَا يْهَمُّه رَصَدْ وْ لاَ تَرْهَبُو طــــلاَسَمْ

المقطع السادس :

مْنِينْ يَتْنَضَّفْ مَنْ الادْنَاسْ قَلْبْ الغــلاَمْ

وِيرتْحَلْ يَبْلِيسْ اللِّي كَانْ فِيهْ قــــايَمْ

كَالْمزَانْ الَى صبّْ عْلَى يْبِيسْ الاكْمَــامْ

زْمَرْدُه يَصْبَحْ فُوقْ بْيَاضْ الارْضْ رَاشــمْ

يَلْبَس يزَارْ خْضرْ وِيلُوحْ ثُوبْ الْحطَـامْ

لَلشبَابْ يْوَلّي مَنْ بْعَدْ كَانْ هَــــارَمْ

عْلَى عْطُوفْ اجْنَابُو يَرْخِي صنَافْ الْكْمَامْ

مَنْ الزْهَرْ وْعْلَى الرَّاسْ يْشَيَّدْ الْعْمَــايَمْ

يْطَرْ دْخْيَالْ السُّودَ عَنْ ضمِيرْ مْغْـمَامْ

حِينْ يفْتَح زْهَرًا نْوَارُو بْثْغَرْ بَــــاسَمْ

الَى نْشَرَ دُرْ لْقَاحُو فَ : السلُوكْ نَظـَّامْ

والنْظَامْ بْزَهْرُو تَتْزَيَنْ الْمْشَامَــــمْ

بْهِيجتُو يَنْفِي مَنْ الْمزَاحْ رِيحْ الْهْيَـامْ

كِيفْ تَهْرَبْ الْعْوَارَضْ مَنْ حرُوفْ الاســمْ

عْلىَ كْمَالْ الْحُسْنْ الْبَاهِي النَّايْرْ الْتـــــاَمْ

مَخْتْلَفْ الاغْصَانْ وْالاغْرَاسْ وَالنْسَايـــــــمْ

فِيهْ تَبْهَتْ وَتْحِيرْ دْهَانْ كُلْ رَكـــــــامْ

رَايَقْ النَّفْسْ مْفَنَّنْ صَاحَبْ التْرَاجـــــــمْ

مَا يْمَيَّزْ هَذْ التَّرْتِيبْ جَلْفْ مُبْهَـــــامْ

زَيْ أَصَمْ السَّمْعْ فْ مَحْفَلْ النْغَـــــــايَمْ

أَوْ زَيْ مْرِيضْ الَى شَاوَرْوُهْ بَطْعَـــــامْ

وْمَنْ عْوَايَدْ الْمْرِيضْ الزُّهْدْ فَ : الْمْطَـــــاعَمْ

مَا يْلِيَّنْ صَخُورْ الصَّلْدْ سِيلْ الاديــــامْ

لُوِيبَاتْ عْلِيهَا وِيضَلْ مَاهْ ســــــــــاجَمْ

المقطع السابع والاخير :

الْعْقِيلْ يْخَمَّمْ وِيفَقْهُو التَّخْمَـــــامْ

فِي عْجُوبْ الْخَنَّاسْ مْهَيَّجْ الْمْظَـــــــالَمْ

وْسَاوْسُهْ تَسْرِي فَ : الاجْسَادْ سَرْىْ الْمْدَامْ

يَاْخُذْ بَالْقْلُوبْ أو الْعْـــــرُوقْ وَالجَمَّـــــاجَمْ

دَاهْ شَاعْ وْدَاتْهْ خَتْفَاتْ عَلَ الْعــــــالَمْ

كِيفْ خَتْفَاتْ فْ : الْعْضَا عَلْتْ الْبـــــــلاغَمْ

مَا يْمَكْنُهْ قَوَّاسْ يْشَدْ فِيهْ بَســــــهَامْ

وْلاَ يْطَعْنُو رَمَّاحْ قْوِي بْسَنْ فَاصـــــــــمْ

مَنْ اَعْتَصَمْ بَاللّٰه وْفَــازْ بَالاعْتِصـــــــــامْ

هِبْتُو تَفْعَلْ فَعْلْ الْبَنْدْ فِي الصـــــــــــارِمْ

وِينْ مَا يَقْبَلْ وَسْوَاسْ اللْعِينْ يُرْجـــــــــامْ

يَنْطْرَدْ وَالْجَمْرْفْ : نَحْرُو لْهِيبْ ضـــــــــارَمْ

قُومْ طَهَّرْهُمْ الْمُولَى قْلُوبْ وَجْسَـــــــــامْ

لِ : يَبْلِيسْ يْظَهْرُوا فِي صُورَةْ الدّْرَاغَـــــــــمْ

مَا يْبَارَزْ الْعْدُو صَافِي يْقِينْ بَخْصَـــــــامْ

حِيثْ عَرْفُو يَسْرِي اللّْعْرُوقْ فَ الْمْنَــــــــاسَمْ

وْمَنْ سَلْمْ مَنْ ضَيْمُو مُحَالْ وَاشْ يَنْضَــامْ

صَارْ مَغْلُوبُو ، وَالْمَغْلُوبْ مَا يْلاَطَـــــــــــمْ

مَا يَنْحَجَبْ مَنْ نَزْعَاتْ الْعْدُو الْمَشْئَـــامْ

غِيرْ مَنْ بَالْحَقْ يْقِينُو صَدِيقْ جَـــــــــــازَمْ

وْمَنْ صَفَى مَنْهَاجُو وْلْقَى سْعُودْ الايـــامْ

رَايَسْ الْحَكْمَةْ بَالْحَاجَةْ يْجِيهْ قَـــــــــــادَمْ

أهَلْ الْوَفَا نَظْرَتْهُمْ لْكُلْ ضَرْ مُرْهَــــامْ

وَالْمَاتَمْ مَا يَسْتَغْنَى عْلَى التّْمَــــــــــايَمْ

اللازمة:

زَانْ تَقْلِيدُو مَنْ صَلَّى فْ خَلْفْ الإمـــامْ

الَى يْكُونْ فْ سَرْ ضَمِيرُو يْقِينْ جَـــــــــازَمْ

لا يفوتني أن أشير في نهاية هذا الغرض الى أن من بين قصائده ما يصل عدد أبياتها الى ست مائة بيت كوصية بوخريص مثلا :

يَا الْغـــــافَلْ عَنْ مَا يَعْنِيهْ وَالْعُمْرْ حــــانْ　　قُمْ ، وَاعْزَمْ ، وَاخْدَمْ ، يَكْفَى مَنَ اتْفَرْعِـــينْ

أو وصية بوزايد :

يَا هَاذْ النَّفْسْ اللِّي مْجَرْعَانِي كِيسَانْ الأَسَى　　رَجْعِي بِيَّ مَاحَدْنِي لْدَابَا مَاقَاطَعْ يِـــاسْ

أما قصائد المائة بيت ، أو ـأقل بقليل كحالية مريفق ، وهي نظرات في سياسة النفس على جانب كبير من الدقة .

يَالْعَاقَلْ نُورْ الإِلْهَامْ ضَنْ وَقَّـــــــاسْ　　بِهِ تَدْرَكْ لَعْقُولْ نْفَايْسْ النْفَـــــايَـــــسْ

أو تائية سيدي عبد القادر ، وفيها من غزير علم الاجتماع ما الله به أعلم :

لَعْبْ مَنْ غِيرْ شْطَارَا فُوقْ رُوسْ حَرْبَـــاتْ　　هَكْذَاكْ ابْنْ أَدَمْ مَثْلْثْ فِي عَشْرَتُـــــــــو

أو الدار لنفس الشاعر :

أَشْ مَنْ عَارْ عْلِيكُمْ يَارْجَالْ مَكْنَـــــاسْ　　مْشَاتْ دَارِي فَ حْمَاكُمْ يَاهْلَ الْكْرَايَــــمْ

على كل حال "وصيات" الملحون تعد بالمئات وليس بالعشرات .

ـ الغرض الرابع "الربيعيات"

"الربيعيات" بتشديد الراء مع تسكينها ، هي الابداعات الفواحة بعبير الورود والازهار ، الصداحة بأغاريد كل أنواع الطيور .

"الربيعيات" هي قصائد الاجواء عندما تخلو من غمائمها الداكنات السود ، قصائد السماء وهي تستعيد شبابها وصفاءها ونضارتها ، قصائد الارض ، هذه العروس وكيف تراءت لشعراء الملحون في حفل زفافها ، وكيف أصبحت في "اصبوحي" وهي كلها مستعدة للاخصاب .

وبتواضع العلماء ، أطلقوا على هذا الغرض بكل بساطة "الربيعيات" والحق أن هذا الغرض ، أكبر بكثير من هذه التسمية : الربيعيات" ذلك لان سائر الابداعات الملحونة، التي يشملها هذا الاصطلاح ، لم تقتصر فقط على الربيع ، وإنما شملت الطبيعة ككل ، ولم تتناول الربيع إلا من حيث أنه جزء من كل ، ويعبر عن الكل.وسوف نرى أن هذه الربيعيات لم تقتصر على وصف الربيع فقط ، وإنما وصفت لنا أولا الفصل الذي يسبق فصل الربيع ، يقول متيرد :

زَلْزَلْ الرْعَادْ سَهْلُو وَوْعَـــــــارُو　　بَاتْ طَالَعْ وَاصْبَحْ لْمَّاعْ مَنْ بْرُوقْ تْشِيـــرْ
وَرْيَاحْهَا تْشَالِي وَمْزُونْ كْمَا الْجْحُوفْ مَسْطُـــــورَا

ويقول ابن سليمان :

السْحَابْ اِلَى همُا سَحبُو اللّبْطَـــــــاحْ   يرْقَمْ الْفلْكْ رقَامْ الرعْدْ فَ : الْمْلاَمَــــحْ
والْبَرْقْ بَحْسَامُو يبْدْ وَشْجِيعْ الْكْفَــــاحْ   وْمَنْ سيْوفْ الْهَجْرَا قلْبْ الْعْضَا امْجَرَحْ
وَالرْعَادْ ايزَكْلَمْ طبْلُو علَى الوْفَا صـــَاحْ   حَمْلَ جيُوشُو نَارْ جَمْيعْ كُلْ نَايَــــحْ

ويقول نفس الشاعر :

الرّعْدْ زَامْ طَبْلُو منَ بعْدْ قْنَاطرْ السمَايَمْ   وَالبرْقْ سلْ سِيفُو ويخبَلْ فِي سلْوكْ لْمِيزَانْ
وَالرِيحْ فَارْس إيشَالِـــــــــــي   عنْ عقَابْ الْعلَفَاتْ فْ : خلَفْهَا مْشمَّــــرْ

ووصفت لنا ثانيا أين يكون الربيع ، البساتين ، الجنان ، الرياض ، السهول ، الجبال ، المروج ، الربى ، يقول التهامي المدغيري :

يَالعَرْصَة صوُلِي بِطِيبْ الاطيـَابْ   سَاكنْكْ سِيدِي ولْدْ السأكْنِينْ طِيبـــــَا

ويقول بن مسعود :

ابلْغتْ الضاضْ اتْسارِينَا جمِيعْ فرْيَاضْ   فَ : الشتَى وَالشمْسْ أُو الشرِيفْ ضلْ رَاضِي

ووصفت لنا ثالثا نتائج الربيع ، أو لنقل آثاره في الكائنات الحية التقارب ، التفاهم ، التجاوب ، الالفة ، التزاوج من أجل تخليد النوع ، أي نوع : الانعام ، الدواب ، الوحوش ، النحل ، النمل ، الفراشات الطيور ، الانسان ! نعم الانسان ... ولم لا ؟ أوليس الانسان أيضا من هذه البيئة الطبيعية التي تحيط بالشاعر ، والتي يصفها لنا في هذه الربيعيات ؟

فأنا في ترتيبي للاغراض ، جعلت "الربيعيات" و"العشاقيات" و"الخمريات" في مكان واحد،لاعتقادي بأن هذه الاغراض الثلاثة يكمل بعضها البعض الآخر ، تماما كما هو الحال في الاغراض السابقة : "لاإله إلا الله" عنوان التوسلات ، محمد رسول الله "عنوان المدائح ، وحاصل هذا الاقرار ، مكارم الاخلاق التي اشتملت عليها "لوصايات" .

ولعمري أن كل هذه الربيعيات التي ربما وصلت في عددها الى ثلاث مائة إبداع ، من "قصائد" وسرابات و"عروبيات" هي من باب " وأما بنعمة ربك فحدث" فالارض التي أكرمها الله تبارك وتعالى ببحرين بدل البحر الواحد، المحيط الاطلسي ، والابيض المتوسط وكم تصب في هذين البحرين من أنهار ، وعيون ، وآبار ، وشلالات ، وهذه التربة الخصبة الغنية المباركة ، قطع متجاورات عند النظر ، وغير متجاورات في العمق ، ليكون التنوع ، وليجعل الله لنا فيها من الخيرات ما تفرق في غيرها من أراضي الاوطان ، وهذا الجو المعتدل الجميل ، وهذا النسيم العليل المنعش ، لا في الاصائل ولا في البكور، وهذه الشمس التي أرادها المنعم الكريم صالحة لهذه الارض ، ونافعة لابنائها في سائر فصول السنة ، لو صادف كل ذلك ـ لاقدر الله البشر

العديم الذوق ، المتبلد الاحساس ، الميت الشعور ، المتحجر العواطف ، أولا تتلفه الغفلة ويطمره الاهمال ؟

ولكن لا .. المنعم الكريم ، الكامل ، الجميل ... الودود ... قد أتم نعمته علينا إذ جعلنا لا نغفل أبدا عما أنعم علينا به من نعم لا يحصيها عدد ، بل ننتفع بها وننعم ، ونحمده ونمجده ونثني عليه .

ف : السي التهامي مثلا ـ كما سنرى في النص الكامل ـ يختم الربيعية بقوله :

وَاجَبْ انْحَمْدُوا ونَشْكُرُوا تْبَارَكْ اللَّـــــــهْ   عْلَى النّْعَايَمْ لَجْزِيلاَ رَبّْنَا عْطَاهَــــــا

ونجد من لايستطيع الانتظار الى آخر القصيدة ، بل يحمد الله ويشكره ويثني عليه : مع كل رؤية ، مع كل صورة ، مع كل خاطر ، الحاج الحسن بنشقرون مثلا :

يَنْعَاتْ انْوَاوَرْ الْعْفَا وكْسَـــــاتْ الأَرْضْ   طَلّْقَاتْ اغْصَانْهَا اللّْفْضَا تَسْتَرْضَـــــا

مَنْ شَاهَدْهَا كْمَا نْشَـــــاهَا رَبْ الأَرْضْ   بَقْدُرْتْ مْوَاهَبُو كْمَا حَتَّمْ وَرْضَـــــا

وَجْعَلْهَـــا لَلْعْيُونْ فَـ : النَّظْرَا تَرْضَـــــى

غَاتْهَا لَكْرِيمْ ، الْوَفِي ، الْبَرّْ ، لْحْفِيـــــظْ   لاَحْتْ رْدَانْ غْطَاهَا وَالْكْرِيمْ حَـــافَظْ

ويقول في موضع آخر من نفس القصيدة :

ذَا الْمَلْكْ الشَّامَخْ الْمْتِــــينْ الّْلِ يَنْقَضْ   سبْحَانُو كَامَلْ الْعْطَا قَاضِي الْقْضَــــا

يَا سَاهِي تْرَكْ سِينْتْ النُّــــومْ اسْتَيْقَظْ   وَرْشَدْ الاعْيَانْ مَنْ سَهْوْهَا لَلْيَقْضَــــا

تَنْظُرْ مَا خْلَقْ مَالَكْ الْقُدْرَا وَقْضَـــــى

حتى الذي يغفل أو يتغافل بسبب من الاسباب ينبهونه :

"يَاسَاهِي تَرْكْ سِينْتْ النّْوْمْ اسْتَيْقَضْ" "فَارَقْ سَهْوَكْ نْظَرْ الاكْوَانْ" "حَلْ عَيْنَيْكْ وَتْنَزّْهْ زِدْ شُوفْ وَسْطَابْ" والامثلة كثيرة .

وإذا كان متيرد ، والازموري ، وبن سليمان ، وبن علي ، والغرابلي ، والحاج إدريس ، قد جعلوا في ربيعياتهم مجرد أبيات لحمد الله وشكره والثناء عليه ... فإن بن اصغير ، وبن سليمان وقدور لحنش ، ولهويتر ... قد خصصوا ثلاثة أرباع الربيعيات إما للتوحيد ، وإما للمديح النبوي وإما لهما معا .

نقرأ ربيعية بن الصغير الصويري فلا نجد فيها من جو الربيع إلا المقطع الاول ، والمقطع الثاني أما ما تبقى فليس إلا في توحيد الله والثناء عليه ، سوف نلتقي بمحمد بن الصغير الصويري في الملحون الروائي ، أو القصصي ، إنما الآن نثبت له هنا هذه الابيات العشرة من ربيعية له في "لرما الثلاثية" للدلالة على أن جل قصائد الربيع ، ماكان وصف الربيع فيها إلا كمركوب

إما للوصول الى توحيد الله جل علاه ، أو للوصول الى مديح النبي الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم .

والشاعر المغمور بن الصغير الصويري ، الذي لا تكاد تعرفه الا قلة قليلة من أهل الملحون هو من فحول الشعراء ، كما سيلاحظ القارئ الكريم لا في الابيات التالية ، ولا فيما سندرجه له من شعر قصصي في الغرض السابع من هذه الاغراض العشرة .

ويمتاز بن الصغير رحمه الله بخصوصيات لا نجدها أبدا عند غيره من الشعراء ، من هذه الخصوصيات ، التركيز على جزئية صغيرة بسيطة قد لا ينتبه اليها أحد ، مع وصف شامل لدقائقها ، وتفاصيل تلك الدقائق .

فمثلا في قصيدته "الشَّمْسْ وَالشتّا" ، نجده يركز في المقطع الاول بكامله ، على أشعة الشمس ، وهي تنفد من بين الاغصان لتنعكس على أوراق الشجر ، بما عليها من قطرات المطر ، أو لتشع في "سلُوكْ النُّقْرَا" .

شُوفْ انْوَارْ الشمّْسْ سَاطْعَـــــا .. شُوفْ الطَّلْ قْطَاطْرُو مْلاَت ْالْوَرَقْ أُو الازْهَـــارْ

تَتْبَاهَا كَالدُّرْ وَالتْبَـــــــــــرْ | فَرْقِيص ْأَلْوَانْهَا اتْحِيرْ النَّظْـــــــارَا

وَالّناظرْ لِيــ هـــــا اِلَى تمْلَمَلْ فَ : | النَّظْــرَا كُلْ لَــونْ يَتْبَدَّلْ فَ : الْبَصَــرْ

وَتْوَلّى لّلْـــــــوَانْ فَ : النْظَـــرْ | تَتْرَاقَصْ كلْهَا وْالافْكَـــارْ احيْـــــارَا

حبَّـــــــاتْ الْبَلُّورْ .. أَوْ جُوهَرْ .. أَوْ الْيَـــــاقُوتْ وَالتْبَرَاً أَوْتَقُـــــــولْ ادْرَارْ

فِي سَـــــايَرْ الاوْرَاقْ ذَا لشْجَـــرْ | وْعَنْ وَرِيقَاتْ كُلْ زَهْرْ أو نَــــــــوّْارَا

وَشْعَى ضَيْ الشمّْسْ كَالسبْــايَكْ | تَنْفَدْ مَنْ كُلْ جِيهْ مَا بِينْ غصَانْ اكْثَــارْ

وَمَا علَّل الاورَاقْ مَـــــــن الدُّرْ | يَتْبَارَقْ بِينْهَا وَالْمَطَرْ هَمَـــــــارَا

يَامَنْ شَافْ الشمّْسْ وَالشتْـــا فَ | رْيَاضَاتْ الْوَرْدْ وَالزْهَرْ وَالنُّورْ أُو الانْــوَارْ

حَالْتْ صَحْوْا فْ حَــــالْتْ الْمْطَرْ | وَالْمَاصَافِي شَرِيقْ وَالْكُونْ مَنْـــــارَا

شُوفْ دْمُوعْ الْفَرَحْ عَنْ خَـــــــدُودْ الْحَرْجَاتْ مْنُوْرَا اشْرِيقَا مَن دُونْ غْيَـــارْ

مَا فَــــيهَا لاَ حُزْنْ لاَ كَـــدَرْ | وَالدُّنْيَا شَـــارْقَا يْمينْ أوْ يْســارْ

ركز فقط كما لا شك قد لاحظ القارئ الكريم على قطرات المطر ، وهي تبدو عالقة بأوراق الاشجار وكانها : "حبات البلور ، أو جوهر ، أو الياقوت والتبرا أو تقول درار" وتتسلل أشعة الشمس من بين الخمائل والاغصان لتنعكس على تلك القطرات

فتحولها الى أحجار كريمة ترسل الالوان الزاهية البراقة ، التي تتراقص أمام الناظر وفق حركاته الخفيفة التي قد لا يحس بها .

أما المقطع الثاني يصرفه بكامله في التعجب ، الماء لا لون له ، ويلون كل الورود والازهار ، الماء لا عطر فيه ويعطر كل هذه الرياحين ...وهكذا ... وهكذا ... الى نهاية المقطع .

شُوفْ حــــرَاجْ الارْضْ كَالـــزْرَابِي ، وَتْأَمَّلْ فِي رْكَيِـــــمْهَا لاَ عَلَلْ تَحْتَــــارْ
كِيفْ حْتَرْتْ اَنـــافْ : مَا ظْهَـــــرْ وَذْهَلْتْ أوتَهْت كِيفْ تَاهُو شْعَــــارَا
يَاكْ الْمَا هُوَ الْمَا اللِّي خــــالِي مَنْ لَلْـــــوَانْ كِيـــــفْ حَتَّى لَوَّنْ الازْهَـــارْ
زْرَقْ وَبْــــيَضْ وَصَفْرَ وَالاحْمَــــرْ وَالْوَانْ كْثَارْ مَا التُّوصَفْ بِيشَــــارَا ؟
يَـــــاكْ الْمَا هُوَ الْمَا اللِّي خَالِــــــي مَنْ لَلــوَانْ كِيفْ حَتَّى غَلَّتْ الاشْجَــارْ
فَ : الْوَانْ اللِّـــــي مَالْهَا احْضَـــرْ مَا بِــــينْ اوْرَاقْ فَ : الْعْرَاشْ الْمَخْضَارَا ؟
وَالْبَرْقُــــــوقْ امْعَا الْعَنْبْ مَـــاوِي وَالتُّفَّــاحْ اونْجَاص مَتْبَضَّعْ فَ : التَّشْبَـــارْ
وَالرُّمَّـــانْ مْجُوهَرْ ايْتْهَـــــرْ وَاللِّيمُونَا شْنْـــانْفْ اقْيَــاس عْبَـــارَا
مَنْ يَخْبَرْ غِيـــــرْ كِـــــيفْ حَتــى يَخْتَـــالَفْ فَ : اللَّوَانْ كُلْ مَارَاتْ ابْصَارْ
أُوفَ : النُّوعْ الْشُــوفْتْ النْظَــــرْ أُوفَ : الطِّيــبَا خْلاَص طِيبَا حَيَّـــارَا ؟
حَقْ الْحَقْ اَصَــــاحْ رَاهْ مَـــا كَايَنْ غِيـــرْ اللَّهْ صَانَعْ أوبَادَعْ مَا يَخْتَــارْ
سَرْ اللَـــــهْ الْمَــالَكْ الاكْبَـــرْ جَلْ جْلاَلْ الْجْلِـيلْ فِي كُلْ إشَــــارَا

وهكذا دخل بنا بن الصغير الى التوحيد من أحد أبوابه الواسعة ، باب الابداع الموصل الى المبدع . أي أنه ركب وصف الربيع للوصول الى التوحيد ، وكذلك فعل بن سليمان من قبل ... كتب ربيعية في عشرة أقسام ، خصص النصف الاول لوصف الربيع ، والنصف الثاني لتمجيد الله ، والثناء على رسوله .

السْحَابْ الَى هْمَا سَحْبُواللّبْطَـــاحْ يَرْقَمْ الْفَلَكْ رْقَامْ الرَّعْدْ فَ : الْمْلاَمَـــحْ
وَالْبَرْقْ بَحْسَامُو يَبْدُو شْجِيعْ الْكْفَاحْ وَمَنْ سْيُوفْ الْهَجْرَا قَلْبْ الْعْضَا امْجَرَّحْ

وَالرْعَادْ ايزَكْلَمْ طَبْلُو عْلَى الْوْغَى صَـــاحْ   حَمْلْ جيُوشُو ثَأْرْ جْمِيعْ كُلْ نَـــايَحْ

وَالْمطَرْ يَرْسَلْ لَلْبِيدَا عْلُـــومْ الْقَـــزَحْ   كَايْفَرَّحْ بقْدُومْ الْغَيْثْ كُلْ قَـــارَحْ

حَنْ قَلْبِي بَبْكَالَغْيَـــامْ عَنْ التَّجْيَـــاحْ   وْصَبَّتْ اعْيَانِي عْلَلْ لَخْدُودْ دَمْعْ كَافَـحْ

هَبْتْ رْيَاحْ الْغَيْثْ عْلَى غْصَـــانْ الادْوَاحْ   سَرْهَا يَسْرِي سَرَى الرَّاحْ فَ الْجْوَارَحْ

فرقعات الرعد هي طبول الحرب لجيش تكفل بأخذ ثأركل " نايح" مما سبق من جفاف ، و "قوس قزح" هي أعلام البشرى بالفرح تلوح بها السماء الى الارض .

وأخيرا تاثره ببكاء الغيم من : "التجياح" أي ما اجتاح الارض من ويلات الجفاف .

حْيَاتْ الأَرْضْ مُوتْهَا مَنْ بَعْدْ الشُّـــومْ   كَمَا تَحْيِي اشْوَاهَدْ قْلُوبْ الْفُهَّـــامْ

أي معنى رفيع يمكن في هذا البيت !؟ وأية معلومة دقيقة تجمع بين صدره وعجزه !؟ المطر ينزل من السماء فيحيي الارض بعد موتها ، والشواهد - القرآن ، الاحاديث القدسية ، الفتوحات ، الفيوضات ، الوهب الالهام - أيضا تنزل من السماء فتحيي ، "قلوب الفهام " ، ولقد كان شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي رحمة الله عليه يقول : الرحمان بإنارة القلوب بالغيوب ، إذ «الرحمان علم القرآن » ... والرحيم برزالة الكروب والعيوب : «سلام قولا من رب رحيم»، صدق الله العظيم .

كَأَنْتْي فَارْقَـــاتْ لَبْعَلْ كَمْ مَنْ يَـــوْمْ   بَاتَتْ فَ : الزْهُوْ إِنْ بَانْ الفَجْرْ اعْـلاَمْ

حَمْلَتْ مَنْ زَوْجْهَا مِنْـــينْ غْشَـاهَا نَوْمْ   صَبْحَتْ فِي ثَوْبْ عَبْقْرِي يَسْحَرْ الانْيَامْ

وَضْعَتْ فَصْلْ الرْبِيعْ وَالْخِيرْ الْقَـــدَّامْ

إنه - ككل فحول الشعر الملحون - ينطلق الى وصف الارض من التعبير القرآني المعجز [وَتَرَى الارْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ، وَرَبَتْ ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ] صدق الله العظيم .

فِقْ مَنْ سِينَتْ نَوْمَكْ يَاغْفِيلْ تَنْظَـــرْ   وَرْدْ وَزْهَرْ حَمْلْ طِيبُو نْسِيمْ نَشْـــرُو

كُلْ وَرْدَا عَنْهَا "حَبْ النْدَا مْجَوْهَـــرْ   عَمْ بُسْتَانِي لَلْعُشَّاقْ طِيبْ زَهْـــرُو

الجزئية التي وقف عندها بن الصغير الصويري المقطع الاول بكامله ، "حب الندا امجوهر"

كُلْ مَنْ فَ : الْحَضْرَا بَبْرَايَقِي اتْخَمَّـرْ   دُونْ مَنْ طَامَسْ شِيطَانُو بْصَارْ فَكْرُو

قُمْ يَا سَاهِي تَنْظَرْ لِي شَمُوسْ الْبْطَاحْ   كِيفْ زَادَتْ حَلْتْهَا سَرْ لَلْبْطَـــايَحْ

وَسْجلْجَلْ يَا قُوتْ عْلَى كْفُــــوفْ الادوَاحْ   وَالاشْجَارْ عْرَايَسْ بَغْصَانْهَا تْصَافَـحْ

إنها فرحة اللقاء في مهرجانات الربيع ، الاشجارتتصافح باغصانها ، غصينات الاغصان وكانها الاكف تحمل جواهر "حب الندا" وسوف يبدأ الغناء ، والرقص وتبدأ التصفيقات ، وتشارك الطيور بألحانها في عرس الارض البهيج .

✪☆✯

تَتْصَافَحْ بَالْكْفُوفْ فَ رْيَاضْ السلْــــوَانْ   وَتْوَادَدْ بَعْضْهَا البَعْضْ بْسكْرْ بْنْــــينْ

وَتْصَفَّقْ بَالْوْرَاقْ تَتْرَاقَصْ الاغْصَــــانْ   عَنْ صَوْتْ الْبُوحْ وَمْ لَحْسَنْ وَمْ قْنِــــينْ

الاطْيَارْ صَوْاتْهَا تْرَنْ بْلاَ عِيــــــدَانْ   نَغْنِي "مَايَا" وْ "دِيلْ" وَ "الرَّمْلْ" أُو "لَحْسِينْ"

وَالنَّحْلْ يْجَاوَبْ الاطْيَارْ بِصَوْتْ حْنِينْ

انْسَاتْ الاطْيَارْ نْغَايَمْهَا فْ : رَوْضْ الاشْجَارْ   عَرْبْطَتْ مَنْ جَرْيَانْ الطَّلْ فَ : الْمْنَـــابَرْ

فِي رْيَاضْ السلْطَانْ الْوَرْدْ مِيرْ الازْهَــــارْ   لِيهْ أَدَّاتْ الْبَيْعَا سَايَرْ النْـــــوَاوَرْ

مَا تْرَى فَ : الْمَشْوَرْ إِلاَّ سْيُوفْ وَرْمَــــاحْ   مْصَافْيِنْ عْلَى صَفْ اجْدَاوَلْ الســـوَارَحْ

فَارْغِينْ الْكَـــدَّارْ مُوَهْــــبِينْ الارْوَاحْ   كَنْهُمْ هْمَامْ عْلَى جِيشْ جَنْدْ فَـــالَحْ

كُلْ قَايَدْ مَنْ قُيَّادْ الْجَنُودْ طَمَّـــــاحْ   وْكُلْ حَامَلْ لَعْلاَمْ سْمِيتُو الْفَـــــاتَحْ

✪☆✯

دَارَتْ بِينْ الْكْتَايَبْ عْلَـــــومْ الْخَـــابُورْ   دَارتْ لَلْمِيرْ مَنَ الْيَنْــرِيزْ جْوَامَـــرْ

وَالنَّسْرِي نَـــاشَرْ الْمَضَلْ عْلَى الْمَنْصُــورْ   وَهْدَاتْ الْيَاسَمِينْ لَلْمِــــيرْ نَـــــانَرْ

وَالْخِيْلِي فِي تْبَاعْتْ الْوَرْدْ الْمَعْطُــــورْ   بْمْنَا يَرْضَا وْيَـــامْنَ الْحُسَـــنْ الزَّاهَرْ

وْنَا مَفْتُونْ فُوسَطْ الضَّيْ الْبَاهَرْ

وَالنْسِيمْ الفَانِي يَهْدِي غْرَايَمْ الْيَــــاسْ   لِيهْ نَاصَبْ طَمَّاجْ فْوَاهْ مَنْ خْمَاسِــــي

وَالْغْصَانْ السكْرَانَا دَالْذَاكْ مَيَّـــــاسْ   وَالْعْشِيقْ بْرَزْ لَلْمَعْشُوقْ فَ : الْكْرَاسِــي

وَالْبْهَا يَسْقِي لَلنَّرْجِسْ صِرْفْ مَنْ كَــاسْ   مَنْ حْرِيرْ السَّنْدُسْ حَلْلْ لِيهْ كَاسِي

وَالْبْهَرْ بَاهِي وَالسُّوسَانْ رَاخْفْ جْنَــاحْ   وَالزْوِيولْ وَنْسِيمْ القِيقْلاَنْ فَــايَحْ

وَالنْخَلْ بَقْلاَ يَدْتَمْرُوتْهِيجْ الافْــرَاحْ   بَالْعقُودْ الْمَنْظُو مَا كُلْ جَدْعْ مَـايَحْ

✪☆✯

خَرْجَاتْ لْزَهْوْهَا حْوَادَقْ مَــرْدَدُّوشْ   وَصْبَحْ جُنْدْ الشْقِيقْ بَالْفَرْحْ فْ : تَشْوِيشْ

وَقْرَنْفَلْ عْلَدْمِي وَشْاكُوكِي مَرْشُـــوشْ   وَالزَّفْرَانَا فْ : طَاعَتْ السُّلْطَانْ بْجِيــشْ

وَمْدِيدَشْ مَنْ مْدِيلْكَا غَايَرْ مَفْــرُوشْ   لَبَّسْ جَنْدُو ثْيَابْ خَابُورِي لَلْفِيـــشْ

وَالْحَرْكَا طَايْلاَ وْفَضَّاهْ التُّوحِيشْ

زَهْرَتْ افْنَانْ الرَّوْضْ الْيَانْعَا بْالاَصْنَــافْ   بَاهْيَا عَذْرَا بُكْرَا سَبْلَتْ السَــوْالَفْ

مَا تْخَطَّاهَا بْعَلْ مَنْ اجْنَانْ بُوصَـــافْ   كَنْهَا حُورِيًّا فَتْنَا لْكُلْ عَـــارَفْ

ضَمَّتْ اشْمَايَلْهَا فْ بْسَاطْ لِيهْ تَشْــرَافْ   لْكُلْ مَعْنَاوِي صَرْفْ كْوَابْهَا تْــرَادَفْ

مَا بْخَلْتْ أهْلَ الْفَنْ مْخَمْرِينْ الاجْبَــاحْ   بَالتْمَرْحِيبْ طْلَقْتْ الْخُوفْ وَالتْسَــارَحْ

وَالزْهَرْ بَالنَّسْمَاتْ يْفُوحْ عَنْدْ الاصْبَــاحْ   وَالاشْجَارْ تْرِيَّاتْ غْلُولْهَا امْصَـــابَحْ

✪☆✯

وبانتهاء هذا المقطع ، وهو المقطع الخامس من القصيدة ، ينتهي وصف الطبيعة ، الذي كان مجرد مركوب للوصول الى توحيد الله والثناء على رسوله .

هَذَا تَسْخِيرْ مَالْكْ الْمُلْكْ الدَّيَّــانْ   تَكْوِينْ الكَايْنَاتْ بِينْ الْكَافْ وْنُــونْ

العَالَمْ مَا اخْفَا وَمَا نَظْرَتْ الاعْيَــانْ   الَى قَالْ الشَّيْءْ : كُنْ فْ حِينْ يْكُــونْ

مَنْ فَضَّلْ دِينْنَا عْلَى سَايَرْ الادْيَــانْ   لاَجْلُو خْلَقْ الاكْوَانْ خَالِي وَالْمَسْكُــونْ

وَصْبَحْ يَبْلِيسْ فِي حْزَنْ سَجْنُو مَرْكُــونْ

لَاحْتْ شَمُوسْ الْحَقْ عْلَى السْلَامْ حُلاً ....

و من هنا ينتقل بنا الى تمجيد الاسلام ، والثناء على نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ونحن كما لم ندرج الشطر الاكبر من قصيدة بن اصغير لان مكانه الغرض الاول : "التوسلات" ، كذلك سوف لا ندرج ما تبقى من قصيدة بن سليمان لان مكانه الغرض الثاني "المدائح النبوية".

ونكتفي بهذين النموذجين ، من القصائد التي لم يكن وصف الربيع فيها الى وسيلة للوصول الى غاية أسمى وأعمق ، لننتقل الى القصائد التي يكاد يكون وصف الربيع فيها ، غاية في حد ذاته ، القصائد التي تصف الربيع ، من بدايتها الى نهايتها .

من هذه القصائد على سبيل المثال لا على سبيل الحصر للجيلالي متيرد :

سَعْدْ السعْودْ خَبَّرْ بَخْبَـــارُو   عَامْنَا عَامْ البَرْكَا وَالهْنَا وْعَامْ الْخِيـر

مَنْ بَرْكَتْ النْبِي صلَّى اللّهْ عْلَى بَاهْيَ الصوُّرَا

و للشريف بنعلي :

نَـــادَا وَقْتْ الزَّهْـــو لَلنْظَرْ   وَالنَّظْرَا فَ يَامْ الرّبِيعْ تْجَـــــارَا

لَهْ مَا تَزْهَـــا يَا خَنْـــــارْ

وللحاج الحسن بنشقرون :

هلّتْ مَزُونْ الْغَيْتْ عْلَى بْطَاحْ الْخَضِيضْ   كُلْ فَجْ اتْخَضَّبْ وَرْوَابْسِيلْ فَــايَضْ

وللحاج ادريس :

الرْبِيعْ اقْبَلْ بَالْفَرْجَـــــاتْ   قُمْ نَسْطَابُو طِيبْ اوْقَاتْنَا عْلَى نــوُّارُو

بَالْبْهَا وَالْكَاسْ أُوالاوْتــــــــارْ

ول : بن الطاهر المعروف ب : الشاوي :

اخْضَرّتْ الْبِيدَا يَاصَاحِي بْسِيلْ الامْطَارْ جَادْ الكْرِيمْ بْفَضْلُو حلّتْ الْبْشَـارَ

أما الرياض والبساتين على سبيل المثال ... منها "روض" مريفق .

نَزْهْ الْبَصرْ فْ : "رَوْضْ" خْصِيبْ فَاحْ بْنْسَامْ   مَنْ زْهَارْ خْمَايَلْ الاغْصَانْ يَالفَاهَمْ

ومنها "عرصة" المسفيوي .

صُولِي صُولِي مَنْ مْحَاسنْكْ يَا عَرْصَتْ الازْهَارْ   فِيكْ اتْجَمْعُوا الابْكَـــــارْ

وبستام سيدي قدور، وأكثر من "عرصة" للسي التهامي ...زيادة على قصائد الاصائل والبكور ، و الدهبيات "والصبوحيات" وكلها في اجواء الربيع ... إنما نحن سوف لا نختار من كل ذلك وغيره الا قصيدة واحدة ننهي بها هذا الغرض ... ولتكن هذه القصيدة .

هي : جَادْ يَا مَحْبُوبِي فَصْلْ الرْبِيعْ بَرْضَاهْ " للتهامي لمدغري ، وقد عاصر السلطان المقدس" مولاي عبد الرحمان بن هشام" وتوفي في عهده

هَلْ مُزْنْ الْغِيتْ وزَارْ الْعْشِيقْ وَسْقَاهْ   بَالرْحِيقْ مَنْ الْغَيْمْ حْبِيبْتُو سقَاهَـــا

لم يقل كما يمكن أن يقول الانسان العادي : " تساقطت الامطار" وإنما جعل المزن" هو المعشوق المدلل ، والارض هي العاشقة الولهانة .

ويتفضل هذا المعشوق ، ويتكرم بزيارة لهذه العاشقة " الارض "فسيقيها الرحيق من "دنان" الغمام .

وكأني بهذه الزيارة جاءت بعد فترة جفاف ، إذ نجده يقول في البيت الثاني "بعد ما ضاقت ، ذاقت والوصال محلاه" وأخيرا ...وبعد طول عطش وضمأ ، ذاقت من كؤوس الغمام .

وبْعَدْمَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوَصَالْ مَحْلاَهْ   وَالزْرَابِي عَنْ كُلْ الْوَانْ فِي وْطَاهَا

سَابْكْ فْ جِيدْ الْبِيدَا جُوهْرُو فْ : مَعْنَاهْ

لم يقل ما يمكن أن يقول الناظم العادي : "اصبحت الارض كلها ورود ، وأزهار ، ورياحين" وإنما قال :

"سَابْكْ فْ :جِيدْ البِيدَا جُوهْرُو"

ف : الارض هنا غادة حسناء ـ والحبيب يقدم لها هداياه ، وهي عبارة عن قلائد من الاحجار الكريمة .

ونعيد هذه الابيات متصلة :

هَلْ مُزْنْ لْغَيْتْ وزَارْ الْعْشِيقْ ، وَسْقَــــاهْ   بَالرْحِيقْ امْنْ غْيَامْ حْبِيبْتُو سقَاهـــَا
مَنْ سْدِيمْ الكُونْ الْعَذْبِي هْطَلْ مْنْ سْمَـاهْ   بِينْ حَرْجَاتْ الزْهْرْ فْنَاجلُو مْلاَهـــاَ
وَقْتْ مَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوْصَالْ مَحْـلاَهْ   وَالزْرَابِي عَنْ كُلْ الْوَانْ فِي وْطَاهـــاَ
سَابْكْ فْ : جِيدْ الْبِيدَا جُوهْرُو فْ مَعْنَــاهْ   حَارْتْ عقُولْ أهْلَ التَّحْقِيقْ وَالنْبَاهَا

مَنْ سيْوفْ الْبَرْق أُوودَقْ الرّعَادْ فْ دْجَاهْ   عَاتَقْ الزَّهْرْ بمْزُنْ الغَيْتْ مَنْ سمْاهَا

درْجْ الغَيْمْ الْكَاسْ الاَرْضْ حلّتْ أفْــوَاهْ   وَالْبْطَايَحْ مَنْ جَاتُو نُوبتُو الْقَاهَـــا

إذا كان قارئ القصيدة الملحونة على شيئ من الاطلاع ، في الشعر الجاهلي والشعر المخضرم ، والأموي ، والعباسي ، والاندلسي لابد من أن يتمتع بحقيقة المثل المشهور : "الشيء بالشيء يذكر ..

فانا مثلا عند قراءتي لهذه الابيات أذكر ل : (الحسين بن علي الملقب بابن وكيع)

وتمايلت فيه غصـــــــــون قدوده   من شرب كا سات العيون الهطـل

و أذكر لابن خفاجة

في أبطيح رضعت ثغـــــور أقـــاحة   اخلاف كل غمـــــــــامة مدرار

و أذكر لابي تمام

فسقاه مسك الطل كـــــافور النـــدى   وانحل فيه خيط كل سمــــــــــاء

أبيات كثيرة من المشارق والمغارب تقفز الى ذهني كلما قرأت للممتازين من شعراء الملحون .

هَذَا فَصلْ الرّبيعْ فِي رْبِيعْ الْخَيْرْ ....

تزامن شهر المولد النبوي ـ في السنة التي كتب فيها .. السي التهامي المدغري" هذه القصيدة .. ولا أرتاب أبدا في أن هذه السنة هي سنة 1260 هجرية ، التي وافقتها سنة 1850 ميلادية ـ مع أجمل أيام الربيع ... وكان لابد لشاعر مغربي عربي مسلم ... أن يبدأ المقطع بالثناء العطر .. على النبي الكريم الذي ولد في هذا الشهر المبارك السعيد شهر ربيع الخير .

هَذَا فَصلْ الرّبيعْ فِي "رْبِيعْ الْخَيــرْ   مَوْلدْ حبيبْنَا أحمْدْ شَارَقْ الانْـــوَارْ

ضوْاتْ نْجُومْ الارْضْ بَالْهْلاَلْ الْمُنِيرْ   فِي وقْتْ منَارْ السعْادَا مَنْ الابْطَـاحْ

بُوجُودْ الزّمْزْمِي غَنَمْنَا فَرْحْ كْبِيــــرْ   فِي عِيدْ خْضعَتْ لِيهْ الْمْوَاسَمْ الْكْبَارْ

فِي سرُوُّ مَنْ طْلاَسمُو حَارَتْ الافكَارْ

ويقف مشدوها بين أحضان الطبيعة ، مفتونا بجمال الربيع ... وينبهر ، وتختلط المرئيات التي يرى ، والمشاهد التي يشاهد بصور أخرى تختزنها الذاكرة ، أو المخيلة فالوان الزهور في الربى الخضر ...وألوان الافق ... وقوس قزح ... كل تلك الالوان اختلطت في ناظره ب : السباني "و"الشرابي "و"العبارق" وهي أسماء قديمة كانت تطلق على أشياء خاصة بالنساء ، فالعبروق مثلا وشاح ، والشرايبي مراول ، و"السبنية مما يوضع على الرأس ... وكذلك أسماء الاثواب الزاهية "الشكْرْنْطْ" "لَمْشَجّرْ" عيْنْ علْجَة" "مْشرْقِيّة" ، وألوان تلك الاثواب "شمْسْ لَعْشِي" "الْخَابُورِي" "الشيِّبي " "عكْرِي" "فْلاَنْصا" "دَمْ غزَالْ" " قلْبْ حجْرْ" " لِيمِي" "سماوي" .. الى أخر ما جاء في هذا المقطع .

شُوفْ لَبْطَاحْ ، لْبَسْتْ الْقْمَاشْ وَالْقْلاَيَدْ   بَالْعقِيقْ أوعقْيَانْ وْجُوهْرُو الْوقَّـادْ

لَبْسَتْ قْمَايَص مَنْ ثُوبْ الرْضَا الزَّايَــدْ   مَنْ مُودَّة مَاعمَرْهَا خْطَاتْ مِيعَــادْ
هَالْتْ وْمَالْتْ بنْسِيمْ الشذَا الْبَـــارَدْ   لاَقْحَة برزَتْ عَنْ شلْيَاتْهَا فْ : الاوهَادْ
بَ : الشرَابِي ، وسَبَانِي ، ضيَهُمْ وَاقْـدْ   وَالْعَبَارَقْ وسَقلِي فِي أحْسَنْ الْمـرَادْ
الشكَرنُطْ لَمْشَجرْ سلبْنِي مَنْ سَمَـــاهْ   عِينْ عَلجَا ومَشرقيًا عْلاَمَنَـــاهَا
شَمَسْ الْعَشِي وَالْخَابُورِي سوَايْ وسوَاهْ   جَاوزْ الشيَّبا وتْحَيَّرْ مَنْ نْدَاهَـــا

***

عَكْرِي وَفْلاَنْصَا وْدَمْ غْزَالْ نْصِيـــحْ   قَلْبْ احجرْ لاَنْ بَالْهْوَى وَعْطَفْ فَ بْطَاحْ
لِيمِي مَاطَالْ وَالسمَاوِي فِي تَمْرِيـــحْ   بِهْ رقَصْ بنفْسَجْ بِينْ مْسَى وَصَبْــاحْ
شَطْحَاتْ مْعَ النُجُومْ فَ : الدبُجُورْ شطِيحْ   وَعْلاَ تِيجَانْهَا الْيَاقُوتْ الْوَضَّـــاحْ

بَرْزَتْ فِي ايزَارْهَا عْلَى كُرْسِي الابْطَاحْ

شُوفْ هِيفَاتْ الوَرْدْ مَا حرْهُمْ بَاشْــفَارْ   خَدْهُمْ الْعَكْرِي فَ : رْيَاضهُمْ نَايَـــرْ
رَافْدَاتْ سلاَحْ الْقُضْبَانْ بِينْ الاشْجَــارْ   مَنْ تْجَنَّا تَجْنِي عَنُّو بْجُنْدْ جَـــايَرْ

رحم الله الاصفهاني إذ يقول في هذا المعنىٰ :

قلت للورد مالشوكك يدمـــــي   كلما قد أسوته من جـــــراح
قال لي هذه الريـــــاحين جنـــد   أنا سلطانها وشوكي سلاحـــي

ويصف شاعرنا الوردة المتفتحة فيقول :

شَابَّة حَشُومِيًا خَارْجَا اللَّمْــــرَارْ   لاَحتْ عْلَى الْجِيدْ الْعَبْرُوقْ وَالضفَايَـرْ

ولقد أبدع ابن المعتز في هذا المعنى .. بل توسع فيه أكثر ..

أتاك الورد محجوبا مصــــونا   كمعشـــــوق تكنفه الصــدود
كأن بوجهه لمـــــا تـــوافــت   نجوم في مطــــالعها سعـــود
بياض في جوانبه احمـــــرار   كما احمرت من الخجل الخــدود

أما الوردة التي لم يكتمل تفتحها بعد ... والتي لا يظهر احمرارها إلا من بين الاكمام الخضر .. فقد وصفها شاعرنا بقوله

كَالْعَزِيبَة شَافَت مَنْ شَافْهَا بْ الابْصَـــارْ   رَاسْهَا غَطَّاتُو بكْمَامْهَا الْعْوَاطَــرْ

إنما فكرة البيت بالتأكيد ، عثر عليها "السي التهامي" في شعر الشاعر الاندلسي المعروف "صاعد" .. فعشقها لجماعته....

ودونك ياســــــيدي وردة   يذكرك المسك أنفاســـهـــا

كعــــذراء ابصرها مبصر   فغطت بأكمـــامها رأسهـــا

والترويج للخاطرة الجميلة ، والصورة الحية ربما أمر لا ضير فيه ... خصوصا ونحن نجد الامام البصيري يعشق خواطر رائعة في ميمية ابن الفارض ، فيأتي بها الى بردته ، قال ابن الفارض .

يالائما لا مني في حبهم سفها   كف الملام فلو أحببت لم تلـــم

فتابعه البصيري وقال :

يا لائمي في الهوى العذري معذرة   مني إليك ولو انصفت لم تلـــم

كما تابع شوقي البصيري فقال :

يا لائمي في هواه والهـــوى قدر   لو مسك الشوق لم تعدل ولم تلم

ونعود الى شاعرنا ، وإلى ربيعيته الرائعة...

كُلْ عَذْرَا مبْسَمْهَا فَاحْ طِيبْ أشـْدَاهْ   خَاجِلاً مَنْ لَحْيَا عَرَقْ الندا كْسَاهَا

"السكْلَّمَاسِي" فِي صوْلاَ مبرزا حداه   ليه وجنا دون عكر لونها كفاهـــا

✪☆✯

"نَسْرِي" مَنْسُومْ ، هَزْ نَاسْ صَحَابْ الْحَالْ   "سُوسَانْ" وْ "فَنْ" جَابْ حُلاً وَمْحَـــلاً

"بِيضْ وَزْرَقْ" لاَبَسْ ايزَارُو مَخْتَـــالْ   لُوصُولْ "مْدِيلْكَا" وْعَشْقُو مَا يَبْـــلاَ

مَشْغُوفْ بْحُبْهَا مَنْ هْوَاهَا لاَ حَـــالْ   وَصْلْ الْمَحْبُوبْ مَنْ الشَّهْدْا حْلاَ وْغْلاَ

وَصْفَى مَنْ سرْ خْدِي عْلَى وَجْنَتْ عبْلَة

شُوفْ "عَاشَقْ جَارُو" بْهْوَاهْ شَارَبْ مْرَارْ   مَا يْصِيبْ الرَّحَا عمْرْ وْعْشِيقْ جَــارُو

دَابْلُونُو مَسْفَارْ وْدَبْصُولْتُو جَــــــارْ   مَاعْرَفْ حَقْ الجُورَا مَا طْفَا جْمَــــارُو
وَالرّْقِيبْ مْكَلَّفْ مَا بِينْهُمْ خَصَــــــارْ   مَا حْمَلْ حَمْلْ ثْقِيلْ كْبِيرْ عَنْ سِيْـــارُو
عَيْنْ هَذَا فِي وَجْنَتْ دَ تْطَالْبْ التَــــارْ   وْلاَ مَنْ فْدَا لَلْعَاشَقْ فَ : الرّْقِيبْ ثَــارُو
شُوفْ كُرْسِي هَذِيكْ الْيَاسَمِينْ مَعَـلاَهْ   فَ : السّْرَايَرْ شَرْبَتْ كِيسَانْ مَنْ نَـدَاهَا
طَلْقَتْ ضَفَايَرْ مَنْ تَحْتْ الْخَلاَلْ مْغْدَاهْ   كِيفْ يَخْفَى النَّهْدْ عْلَى كُلْ مَنْ يَـــرَاهَا

✪☆✯

"مْشَرْقِيَّة" فْ لُونْهَا شَلاًّ يُذْكَــــــارْ   حَرْ قَصْتْ اخْدُودْهَا عْلَى حُمُرْ التَّعْكِيـرْ
"بِيضَا وَمْذْهبَا" وْمَنْ ذَهْبْ التَّشْحَـارْ   "الْوَرْدِيًّا" امْعَا "السّْكْلْمَاسِي" فَ عْدِيـرْ
"زَهْرْ العَقْيُونْ" فُوقْ رَاسُو" جِلَنَـــارْ   اكْذَلاَ تُوْمْكْدْلاَ فِي شَانْ كْبِيــــــرْ
جَنَّبْ كَفِّي انْوَاوْشُو وَنْزَلْ فَ غْدِيرْ
"زْرِيرْقَا "وَشَّامَاوَوْشَامْهَا مْنَيَّلْ ....

"الزْيِرقَا" هي زهيرة برية زرقاء" ، متناهية في الصغر ... وتتكاثر في الاراضي المعفاة ، فتشكل في الربى والبطاح ، لوحات ولوحات قد لايحس بروعتها إلا الفنان التشكيلي المستبصر ... شاهد السي التهامي هذه "الزهيرة الدقيقة الزرقا" وهي تبدع لوحاتها في ناحية ما من أرض الله الواسعة ، فتراءت له "وشامة مبدعة ... تدمغ الوشم على أطراف الارض ... كما تفعل "الوشامة " بين النساء ...

"الْغَمَّازَة" "السّلّْسُولْ" "دَالْ وْخَرْطَة" "طَابَعْ مْهَلَّلْ" مَشْطَة فُوقْ الدَّرْعِينْ

خَالْ وْشَامَة" "سَيَّالَة مْسَوْلاَ" "رَكْمَا فَ: "السيَّالَة" هَمْزَا فَ : الساق " "رجل حمامة ... وهكذا احتفظ لنا^^ في هذا المقطع ... بكل أشكال الوشم في كل القبائل المغربية وتلك لعمري خصوصية من خصوصيات هذا الشاعر الملهم ...

"زْرِيرْقَا"وَشَّامَا وَوْشَـامْهَا مْنَيَــــــــلْ   شِي وْشَمْتُو بَ : الْغَمَّازَا " وْشِي بْ :سَلْسُــولْ"
شِي بْ : دَالْ وْخَرْطَة "شِي" طَابْعُو مْهَلَّــلْ   شِي بْ : مَشْطَة فُوقْ الدَّرْعِينْ "و "خَطْ مَعْزُولْ"
شِي بْ : خَالْ وْشَامَا " مَنْ شَافْهَا اتْخَلْخَلْ   بِينْ خَالْ وْشَامَا كَمْ مَّنْ عْشِقْ مَخْلُـــــــولْ

شِي عْلَى "السيَّالاَ رَكْمَا"وشْي مْسـوَّلْ" كَمْ عَاشَقْ بَالسيَّالاَ رَاحْ مَدْهـوُلْ

شِي بْ : هَمَزَافَ : السَّاقْ " وشَامْهَا مَتْوُلْ شِي بْرَجْلْ حمَامَا فِي جِيدْهَا الْمَسقُولْ

شُوفْ ذَاكْ "الْخَيْلِي" خَيْلُو خْصلْتْ فُوغَـاهْ مْسَرْجَا مْلَجُومَا صَلاَّت فِي حمَاهَـا

كَأَنْهَا فَامِيدَانْ فْحُـولْ فـاَخْمْ الْجَاهْ "وَلْدْ سِيدِي هِشَامْ الْمِيرْ ، وَلْدْ طَـهَ

يربط الصورة الخيالية التي تخيلها وهو ينظر الى أزهار "الخيلي" وهي أزهار برية معروفة - بالصورة الواقعية التي يراها صباح مساء : جنو د الملك مولاي عبد الرحمان بن هشام - وقد امتطت الجياد (في طريقها الى صد غارة أو إخماد فتنة ، وبمثل هذه الاشارات الخفيفة يستطيع الباحث أن يضبط تاريخ الملحون بكيفية لا تقبل الشك فهنا "ولد سيدي هشام" ... وفي قصيدة "زهرة" .

وِيدُومْ مْلْكْ سلْطَانِي عزْ انْصـارُو بَنْ هِشَامْ التَّايْكْ الاشْهَـرْ

دبَّابْ الْعِيَّانْ وَلْدْ الزَّهْـرَا

وليس من بين شعراء الملحون ، من لم يؤرخ لنفسه ، إما بمثل هذه الاشارات ، وإما بقصيدة تتويج أو نصر الملك في حياته أو حتى بأحداث وقعت في عصره ووجدناها عند الناصري أو غيره من المؤرخين .

قْرُنْفَلْ هَاجْ ، فْ :طِيبْ نَسْمَا لَلْهِيَّـاجْ هَيَّجْ لَمْهَاجْ هَاجْ فُوهَامْ الْبَهْجَة

سبق أن عرفنا أن هذه القصيدة ظهرت في عهد السلطان المقدس مولاي عبد الرحمان ، والآن نعرف أنه كتبها بمراكش ... وبمثل هذه الاشارات نستطيع رصد تحركات الشاعر .. يقول في "زهرة" ، وقد سبقت الاشارة إليها - يْغَطِّي سَتْرُو الْبَهْجَة الْحَمْرَا" وقصيدة :

شَدْ اسِيـدِ رَمـَّانَكْ بِيدِيكْ زُوجْ مَنَّكْ لِيهْ آشْ عْلِـيَّ

كتبها بطنجة ، وفيها أكثر من دلالة ... و"الساكنة درب القاضي "كتبها بفاس وهكذا ... وعلى ذكر القرنفل ، الذي "هاج فوهام البهجة "أي في ضاحية مراكش يتوقف الشاعر لحظة و ليعبر عن حبه لهذه المدينة وهيامه بها .

بَهْجَتْ لَمْتُونْ حبْهَا لْلْقَلْبْ عْـلاَجْ بُوجُودْ السَّلْطْنَا وَالْهْنَا فِي طَهْجَـة

خَضْرَا نَضْرَ طْلُوعْهَا فِي سَعْدْ بْرَاجْ وَطْلاَسَمْ سَرْهَا غْمِيقَة عْلَلْ الْحجَـا

مَنْ دَخْلْ حمَارْ جَالْهَا عمَرُوَنْجـا

. على رأي المثل : "إذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار" نكتفي بهذا القدر من التوضيح ونترك القارئ مع ما تبقى من

القصيدة حتى لا نفوت عليه فرصة التمتع بإيقاعاتها الداخلية والخارجية . وما بين كلماتها وألفاظها من ضل وجرس .

شُوفْ "الْبْهَا" وَ "الشَّاكُوكِي" عْلِيهْ يَشْكِي   الْبْهَامَا يَرْفَقْ بَمْحَايْنُو مَنْ شْكَى

"الْحْكُمْ" بَلْطَافَا يَحْكَمْ حْكَامْ تُرْكِي   هْمَامْ عَادَلْ يَفْهَمْ مَنْ جَاعْلِيهْ شْتَكَى

بِينْ "مَعْشُوقْ" وْ"عَاشَقْ" كَانْ جَاهْ يَشْكِي   يْقُولْ لَلْمَحْبُوبْ فْحُكْمُو رْحَمْ مَنْ شْكَى

كُنْ عَاشَقْ بَصْدُودْ الزِّينْ رَاحْ مَنْكِي   وَالْمْلِيحْ الَى يَعْطَفْ كَمْ حَاسْدْنَكَا

شُوفْ تَفَّاحَاتْ الْعُشَّاقْ زِينْهَا تَاهْ   فِي رْيَاضْ الْبَاغِي لَلِّي بْغَابْغَاهَا

شُوفْ ل : "الدِّيدِي" وَ"الْجَلْنَارْ" خُوهْ حيَّاهْ   وَالْحْوِيدَقْ فَ : الْوَانُولَ : "الشّقِيقْ"ضَاهَا

✪☆✯

شُوفْ "الْجَمْرَا" عْلَى خْدُودْ الْبَيْدَرْ مَاتْ   جَمْرَا فَ : قْلُوبْ نَاسْ الْغْرَامْ الْعَاتِي

تَكْدِي بَخْدُودْ نَايْرَا بِينْ الْحَرْجَاتْ   وَالطَّفْسْ خْلِيلْهَا مَنْ هْوَاهَا وَاتِي

"خَابُورِي" نَحْتْكِيهْ كَحْوَانْ افْ لَنْعَاتْ   يْخَبَّرْ مَنْ هْوَى الْعَاشَقْ فَ انْعَاتِي

"حْرِيرِيًا" "حْرِيرْهَا" زَهْوْ اوقَاتِي

"غَالْبَا" تَرْكَتْنِي مَغْلُوبْهَا فْ غَلْبَا   وَالْعْشِيقْ الْمَعْشُوقُو مَايْزُولْ مَغْلُوبْ

"بَلْفْجُوجْ" وَأَقْحْوَانْ رْبَاوْافَ : الْمْحَبَّا   "يَاس" يَشْبَهْ وَدْنِينْ الْخَيْلْ يُومْ الْحْرُوبْ

"الْبْهَرْ" "يَبْهَرْ بَسْحُورْ وبْغِيرْ كَتْبَا   سْفُورْتُو وَنْحُولُو بِيهْ الجْلاَمَدْ تْذُوبْ

شُوفْ "غُنْبَاجْ" زْهَرْ مَنْ كُثْرْ مَا تْرَبَّا   لِيلْ وَنْهَارْ وْمَاهْ عْلَى الدْوَامْ مَسْكُوبْ

شُوفْ "مَصْلَحْ لَنْظَارْ" أَلِيعْتُو مَنْ هْوَاهْ   إِلَى سْمَعْ لَلْهِيفَاتْ يْهَيّْجُوا لْغَاهَا

إِلَى شَطْحَتْ احْدَهْ رْيَامْ الْخْيَامْ مْبْقَاهْ   كَايْجُودْ بْدِينَارُو عَنْ رْضَا رْضَاهَا

✪☆✯

الزَّرْبِيَّاتْ فَ الْبْطَايَحْ لَلنُّزْهَا   ابْيَدْ الْقُدْرَا مْرَكْمَا سُبْحَانْ اللَّهْ

مَنْ لِيـــــهْ الْمَلْكْ الْبْدِيعْ مْطَرَّزْهــَـا   زَهْرْ الْحَرْجَاتْ فَ : العفْا نَسْجُو مُــولاَهْ

مَنْ حَقَّقْ فِي نْسِيجْهَا بَالْقَهْرْ فْهَـــا   سبْحَانْ اللِّي انْشَى الزْهَرْ وْنُورْ بْهــَاهْ

كَم مَّنْ عَشَّاقْ حَارْ فِي صُورَتْ مَعْنَاهْ

شُوفْ هِيفَاتْ تَقْطَفْ زْهَارْهَا فَالأوْهَــامْ   كُل بْكْرَا عَمْلَتْ فُوقْ الْخَــدُودْ مَشْمُــومْ

رَافْدَاتْ الْبَارُودْ عْلَى جْعَابْ الانْيَـــامْ   حَادَاتْ الشَفْرَا فِي سَحَرْ غُنْجْ مَسْمُــومْ

مَنْ طْمَعْ فَ : الصيَّدَاتْ يْصَيْدُوهْ بَسْهَامْ   فَ : الشْبَّاكْ حْصَلْ حَرْبْ البَاهْيَاتْ ، مَعْلُومْ

مَنْ لْبَسْ شِي "نُوَّارْ" مَنَ الْحْرَاجْ وْتَـاهْ   عَنْ خْدُودْ الارْضْ وْسَبْحَانْ مَنْ نْشَــاهَا

وَاجَبْ انْحَمْدُوا وَنْشكْرُوا تْبَارَكْ اللَّـــهْ   عْلَى النْعَايَمْ لَكْثِيرَة رَبْنَا عْطَـــاهَا

✪☆✯

جَادْيَا مَحْبُوبِي فَصلْ الرْبِيعْ بَرْضَـــاهْ   مَا بْقَا غِيرْ اللَّهْ وَرَاهْ لَلنْزَاهـــــــــــةَ

✪☆✯

هذه واحدة من ست ربيعيات كتبها "التهامي لمدغري" في وصف الطبيعة الحرة الطليقة ، الطبيعية في الربى والبطاح ، في الجبال والسهول ، في الغابات والمروج .. أما ربيعيات الجنان ، والرياض ، والبساتين .. فلقد عرفت منها أزيد من ثلاثين قصيدة ، إنما فيما قدمناه كفاية لننتقل الى الغرض الخامس .

* "الْعَشَّاقِي" *

إذا ما سئل رجل الملحون عن "الْعَشَّاقي" ما هو ؟ لا بد وأن يجيب بأن قصائد "الْعَشَّاقِي" إما أن تكون قصائد دموع ، وإما أن تكون قصائد بسمات أو أنها تبتدئ بالدموع وتنتهي بالبسمات ، أو العكس ، ويضيف أن "المعشوق" في قصائد "العشاقي" ، إما أن يكون : "موافي" .. فتكون القصيدة كلها متعة وطرب ، وغبطة وانشراح ، وإما أن يكون : "مجافي" فتكون القصيدة مجرد آهات وحنين ، وأنين .

ويستدلون على قصائد "الجافي" بمثل قصيدة "الكندوز" .

مُفْدَاكْ "اجَافِي" الَى جْفِيتِي رَسْمـــــــي

مَازَالْ يَالْجَافِي يَجْفِى مُرْكَاحَكْ الْوْلِيـــــفْ

وَتْذُوقْ مْرَايَرْ الْجفَا وَتْكُولْ أوَاهْ كُنْــــتْ

حَتَّى أنَا جَافِــــــي .

أو " ناكر الاحسان " لانجار

سِيرْ أنَاكَرْ الاحْسَــانْ   الايَّامْ تْشِيطْ وْرَاكْ بَالْقْهَــرْ

وِيبَانْ الْبُرْهَــــانْ   فِيكْ آمَنْ خَانْ حْبِيبـــــُو

وعلى قصائد "الوافي" ب : راضيا " .. ل : بلقاسم :

أسَاقِي رَادَفْ الرْحِيقْ   اعلِنَا الايَّامْ "رَاضْـيَـــــا"

يُوجُودْ الرِيِّمْ "رَاضْيَا"   السلْطَانْ رْضَا عْلَى الرْعِيًّا   وَالزِّينْ اللَّهْ نَاصــــــرو

أو الياسمين للحاج ادريس :

طَابْ السْرُورْ وَنْسِيمْ رْضَاكْ يْفُوحْ كُلْ حِــينْ   وِيعَطَّرْ الرْيَاضْ أويَعْبَقْ بَالطِّيبْ مَنْ كْمَامَكْ

كما يستدلون على القصائد التي تبتدئ بالدموع وتنتهي بالبسمات بمثل قصيدة فاطمة للحاج ادريس : فهي في شطرها الاول : "جافي"

خَدِّي نْفَرْشُو بَالشُّوقْ الْذُوكْ الْقْدَامْ

شُوفِي بْعَيْنْ لَمْحَنَّا فِي هَذْ الْغْـــــــلاَمْ

مَا كَانْ هَكْذَا ظَنِّي يَـــــــــا بَنْتْ الْكْرَامْ

ولكنها في شطرها الاخير :

جَاتْ الْمِيلاَ فْ رَايتْ الْهَشَامِــــي — نَاوْيَا تْـــــزُورْ رْسَامِـــــي

تْلَحْفَتْ فَ ثْيَابْ رْفِيعـــــــــا — وْجَاتْ تْتْمَايَسْ كَ : يَا سَامْنَعْمَا

وَمْنِينْ نْظَرْتْ زِينْهَا بْنْيَامِــــــي — قْلْتْ مَنْ كْثْرْتْ هْيَـــــامِـي

وَاشْ هَاذِي يَقْظَا وَلَّ مْنَـــامْ ؟ — عَهْدِي بَالشَّمْسْ كْبِيلْ فَ : السْمَا

السَّاعَا لاَحْ نُورْهَا فَ : رْسَامِي — فِـــي صُورْتْ الأدَامِـــــي

وَالْحْبِيبَا تَضْحَكْ حَتَّى تْطِيـــحْ — وَتْكُـــــولْ اَنَا لاَ لْلاَّكْ فَاطْمَـــا

أما العكس ، أي القصائد التي تبتدئ بالبسمات وتنتهي بالدموع ، فهي تكاد تكون معظم قصائد "العشاقي" .

وهذا التعريف بقصائد هذا الغرض ، ربما لا يجادل في صوابه أي أحد ، ولكنه على كل حال ، لا يمس الجوهر ... لا من قريب ولا من بعيد ، ومن ثمة لا يليق بنا إطلاقا أن نستأنس به في بحثنا" ، وندرج القصائد التي يشير إليها ، وننهي غرض " العشاقي" فالمسألة في حقيقتها أبعد من "وافي" و"جافي" فقط ... وأكبر من دموع وبسمات فحسب ، المسألة مسألة : هل من تجارب عاطفية صادقة أنتجت الابداعات الحية الخالدة ؟ أم هل من مغامرات غرامية محمومة أثمرت إبداعات ملتهبة ؟...

أم أن شاعر الملحون كالمثال أو الرسام يصور الجمال لاكما هو في واقع الحياة ، وإنما كما هو في واقع شعوره .؟

وهذه المفاتن الحسية : أجمل شفر ... على أحلا ثغر ، وأحمر خد على أنهد نهد ... وأملأ صدر ... على انحل خصر . أهو مجرد التعبير الذي لا يقصد به إلا التعبير ، أو في أحسن الاحوال التصوير ؟ أم أنه أقل من ذلك بكثير ،إذ لا يعدو تركيب الصور من أوصاف العبارات الجاهزة ؟ ثم ماهو العشاقي ؟ أهو الشعر العاطفي ؟ أم هو الغزل ؟ أم هو التشبيب ؟ أم هو النسيب ؟أم هو كل هذه الانماط ؟

وإذا كان هو كل هذه الانماط ؟ فما هو الواصل الذي يوصلها ببعضها أو الفاصل الذي يفصلها عن بعضها وهي كلها داخل هذا الاصطلاح " العشاقي"؟ أسئلة كثيرة خطرت وتخطر في خاطري من أوائل الخمسينيات الى يومنا هذا ... وكنت ولا أزال كلما خطر لي سؤال من هذاالنوع ، أعود الى محفوظاتي ، أو الى ما بحوزتي من "عشاقيات" لاراجعها من جديد ، ولا بحث فيها عن جواب السؤال الجديد ، والغريب المذهل ، أن كل الاسئلة التي خطرت لي حتى الآن ، وجدت لها الاجوبة الشافية والكافية ، بل وتزيد بكثير عن الكفاية كما وكيفا الى حد أنها تثلج الصدر وتفرح القلب .

ويعود على بدىء : أجيب على السؤال الاول بكامل الاطمئنان : أن نعم في "العشاقي" قصائد عاطفية صادقة ، بل أن من شعراء الملحون من عاش تجربة عاطفية واحدة طوال حياته ، محمد بن سليمان مثلا : ولنجعل من شعره النموذج للملحون العاطفي الصادق ، يقول في داليته "ف : الروح اسبابي خال ف : وردا".

ويقول عن هذه الوردة : "فَاتْحَافِي غُصَنْ اسمَا فِي رِيَاضْ عَالِي مَنْ سَعْدِي" هذه الوردة" هي في أعلى غصن ، من أعلا روض

وفي لا ميته : "غير جيبُو وَرْدَا" مَنْ شي رِيَاض سُورُو عَالِي" هنا أيضا وردة" وأيضا في روض محصن" سورو عالي" يرمز الى هذه المحبوبة بالوردة لا في داليته ، ولا في لا ميته ، ولكنه في قصيدة أخرى من : "مكسور جناح" يرمز لها بالياقوتة :

ابْهَاوَعْلاَ مَنَ الْبَدْرْ يَاقُوتَا مَحْضِيَا "فِي جِيبْ السُّلْطَانْ" ونعرف أنها هي هي ، من الحصانة والصون" في جيب السلطان" والسلطان هنا بمعنى المنعة ، أو ما نسميه بالدارجة "الْحَجْبَا وَالرُّتْبَا" هنا في : "جيب السلطان" وهناك "في رياض سورو عالي" ، وهنالك "غصن اسما في رياض عالي ، ويضيف في المثل الاول "سعدي"

فَاتْحَا فِي غُصَنْ اسْمَا فِي رِيَاضْ عَالِي مَنْ سَعْدِي

ولست أدري على وجه التحديد هل كلمة "سعدي" بين قوسين ، فنفهم منها الكلمة المقابلة : "من نحسه" أي من سوء طالعه أن تكون الفتات التي أحبها في كل هذا الصون ، وأن تكون "عزيزة" بمعان اللفظ الثلاث ... حتى لا يمكن التوصل إليها بالمرة ... أم أنه يعني كلمة : "سعدي" كما هي فنفهم منه أنه لا يحب الفتاة الرخيصة المبتدلة المتاحة باستمرار وإنما من حسن طالعه أن تكون غير متاحة حتى ولو بقي هذا الحب من غير أمل إلى آخر رمق .

ويصف حاله مع هذا الحب العنيف فيقول :

هَاجْ وَجْدِي وَفْرَغْ جَهْدِي مْدَا مْعِي زَادُوا سُهْدِي

طَالَتْ عْلِيَّ يَاتَشْغَابِي ، هَدّْا الْفَقْـــــدَا

كَالْحْمَامْ الْفَرْدِي شَلَّا تْغَارْدِي وَنَا وَحـــــدِي

بَالْمْحَبَّا جَنْحَانِ رَابِي قُولُوا عَمْـــــدَا

بَعْدْ صَهْدِي وتْلَجِي وبْرْدِي تْنَاهْدِي تَحْمِي نَشْدِي

لاَهْ مَا نَبْكِي طَالْ عْذَابِي هــــذِي مُدَّا

ويقول في مطلع لاميته

آهْ مَنْ قَلْبِي يَشْكِي بَ : الْغْرَامْ مَا هُو سَالِـــي أُو اللِّي مَا يَعْذَرْنِي هَكْذَا ابْحَالِي يَبْـــلاَ

غِيرْ تَارًا بَرْدِي تَرًا اجْمَارْ هَذَا حَالِي   كُلْ سَاعَا يَاتِي لِيَّ طْبِيبْ ابْحَالْ الْحَمْلاَ

ويحدثنا عن محاولاته اليائسة في التقرب الى المحبوبة : والنموذج هذه المرة من قصيدة "الشهدة" .

أَمَّا امْشَايْخِي تَحْتْ اقْدَامَكْ لاَ حْتْ الْعْمَايَمْ   لُو كَانْ قَلْبَكْ نَصْرَانِي لاَ غْنَاهْ يَلْيَانْ

ويصف لنا حاله بين الناس في نفس القصيدة :

مِنْ غِيرْ حَالْ تُوجَدْنِي مَابِينْ الاسوَاقْ هَايَمْ

تَرَى نْغِيبْ تَرَى نَحْضَرْ حَتَّى تْقُولْ : سَكْرَانْ

فَ :الْحُبْ هَكْـــذَا حَالـــــــــي

غِيرْ سَلَّمْ لِي يَا مَنْ لاَ بْـــــــلاَهْ وَعـــــذَرْ

والحق أنه لم يكن يلق القول على عواهنه عندما كان يتفوه بعبارات مثل :

"دَابَا نْضَرَّقْ اخْيَالِي" "غِيرْ جِيتْ انْبَرِّي فَ : الرُّوحْ قَبْلْ تَخْرُجْ مَنْ جَسْدِي"

فَ : الرُّوحْ اسْبَابِي ، خَالْ فَ : "وَرْدًا" فلكأني به كان يحس بإحساسه الصادق ، أن هذا الحب القوي ، العنيف المتنمر سيؤدي بحياته لا محالة ، وكذلك كان ، فلقد بكته حضيرة الملحون ، ولما ينتهي العقد الثالث من عمره ، رحمه الله من شاب كان صادقا عندما قال عن نفسه :

قَلْبِي كْبِيرْ ، مَشْرُوحْ ، صْغِيرْ الرَّاسْ فَ : الْوْلاَيَمْ

طَبْعِي رْهِيفْ فَايَنْ تُوجَدْ مَثْلِي وَلِيسْ نُوهَانْ

حَتَّـــــــى نْضَرَّقْ اخْيَـــــــالِي

عَادْ يَنْدَمْ مَنْ كَانْ فَ :عَيْنْنَا مْكَثَّـــــــــرْ

وكنموذج للقصائد العاطفية الحية ، قصائد الانفعالات الشعورية الصادقة أسجل هنا النص الكامل لقصيدة " الياقوتة" وهي لهذا الشاعر الشاب محمد بن سليمان و "الياقوتة" كجل قصائد بن سليمان يختلط فيها التجريد بالتشكيل ، ويمتزج المطلق بالمعين ، ولو أن أهل الملحون الذين عاصروا بن سليمان - بن علي وغيره - وصلهم شعره ، وأحسوا به واستطاعوا أن يفقهوه ، لكان ديوان هذا الشاب ، نقطة تحول هامة في تاريخ الملحون ، ولكان الملحون اليوم ، في أعلا مراتب فن القول الرفيع ، ويرحمه الله إذ يقول في هذه القصيدة وبحق :

اشْحَالْ عَايْرُونِي بَالتِّيهَا فـَ : الاَقْوَالْ

اللِّي بْلاَ خْفَا جَهْلُوهـــــــــاَ

حَتَّى الدْهَاتْ مَا عَرْفُوهـــــاَ

عيروه بتحليقاته التي لا تكاد تنتهي ، وبسياحاته التي تتخطى كل الحدود ... وبهذه "الالغاز" التي لم تكن مألوفة عندهم يومئذ .

فـَ : زْمَانْهَا غْرِيبَة ما جابوها امثال

هو يقول عن هذه القصيدة ... فـ : "زمانها غريبة" أما أنا فاقول ديوان بن سليمان من ألفه الى يائه غريب في زمانه ، بل أن بن سليمان نفسه غريب زمانه .

فـَ : زْمَانْهَا غْرِيبَا مَا جَابُوهَا أمْثَـــــالْ

وْحَتَّى فـَ : الزْمَانْ الْفَايَـــــتْ

وينتقل الى "الياقوتة"

الشَّمْسْ مَنْ ضَيَاهَا غَــــــارَتْ

وَاللِّي يكُونْ عَقْلُه ثَابَـــــتْ

تَارَا يقُولْ حَمــــــْرَا

تَارَا سَفْـــــــرَا

ولْونْ فَجْـــــــرَا

مَاشِي نُقْرَا مَنَ الأَصَلْ مَا هِيَّ مَطْـــــبُوعْ

وَلاَ هِيَّ فَخْزِينْ عَنْدْ عَثْمَـــــانِي

نُورِيكْ سُومْهَا !؟ مَا هِيَّ مَشْرِيـــاً

مَنْ جَنْتْ رَضْـــــوَانْ

هَيّ "غَرْقًا مَنْ بَحَرْ التَّفَافَحْ "صَافِي مَجْرَاهَــا

ابْهَا وَعْلاَ مَنْ الْبْدَرْ يَاقُوتَا مَحْضِياً   فِي جِيبْ السلْطَــانْ

وَفَانِي بَ: الرَّافَا بْلاَ شَمُوعْ رَسَامِي ضَوُّاهَــا

ويغرق في ضياء برق الاشراقة التي اشرقت عنه من وجهها ، والتي سرعان ما اختفت لتتركه يبكيها في : "الشهدة" في اللامية" في "الدالية" إلى أن وافته المنية ، إنها "الدراما" الحقيقية لمن يبحث عن "رائعة مغربية لمسرح مغربي "طبعا لا أعني "الياقوتة" وحدها ، وإنما أعني "حياة بن سليمان " جملة وتفصيلا : حبه الماسوي لهذه الياقوتة أو "الشهدة "أو الوردة"

معاناته مع أهل الملحون في عصره ، وخصوصا منهم بن علي ولد أرزين" القطيعة ، أو الجفوة التي طرأت على علاقته بأهله وذويه ... إصابته بداء تضخم القلب ، لقد انهمر الدمع من أعيني وأنا أكتب هذه الكلمات ، فأتلف بعضها ، وعلى أن أعيد كتابة هذه الصفحة ... فالله وحده هو الذي يعلم ما ألاقي من عناء ، كلما تعاملت مع شعر هذا الانسان

اضْوَي مَنْ الْمَصَابَحْ فِي دَاجْ الَى كْحَــالْ

وبْهَى مَنْ الثْرِيَّا تَكْـــدِي

وَبْهَا مَنْ "الْبْدَرْ الْمَبْـــدِي"

"عْلَى التْمَامْ هَذَا قَصْـــدِي

"الْبْدَرْ الْمَبْدِي" أي الظاهر . من بدا يبدو ولكنه خشي أن يقول الخصوم "لبدر المبدي" أي الذي في بدايته ، ولا يزال كالشعرة ، فسارع الى القول "عْلَى التْمَامْ هَذَا قَصْدِي" .

ضَوًا مَنْ الْمَضِيَّـــاه = الشَّمْسْ

فِي صَبْحِيَّـــا

عْلَى الْبْرِيَّـــا

هَذَا هُوَ كْمَالْهَا وَضَيَاهَا شَعْشُـــوعْ

وَالْبَرْقْ الضَّاوِي فِي شَرُوقْهَا فَانِـــي

لَعْقُولْ مَنْهَا فِي شَطْنَا مَذْهِيَـــا   شَطَّانَتْ الاذْهَـــانْ

يقوتا حرا وكل ضاوي ، ضاوي بضياهـــا

ابْهَا مَنْ الادْرَارْ السيَّارَا فِي كْمَـــــــــالْ

هَانُوا مَنْ الْفلْكْ الثَّامَـــــنْ

هِيَّ عْطَاتْهُمْ مْحَاســـــــنْ

وَاللِّي يكُونْ طَرْفُو وَاسَـــــنْ

بَعْدْ الْمْنَامْ يَنْظَـــــرْ

سرًّا مْعْتَبْـــــرْ

بِهْ يَفْخَــــرْ

حَتَّى يَرْجَعْ مَنْ كْمَـالْ ضيَاهـــا مَفْـــــزُوعْ

وَانَيَا شَلاً نْصيفْ بَلْسَانِي

عَنْــــــدِي طلوعها فِي رُتْبَــــا عْلُيًّــاً فِي بَرْجْ الْكِيـوَانْ

وَنْجـــــــــــومْ الدَّاجْ إِلَى ضوَاتْ يَظْهَرْ فَ : الْفْلُكْ سنَاهــــا

☆☆☆

وفـــــرَا عْلَى الْجْبِينْ ، اللِّيلْ فَ : وَسْطُو هــلاَل

دَعْجْ اللّحَـــــاظْ زِينْ ألْقَامــا

صَارِي سفِينْتُو عوَّامَــــــــا

وَلَّ تقُولْ غِيرْ رْخَامــــــا

لَعْلاَمْ لِيهْ وَقْفَـــا

زِينْ الْخَلْفَـــا

مْنِينْ يُوفَـــــا

يَطْفِي جَمْرْ الاشْوَاقْ بَالزُّورَا لَلْمُولُوعْ
وَالزُّورَا هِيَّ جَنْتِي ورَضْوَانِ
وَالْعَطْفْ فِيهْ عَيْشِي وَالْهَجْرْ مَنْيًّا — وَالْجَفْوَا نِيرَانْ
وَالْوَجْنَا هِيًّ رَاحْتِي وْلاَ يَقْلَعْ اِلَى مَلْقَاهَا

☆☆☆

احْلاَ مَنْ الشَّهْدْ فِي قَلْبِي وَمَنْ الْمْصَالْ
احْلاَ مَنْ الْخَمَرْ فْ : طَلْعُو
وِيعَطَّرُو رْشِيفْ تَبُوعُو
بَمْرَاشْفُو يْكُونْ قْطُوعُو
نَجْنِي فْ : كُلْ لَحْظَا
وَرْدْ فْ : لَحْظَا
وْخَالْ يَرْضَا
كَنُقْطَا مَنْ امْدَادْ فِي وَرْدْ بْلاَ مَقْطُوعْ
حَاضِيهْ غْلاَمْ عْلَى الْيْمِينْ سُودَانِي
نُورِيكْ حلْتُو يَاسَايَلْ زَنْجِيًّا — جَاتْ مَنْ الْحَجْبَانْ
لاَبَسْ بَرْنَاطَا مَنْ نْشَاهْ مَنْ سَرّْ الزِّينْ انْشَاهَا

☆☆☆

يَاسِيفْ عَنْتْرَا فَ : نْهَارْ يْطُولْ الْقْتَالْ
يَابُنْدْ دُولْةْ الْعْلُوَي

يَارُمْحْ حَامْلُو عْلَقَـــــاوِي

يَاتَاجْ عَامْلُو كَسْـــــــرَاوِي

نْهِيبْ لِيكْ صُغْــــــــرِي

حَتَّى كُبْـــــرِي

نْزِيدْ عَمْــــرِي

"وَلُو هَنْتِي بْقِيمْتِي لِيكْ عْطِيتْ الطُّــــــوعْ"

جعلتُ الشطر الاخير بين قوسين لِأُشير فقط ، إلى أنه من المصابيح التي تلقي بعض الأضواء على ظروف وملابسات تجربة بن سليمان العاطفية،"ولو هنت بقيمتي ليك عطيت الطوع " . وإذا ما أضفنا الى هذا الشطر قوله في قصيدة : "الشهدا"

"أما امشايخي تحت قدامك لا حت العمايم" : "مشايخا " "عيران " "ادخيل"

وإشارة من هنا ، وأخرى من هناك وهكذا وهكذا إلى أن توضحت الملامح ، وظهرت السمات لهذه التجربة العاطفية الحية . ولو شئت لجعلت بن سليمان يعود فيحيا حياته مرة أخرى على هذه الصفحات ، تماما كما كان يحياها في واقعه المفجع ...إنما لا أحب أن يطغى على حبي له وهيامي به حتى أنزلق الى الترجمة له وحده من بين كل الذين أتعامل معهم في هذا الكتاب ، خصوصا وأنهم جميعهم شيوخي وأساتذتي وأولياء نعمتي ، رحمهم الله جميعا ، وأحسن إليهم .

انْهِيبْ لِيكْ صُغْـــــرِي

حَتَّى كُبْــــرِي

نْزِيدْ عُمْــــرِي

وَلَوْ هَنْتِ بْقِيمْتِي لِيكْ عْطِيتْ الطـــــــوُّعْ

انْتَ مَفْتَاحِي يَا مْسَرَّحْ اسْجَانِي

وِيلاَ قْتَلْتْنِي مَا تَقْبَاضْ افْدِيَّـــا نَسْعَاوْا الْغُفْـــرَانْ

دِيكْ النَّطْرَا هِيَّ الْمْرَامْ وَالتَّبْسِيمَا مَا احْلاَهَـــــــا

★✪☆★★

صبْحُو يْعَايْــــرُونِي بَالتِّيهَا فـَ : الاقْــــــــوَالْ

اللِّي فـْ : جِيلْنَا جَهْلُوهَـــــا

حَتَّى الدْهَاتْ مَا عَرْفُوهـــــا

هَذَا تْمَامْهَا وبْدُوهَـــــــا

نَقْمَا لْكُلْ جَاسَـــرْ

شَعْرُو هَاجَـــرْ

رَاحْ خَاسَـــرْ

وَالْعَـــاشَقْ مَنْهَا يْـــــرُوحْ مُوْلَّع مْلَسُـــــــوعْ

"العاشق" هنا معناها : "المتذوق" والضمير يعود على القصيدة أي أن المتذوق إذا ما قرأ هذه القصيدة أو استمع إليها "يروح مولع ملسوع" ويضيف : " أنا سفرت على اللجوج قرصاني " ، أي خضت بحار المعاني "لا تي منها بكل نفيس" ورجعت ب : الغنايم فرحا مثنيا" فرحته بسلام الرجوع ، فرحته بما جاء من دخائر .

أَنَا سَفَّرْتْ عْلَى اللْجُوجْ قُرْصَـــــانِي

وَرْجَعْتْ بَالْغْنَايَمْ فَرْحَا مَثْنِيًا " قَابَضْ لِيهْ دْمَــــانْ

هَذَ لَهْوَى يَااهْلَ الْهْوَى مَخْتَاصَرْ فـَ : هْوَاهَـــــا

وليس من نافلة القول أن أشير هنا الى أن مثل هذه العبارة : أنَا سَفَّرْتْ عْلَى اللْجُوجْ قُرْصَانِ "والابيات التي في "الشهدا" :

هَذَا شْحَالْ وَنَا قُرْصَانِي عَاجزْ الْغْنَـــايَـمْ وَالْيُومْ سَاعْدُو رِيحْ سْعِيدْ عْلَـــى الْوْصُولْ عُوَّالْ

هُوَ رْمَاهْ لَلْمَــــالِي رَايْسُـــو عْلَل لَغْنِيمَا صِيفْطُـــــــو يْــــدُورْ

رَسًا امْخَاطْفُو فـَ : الْمَرْسَا وَتْكَلْمُوا الزْرَايَـــمْ

خَرْجُوا اهْلَ الْمْدِينَا قَالُوا هَذَا الرَّايْسْ فْـــلاَنْ

نَادَا سرُورْهَا فَالِـــــــــــي

فِي اسْوَاقْ الْفُرْجَا تَدْخِيرتْـــــو يَشْهَـــــــرْ

وإشارات أخرى هنا وهناك ، تفيد أن بن سليمان هو امتداد لسيدي عبد القادر العلمي ، فمثلا "السفينة" "القرصان" "خوض بحار المعاني" عند سيدي عبد القادر العلمي قبل أن يولد بن سليمان بنصف قرن من الزمان .

"انْغُوصْ عَنْ بْدِيــــــعْ الْحُسْنْ فَغْمُقْ "اللْجــــُوجْ"

" فَعْسَى الَى وقَفْ لِيَّ دَيْـــــــــدَانْ"

"وْجَابْ الغْنَايَــمْ قُرْصَـــانِـــــي"

"اللجوج" : لجج البحر ... الغنايم" "لغنيمة" جميل المعاني" رائع الصور ، وقد استعمل سيدي عبد القادر "السفينة" و "القرصان" و "البحر" للإيجاب كما استعملها للسلب ، استعملها للنجاح والخروج بالغنائم كما استعملها للفشل ، والضياع .

........سفِينَا مَابِينْ مُـــــــوجْ

مُوجَا تْلُوحْهَا مُوجَا تَرْفَدْهَـــــــا

وْلَاقْدَرْ رَايَسْ يَرْصَدْهَـــــا

غَادْيَا فَـ : الْبَحَرْ وَحْدَهَـــا

عْلَى جهْدَهَـــا

ونفس الشيء عند بن اسليمان ، فكما اخبرنا غير مامرة برجوعه من خوض البحار بالسلامة والغنائم ... اخبرنا ايضا بالويلات التي صادفته

أنَا رْمِيتْ رَاسِي فَـ: الْبَحْرْ الْعَاتِـــي غَايَبْ لِيهْ سنِينْ مَا ظْهَـــــرْ
وْفَـ: الْمَرْسَى تُجَّارْ كَاتَتْسَنَّا

أنَا سفِينْتِي كَسرْتْهَا مُجَاتِـــــــي وَالْبَحْرْ يَا كَلْتْ اصْبَـــــــرْ
نَجِّنَا يَا صَاحَبْ الدْمَامْ غَرْقْنَا

مَاجِيتْ لَلنْجَا مَا صِيفَطتْ ابْرَاتِـــي ، وَعْلَى نَاسِي غَيَّبْ الْخْبَـــــرْ

وَحْبَابِي وَمْعَارْفِي تَتْسَنَّا

وكما لم يستعمل سيدي عبد القادر العلمي "القرصان" في الحالات الاخيرة بل اكتفى ب "الرايس" كذلك اكتفى بن سليمان بـ: "البحريا "

وليس هذا الطرح وحده هو الذي يفيد امتداد سيدي عبد القادر في شخص بن سليمان ، بل هي طروحات وطروحات ، يمتد فيها شعر الاول في شعر الثاني ، زيادة على اللفظة المشعة ، والعبارة الموحية في شعر هذا كما في شعر ذاك ، وزيادة على طرق السير في كل الموضوعات التي يتلقي فيها هذا بذاك ، وزيادة على الكيفية التي يسكب بها كل واحد منهما عصارة قلبه ، وخلاصة تجاريبه ، ومقارعة الخصوم بقوة ، منطق ونصاعة تعبير في هذه القصيدة أو تلك، وفقه الدارجة المغربية في شعر هذا كما في شعر ذاك ،وتوظيف مقولاتها ، ومعانيها وتمثلاتها ... على كل حال نقط اللقاء التي يلتقي فيها بن سليمان بسيدي عبد القادر كثيرة وكثيرة جدا جدا ، وليس من حشو القول أن نشير هنا الى أن عمر بن سليمان لا يزيد عن ربع عمر سيدي عبد القادر إلا بسنتين فقط

وَاللَّهْ الزِّينْ مَا نْدُوزْ ولُو يَسْخَا بِـــــــيَّ   فِي طَبْعْ زْمَـــــــانْ

عَشْقِي صَافِي حْجًا وْحَالْتْ الفَسْدَا مَا نَرْضَاهَا

أنَا الْمَوْلُوع بَالْهْوَى كِيفْ مُوَلَّعْ بِـــــــيَّ   مَا عَنْدِي رُقْبَــــــانْ

غِيرْ عْدَايَا بَمْشَاهْبْ اللْضَا تَتْخَبْطْ فَ : لْضَاهَا

تَخْوِيضْ الرِّيقْ وَالْخَمَرْ فِي شَفًّا عَسْلِيًّـــا   مَنْ غِيرْ الكِيسَـــــانْ

هَذِيكْ الدَّاتْ مْنِينْ تَنْتْقَلْ مَنْ دَاهَا لَدْوَاهَا

وَالزَّنْجَارْ وْخَلْ يَمْتَزَجْ وَنْعَصْرُ وبِيدِيًّـــا   فَ : عْيُونْ الْعَدْيَـــــانْ

وَنْضَرْتْ الْكُرْهْ مَنْ الْحَسُودْ قَامَتْ الارْيَاحْ مْعَاهَا

"قُلْ هُوَ اللَّهْ "حِصَنْ حَصِينْ و"قُلْ أُوحِي"   وَأيَاتْ "الرَّحْمَـــــانْ"

هَذْ الْخَمْسَا هُمَا حْجَابْ وَسُورَتْ "يَاسِينْ" و"طَهَ"

وَسْلاَمْ الْوَهْبْ وَاهبُو لَصْحَابْ الوَهْبِيًّا   بَرْجَالْ أُو نَسْــــــوَانْ

فَ : رْيَاضْ الْمَعْنَا قَالْ "بَنْ سْلِيمَانْ" عْقُودْ رْوَاهَا

بـدأنا شعر العواطف الصادقة ببعض ما كتبه بن سليمان ، باعتباره في نظرنا النموذج الرفيع لعينة من الشعراء ، عاشت العمر كله تجربة عاطفية واحدة وظلت تعبر عنها في كل ما تبدع من روائع : - لهويتر - بوزايد - قدور بن على - مولاي قدور البلغيتي وغيرهم .

وننتقل الان الى عينة من شعراء "العشاقي" لا نكاد نجد شعر العاطفة الصادق عندها إلا في أبيات هنا وهناك ، أو في أحسن الاحوال قصيدة واحدة تامة وكنموذج رفيع لهذه العينة في نظرنا "الجيلالي متيرد" ، وقد اخترنا من "عشاقياته" .

فَاطْمَةَ شَرْعْ اللَّهْ مْعَكْ بِينْ الارْيَـــامْ وَاشْ لَحْبِيبْ يْكَافِي بَ : الْجْفَا حْبِيبُـــو؟

قد يتغزل فيها ، ويثني عليها الثناء العطر وقد يعيرها ، ويشهر بها لتشهير النتن لا يهم ... سيان عند التنويه بجميل المحاسن أو التشهير بقبيح المساوئ إذا كان النبع هو صدق الشعور والاحساس ، إذ المهم هو حرارة الانفعال عند ما تصل في هذه الحالة أو في تلك الى التوهج ، بل الى الاشتعال .

يَاللِّي بَهْوَاهَا دَمْعْ النْوَاجَلْ سَجَّـــامْ   فُوقْ خَدِي وَضَّحْ لاَهْلَ الْهْوَى كْتِيبُـــو

بَعْدْ حُسْنْ الْعَشْرَا وَكْمَالْ طِيبْ الْمْـرَامْ   زَامْ رَعْدَكْ وَهْطَلْ بَفْرَاتْنُو سْكِيبُـــو

بَانْ عَيْبَكْ وَغْشَانِي فَ : الْجْوَارْحْ سْقَامْ   نَاسْ الْحْيَا لُوطَالْ الْحَالْ مَا يْعِيبُـــو

الْمْلِيحْ مْسَاعَدْ وَمْسَاعْدَاهْ الايَّـــامْ   وَالْقْبِيحْ افْعَالُوا وَمْصَايْبُو تْصِيبُـــو

✪☆✯

أَنَا يَافَاطْمَةَ حْسَانَكْ مَا نَنْسَـــاهْ   وَنْتِ الاحْسَانْ مَا تْلِيتِي مَنْ نَاسُـــو

بَحْتِي بْسَرْنَا وَلَوْ حْتِي بَغْطَـــاهْ   "مْعِيَارْ" الْحُبْ طَابْعَكْ كَشْفْ انْحَاسُـــو

حَتَّى بْنْيَانْ مَا عْلاَ دُونْ أَسَاسُـــو

كَـــانْ كُنْتِي شَـــادِي ضْيـــالْ   كُنْتِي عَنْدِي لَلنَّاضْرِينْ عَزْ أُوزَهْـــوَا

كَـــانْ كُنْتِي صَـــارَمْ فَـــلاَلْ   قَبْلْ لاَ يَحْفَا هَدِّيتْ بِهْ كَمْ مَنْ رَيْـــوَا

كَانْ كُنْتِي بَدْرْ فْ : الْمْثَـــالْ   مَنْ ضَيْ سْرُورْ امْحَاسْنِي تْهَلَّلْ وَضْوَا

كَانْ كُنْتِي سَرْتِيًّا مَنْ سْرُوتْ زْعَّـامْ   لَحْتْ سَرْجَكْ وَلْغِيتْ عْلَى الرْضَا رْكِيبُو

كَانْ كُنْتِي بْسُتَانْ دْكَاتْ فِيهْ الانْسَامْ   مَنْ شْذَايَا فَتَّحْ زَهْرُو وْفَاحْ طِيبُـــو

كَانْ كُنْتِي بِينْ فْحُولْ النْجَايْبْ مْقَامْ   إِلَى عْلاَتْ الْحِيطَانْ أسْوَارْهَا يْرِيبُـــو

كَانْ كُنْتِي ثُوبْ الْبَسْنَاكْ بِينْ لَكْرَامْ   وَجْلاَيَلْ لَحْنَاهَا لَلثْرَا سْحِيبُـــو

كَانْ سَهْيِتِي سَتْيَقْضِي مَنْ حَالْ سَهْـوكْ   وَالَى تَهْتِي التِّيهْ تَعْرِيكْ أيَّامُـو

نَظْرِي بَمْلاَمْحْ الابْصَارْ اللِّي سَبْقُـوكْ   كَمَا فَرْغُو يَفْرَغْ سُوقَكْ وَزْحَامُـو

سِيرِي حَتَّى يَشْرَبْ عَوْدَكْ بَلْجَامُو

الَــى تْرَفْعِــي قَــدْرَكْ يَصْغَــارْ   لاَدَأْبْ يَدَلْ عْلَى كْمَالْ طِيبْ النْسْبَا

لا تْصَرَفِــي فَ حْبِيبَــكْ عَــارْ   رَدِّي شِيطَانْ بْلاَكْ عَنْ عْيُونْ الوَدْبَا

الْجْفَــا بَعْدْ الْوَصْــلَ غْيَــارْ   صَاحَبْ غَرْضُو بِينْ الاصْحَابْ مَالُو صَحْبَا

لاَ تْغَلْطِي حِينْ تَنْظرِي بْيَــاضْ الْكْمَــامْ   عَمْرًا وَقَاتْ اهْلَ الْغَلَطْ مَا يْطِيبُــو

لوشْرَقْتْ وْلاَحَتْ فَ : الْجَوْ شَمْسَكْ عْــلاَمْ   لاَ غْنَا اللِّيلْ يْنَادِي خَلْفْهَا حْجِيبُــو

لُو تْعِيشِي مَا عَاشُوفَ : الزْمَانْ "الاهْــرَامْ"   لاَ غْنَا مَنْ لَكْبَرْ يَاتِيكْ جُنْدْ شْيِبُــو

إلَــى حْكَمْتِي وَتْحَكَّمْتِي يَفْرَغْ الاحْكَــامْ   سَاعْتْ الظُّلْمْ تْفُوتْ ، وْنَاسْهَا يْغِيبُو

☆☆☆

حَدَّثْتَكْ وَالْحْــدِيثْ لِلْعَاقَلْ تَنْبِيــهْ   تَرْكِي صَدْ الْجْفَا وْجُولِي فُ : اوْصَافِي

عَرْضَكْ صُونِيهْ ، وْعَيْبَكْ النَّاقَــصْ غَطِّيــهْ   مَحْلْ مَنْ جَا بْصَدْقْ وَالْقَولْ الْوَافِــي

حَافِيتَكْ بَالْجْفَا وْلاَزَلْتْ انْحَافِي

مَــاحْدَتْ لَكْ مَنِّــي هَجْــرَانْ   يَامَنْ لاَ فِيهَا خِيرْ مَنْ شَغَافِي يَكْــفَا

بَــاحْ سَــرِّي بَعْدْ الْكْتْمَــانْ   لَمَّنْ نَشْكِي بَجْفَاكْ يَا قْلِيلْتْ لُــوفَا

قَــالْتْ الْــودْبَا وَالْعَرْفَــانْ   مَنْ لاَ يَحْسَنْ بَاحْسَانْ مَا يْلِيهْ مَعْرَفَا

بَالْوفَــا وَافِي مَنْ وَافَاكْ بِكْ يَنْعَــامْ أَشْ مَنْ جَرْحْ بْرَامَا عَــالْجُو طْبِيبُــو

طَــاعْتَكْ لاَ زَمْ عَنِّي وَاجْبَــا فْ : الْغْرَامْ لاَ يَقْطَعْ مَنْ بْهَاكْ السَاكْنِي نْصِيبُــو

بَـــالْمَكَارَمْ كَرْمِي ، وَالرَّاحِمِينْ تَرْحَامْ لُو بْخَلْتْ الْبُخْـلاَ لَجْوَادْ مَا ايْخَيْبْـــــــــــو

طَالْتْ الْغُرْبَا زُورِينِي بْسَرْعْ الاقْدَامْ ضَرْعْ نَـاسْ الْجُودَا مَا غَرْزْ مَنْ حْلِيبُـــــــــو

☆☆☆

مَـنْ بَـــاعْ حْبِيبْ خَــاطْرُو بَالَفْ زَلَّـــة   بَاعُو بِيعْ الْخْطَا بْسُومْ رْخِيصْ بْخِيسْ

أَنَـــا قَلْبِي عْلَـى الْمْحَبَّا مَـــا وَلَّـــى   وَنْتِ قَلْبَكْ كَـــالْحْجَرْ جَلْمُودْ يْبِيـــسْ

مَبْقَانِي مَنْ جْفَاكْ كَانَعْدَلْ وَنْمِيسْ

أَشْ قَـــلْ حْسَانَــــكْ وَجْـــــــدَاكْ   حَتَّى خَـــالَفْتِي عَـــاهْدِي بْغِيرْ نْوِيًّا ؟

شَـــــرْ قْبْحْ افْعَـــالَكْ يْلَقْـــاكْ   مَـــايَنْجَحْ مَـــنْ لاَ فِيهْ صَدْقْ وَلاَ نِيًّا

فِـــــي نْهَـايَتْ مَسْطُـــورْ غْنَــاكْ   رَدِّي نَفْسَكْ لَحْجَـــاكْ لاَ تْكُونْ سْهِيًّا

لاَزْمِـي مَـــنْ طَاعَكْ وَلْغِي عْلِيكْ الْمْـــلاَمْ   وَاشْ قَلْبَكْ وَصَّـــاكْ تْسَاعْفِي رْقِيبُوا؟

للصبر شَدِّي يَا تَاجْ الْعْوَارَمْ حْزَامْ عَارْ الاشْيَاخْ الْعَاقَلْ لاَغْنَا يْهِيبُوا

بِينْ لَمْحَاسَنْ لِيكْ رْعِيتْ حَـــقْ وَدْمَـــــامْ   لاَ غْنَا كُلْ مَنْ الدَّاهْ الْجْفَا يْجِيبُـــوا

إِلْـــى قْرِيتِي مَسْطُورِي جَاوْبِيهْ بَسْـــــلاَمْ   وَاشْ قَلْبْ الْمَحْبُوبْ صَفَا عْلَى حْبِيبُوا

☆☆☆

امُــــولاَتِي إِلَـــى وَتِيتْ الصَّفْحْ يْعُـــمْ   دْوِيتْ بْحَرْ نَـــارْ شُوقِي وَغْرَامِـــي

قُولِيلِي وَاشْ خِيـــــرَكْ الْمَنْعُـــومْ نْتَـــمْ؟   هَلْ تَرْجَعْ كِيفْ كَـــانَتْ امْعَكْ يَامِـــي ؟

نُكَّارْ الْخِيرْ قَالْتْ النَّاسْ حْرَامِي

لَـــو تْبِيعِينِـــي عْلَـــل لَشْهَـــــادْ   حَاشَا نَفْدِيلَكْ خِيرْيَا شْبِيهَتْ عَبْـــلاَ

كَـــانْ عَشْقَكْ لِـــيَّ جَـــــــدَّاد   مَالُو نَقْطَعْ يَا بُودْلاَلْ مَنْ حِيثْ حْـــلاَ

يَـــــا تْرَى لَلْقَـــــايت يْعَـــــادْ　　يَدْفَقْ خيرك ويفيض كُلْ يومْ بْحَمْـــلاَ

بَ : الزْيَارَا وَلْفتني حسانكْ التَّـــامْ　　كُلْ يُومْ يْهَبْ نسيمْ الرْضَا بْطِيبُـــــو

فالكْدِينِي ، زُورِينِي فِ : يَقْضَا وْالْمْنَامْ　　الَى غْضَبْتَكْ لقْلِيبْ يْرُوقْ مَنْ غْضِيبُــو

عَبدا لجْلِيلْ يْرَاعِي لِيكْ عَبْدَكْ غْـــلاَمْ　　لِيكْ طَاعَا وَالقَادَرْ رَبْنَا حْسِيبُـــــو

الكدوب امولاتي ف : الْمْذَاهَبْ حْـرَامْ　　قَالْ مَمْلُوكْ غْرَامَكْ : بَرْدِي لْهِيبُـــــو

كانت هذه هي قصيدة "فاطمة" أو "الغضبانا" كما سماها فقيد مدرسة الملحون المعاصرة محمد دلال رحمه الله . وهي للجيلالي متيرد المراكشي وقد سبق القول غير ما مرة : أنه كان رحمه الله على رأس شعراء الملحون الذين عاصروا السلطان الصالح المصلح سيدي محمد بن عبد الله .

والقصيدة كما لا شك لاحظ القارئ الكريم - تعبر عن تجربة عاطفية صادقة ومن شيوخنا من قال عنها : أن الشاعر يخاطب فيها زوجه الغضوب ، ومنهم من يضيف أن فاطمة هي أم النجار صاحب قصيدة "نور الحق السامي" وأن هذا الاخير نشأ في أحضان الجيلالي متيرد إذ تزوج أمه التي ترملت في عز شبابها ، وتبنى طفلها ، ومنهم من يقول : لا أنها مجرد "شيخا عياطا" ولع بها وعاش مدة طويلة لا تفوته ليلة من ليالي الافراح التي كانت تحييها بفنها الحوزي ، وهي نفسها التي قال عنها في غينية من "أغانيه" يُومْ الاثْنِينْ نَلْحَقْ "عَيْطُونَا" طَايْحَا بْ : الْمْدَامْ تلاغي" .

أما أنا فمع الرأي الاول ، وعندي من الادلة ما يدعمه ، إنما الموضوع برمته مكانه ليس على صفحات هذا الكتاب ، وإنما في "الترجمة للجيلالي امتيرد" من كتاب" أعلام الشعر الملحون" وسيصدر قريبا إن شاء الله .

الشعر الغزلي

أما "الغزل" فيكفي - في نظرنا - أن يقول الرجل لامرأة : أن ثوبها جميل وأن الوانه متناسقة ترتاح اليها النفس ، فقد تغزل فيها حتى ولو لم يقصد وعلى هذا الاساس أسوق قصيدة "الياسمين" للحاج إدريس بن علي وهو من المعاصرين للسلطان الجليل الحسن الاول قدس الله سره .

طَابْ السْرُورْ وَنْسِيمْ رْضَاكْ يْفُوحْ كُلْ حِينْ　　وِيعَطَّرْ الرْيَاضْ أُويَعْبَقْ بَالطّيبْ مَنْ كْمَامَكْ

وَعْرَايَسْ الازْهَارْ يْخَضْعُوا لَبْهَاكْ مَـــايْلِينْ　　وَالْيَاسْ ، قَامْتَكْ يْتْمَخْتَرْ وِيتِيهْ مَنْ قْوَامَـكْ

وحْنَــا فـ: ضَلْ عَطْفَكْ يَامُولاَتِي مْزَهْيِــينْ　　فَ : الْعَزْ ، وَالْهْنَا ، وَالسَطْوَا ، وَالسَعْدْكْ : غْلاَمَكْ

لاَتِيهْ لاَ جْفَا لاَ هَجْــرَا الْقْلُوبْ سَـــالْيِينْ　　بَالْفَرْحْ وَالسْرُورْ أُولَمْنَا وَالْخِيرْ فِي مْقَامَكْ

انت للّي علاشانك علّل لبْنات كامْلـــين — وَالشَّمْسْ فـ:الضحى تَسْتَحْيَا وتْغِيبْ فِي خْيَالَكْ
انت جْمِيعْ هَلْ لَمْحَاسَنْ لَبْهَاكْ خَاضْعِــين — ما ريت ف : الغوالي مسرارا باهيا ابحـالك
انت السّاكْنَا فِي قَلْبِي مَا طَالْتْ اسْــنِينْ — وَنْتِ الْمَالْكَانِي مَنْ بَعْدْ كُنْتْ لِكْ مـــالَكْ
والسرّْ وَالْطَافَا وَالْعقْلْ الرَّاجحْ الْفَطِـــين — غْزِيلاَ لْبِيقَا وعْـــذَابْ الْقَلْبْ مَنْ جمـــالَكْ

✪☆✬

انت جْوِيهْرَا مكْنُونَا فـ : الْعَقْدْ اثْمِـــينْ — وَنْتِ وِيقْتَا وَالْيَاقُوتْ قْلِيلْ فـــي امْثَـــالَكْ
والجوهرى النّفيسْ السَّاطَعْ وَالدُّرّوَاللّجِـين — قُدَّامْ صُورْتَكْ يْتْلاَشَا ، وَاشْ قِيمْتُو قْبَـالَكْ ؟
انت الرُّوحْ وَالرَّاحَا ، عَنْدَكْ خَاطْرِي رْهِــينْ — فُكِّي يَسْبِرْ حُسْنَكْ وَفْدِي مَنْ زَاكْ فِــي دْلاَلَكْ
وتبسمي يْبَانْ الجُّوهَرْ فـ : الْخَاتَمْ الْحْصِينْ — وَتْمَايْلِي وتِيهِي يَحْلاَلِي كُلْ مَـــا حْـــلاَلَكْ

✪☆✬

انت فِي وْصَافْ بْهَاكْ يْحِيرُوا الْوَاصْفِـــينْ — وَالْقَوْلْ يَنْتْهِي ، وِينَحْصَرْ الْكْلاَمْ فِي وْصـــافَكْ
وغصين الْقْدِيدْ وَغْرَابْ التِّيتْ وَالْجــــبِينْ — وبْجَاهْ حَاجْبَكْ لَمْعَرَّقْ رَفْعِي لِي حْجَـــابَكْ
وعيون كَعْيُونْ الضَّبِّي اسْرَادَا مْهَـــذْبِينْ — وَإِلَى انْجِيوا لَلْحق الضَّبِّي يْغِيرْ مَنْ عيـــانَكْ
طلبت الشّرْعْ مَنْ لَشْفَارْ اللّي امْخَبّـــلِينْ — وَالْخَدْ وَرْدْ حبَاشِي يَجْرِي فِيهْ مَا شْبْـــابَكْ

✪☆✬

بك السّوَايَعْ أُو الايّامْ أُو الاوْقَاتْ زَاهْيِــينْ — وَمْبَاسَمْ السّعَادَا تَضْحَكْ بَسْرُورْ هَاتْفَـــالَكْ
ونتي فِي حْلَلْ وَحْلِي وَالنّهْدِينْ وَاقْـــفِينْ — نَحْكِي لُويمْنَاتْ تْقُولْ لْمَنْ جَايْشُوفْ : مـــالَكْ ؟
والعود يَنْحْرَقْ وَدْمُوعْ الشّمْعَاتْ سَاكْبِــينْ — وَنْتِ فـ : قَلْبْ قُبًّا مْلُوكِيًّا بْمَارْهـــــالَكْ
هاك الالْفَاظْ تَسْحَرْ هَلْ الاذْوَاقْ الْمْأَدْبِــينْ — نَحْكِي عقُودْ جِيدَكْ ، وَحْلُوَا كَنْهَا مْقَـــالَكْ

مَن رَايَقْ النَّظَامْ اللِّي شَهَدُولُو الْفَايْزِيــــــنْ   إدْرِيس بَنْ عْلِي قَوْلُو مَا بِينْ الرْيَامْ ســـَالك

اللازمة أو "الحربة"

صُولِي بْطِيبْ لَمْحَاسَنْ يَا مَشْمُومْ كُلْ زِيـــنْ   أَنَا فْ : عَارْ ذَاكْ الْخَدّْ الذَّهْبِي وَمْسَكْ خـَالَكْ

✪☆✯

تكتفي قصيدة "الياسمين" للحاج إدريس بن علي كنموذج للغزل في الشعر الملحون إنه مجرد تلطف ، أو بلباقة أو أنه النبل في التعامل مع المرأة أما التغني بالمفاتن الحسية للمرأة ، ووصفها من رأسها الى قدميها ، وتصويرها في غلالات لا تكاد تخفى أي شيء من مفاتنها الجسدية ، فذلك لا يكاد يحصى ، ويكفي أن نجتزيء هذا الوصف من قصيدة "الباكي" للتهامي المدغري ، الذي لا يدانيه ، ولا يمكن أن يجاريه أحد في هذا الباب :

سْبَابِي وَنْظَرْتْ "الْقْدُودْ" تَتْمَـــــايَلْ   وَتْسَاعفْ النْسِيمْ يْمِينْ وَيْسَـــــارْ
وَ"سْوَالف" وَ "ضْفَايَرْ الشْعَــــــرْ"   بَالْيَاقُوتْ الرْفِيعْ وَنْسُومْ ذْكِيـــــاً
وَ"الْغُــراً" وَ "جْبِينْ" تَحْتْ لِيـــــلْ "الْوَفْرَا" بَرْقْ أُوهــــلاَلْ وَثْرِيًا وَالْغَـــــرَّارْ
وَالْحَجْبِـــينْ "نُونِـينْ فَ : السْطَـرْ   عَطْفُوا عَطْفَا عْلَى السْيُوفْ الْمَسْقِيـــاً
وَالشْفَرْ "الذَبَّــــاحْ تَقُــولْ صَارَمْ وَ"هْــدَابْ" مْرَيْشِينْ فُوقْ "الْغَنْجْ" السَّحَّـارْ
وَالْخَدّْ "الْعَكْــــرِي بْــــلاَ عْكَرْ   وَ "الْخَالْ" غْلاَمْ فِي عْرِيصَا مَسْقِيـــاً
وَ"الْمَعْطَسْ" سُوسَـــــانْ رُونَقْ رْكَــابُو لَلسُلْطَــــانْ عَاقْدُوا مَنْ ذَهْبْ التَّشْجَارْ
وَ"الْمَبْسَمْ" مَخْتُومْ وَ "الثْغَـــــرْ"   عَقْدُو مَصْيُونْ وَ "الشْفَايَفْ" قَرْفِيـــاً
وَالرّكْبَــــا "عَرَّاضْ فَ : الْفْيَــــافِي مَا يَــامَنْ حَيّْ مَا يْرُومْ الْغَـــاشِي حَذَّارْ
وَ "الْعَضْضِينْ" صْــــوَارَمْ السْقَـــرْ   وَ"صْبَاعْ "قْلُومْ وَ "الْكْفُوفْ" حْرِيرِيًّـــا
وَ"الصَّدْرْ" رْخَـــامْ مَرْمْـــرِي فَ : مْنَارَهْ مْلُــــوكْ أَرْضْنَا الاشْــــرَافْ الدُّكَّارْ
وَ"نْهَيْـــدَاتْ" تَفَّاحْ فَ : الشْجَـــرْ   وَلَلرّمَّانْ فِي عْرِيصَـــا مَحْضِيًّـــا

وَ" البَطْنْ " الطَّــاوِي عْلَى الْمْطَــاوِي يَطْوِي قَلْبْ الْعْشِيــــقَ طَيْ اللَّا لُوتْحْكَارْ

وَ "الصرَّا" بَالْكَاسْ تَنْعْبَـــــــرْ وَالْكَاسْ جْرَاتْ فِي طْــــرَافُو حْمِيـــــًا

وَ "فْخَـــاضْ" اسْوَارِي مْنَ الذْهَبْ فَ : مْنَـــارَهْ لَعْمَالَقْ الدْخَـــامَا قَوْمْ التْفْخَارْ

صَـــانُوهَا فِـــي قُبْتْ النْصَـــرْ وَلاَ تَـــوُجَدْ فِـــي قْبُوبْ السَعْدِيًــــا

وَ "السَـاقْ" اسْقَانِي كْمَا سْقَا "قِيس" وَ"امْرُؤُ الْقَيْسْ" وَ "بْنَ الْمْلُوَّحْ" مَنْ دُونْ عْقَارْ

"سَاقْ" احْمَرْ مَنْ وَاضَـحْ اجْمَـرْ "الْقْدَامْ" مْحَنْيَاتْ زَادُونِـــــي كِيًّــــا

هكذا هي قصائد التهامي لمدغري "العشاقيا" التي أعرف منها ما لا يقل عن الثلاث مائة قصيدة،تكاد تكون كلها على هذه الوثيرة ، أما الأويقات الحمر ، والآهات اللاهثة الملتهبة .

"اخْلَعْتْ الْعْذَارْ فْ : مَحْرَابْ الْهْوَى وْصَلِّيتْ وَمْطَارَبْ الْخَمَرْ تَرْكَعْ لَصْلاَتِـــي

إدريس بن علي :

دَاسِيِّنِي تَحْتْ الْخْلاَلْ بِينْ ادْرُوعَكْ لَمْــلاَحْ وَالْلُّبَّـــا وَالْـــــدُّوَّاحْ

التهامي لمدغري :

لِيَا دْرَاعْــهَا بَـــاتْ وْسَـــادًا وْرِيقْهَا بَاتْ اشْـــرَابِي نَرْشْفُو بْطَعْمْ الـــذِيذْ

عبد القادر العلمي

فلا تكاد تنجو منها إلاّقلة قليلة من أمثال بن سليمان لعمري ، بوزايد وأمثالهم .

ولو لم تكن في مثل هذه القصائد ، أشياء تراثية جميلة ، من مقولات ، وتمثلات ومعاني مغربية صميمة ، ونوادر، وطرائف ، وملح ، ودعابات ، من إبداع الصانع التقليدي .

وحكايات ومغربيات كانت رائجة في أوساط الصناعات التقليدية واندثرت ،ولم يعد لها من أثر يذكرنا بها الا في مثل هذه القصائد أقول : لو لم تكن في مثل هذه القصائد كنوز ودخائر تراثية لا زلنا نتتبعها ونحاول أن نوثقها لناديت بإلقائها جميعها في البحر حتى ولو كنت على يقين تام من أن التعبير في جلها ما هو الا قصد التصوير ، ولا يخفى ما فيه من كبير نفع لمخيلة الانسان الذي لا يقرأ ولا يكتب ، أو لتصوراته .

نعم قد نجد بقية من حياء في القصيدة التي لا يتجاوز كاتبها في الوصف صدرالمرأة كقصيدة زينب ل : بن علي ولد ارزين

رمح "قَدَّكْ" دِيوَانِي صــــابْ وَ "السَّوَالَفْ" تَكْسِي ذَاتْ الْكْمَالْ كَمْ مَنْ نُوبــــا

وَ "الْجْبِينْ" انْوَارُو تَلْهَبْ

"حَاجْبَكْ" قَوْسْ رْمَا نَشْــابْ وَ"النْوَاجَلْ" شَهْلاَ بَالسَّحْرْ رِيتْهَا مَكْتُوبــــا

شِي مَنَ السَّحْرْ وزُوجْ احْرَبْ

وَ"الْخْدُودْ" وْرُودْ فْ : تَخْصَابْ بِينْهُمْ "غَنْجُورْ" فَ تَسْلِيسْ زَانْهُمْ خْصُوبــــا

وْفَ : "الثْغَرْ" دُرْ الَّلا نَكْسَبْ

سر فَ : "الْعَنْنُونْ" الرَّكَّابْ زِينْتْ "اللَّبَّا" وَ "الرَّكْبَا" الْوَافْيَا الْمَسْلُوبــــا

وَ"الْعْضُضْ" بْرُوقْ فْ : لَحْجَابْ

وَ"الْكْفُوفْ" اصْبَغْ مَنْ عَنَّابْ وَ "الصْبَاعْ" قْلُومَا بَخْوَاتْمْ الذْهَبْ مَرْكُوبــــا

وْفَ "الصْدَرْ" رَمَّانْ امْحَجَّبْ

ويقف عند هذا الحد ليقول :

شِيء مَنْ وَصْفْ وْصِيفَكْ جَابْ يَالْلِّي مَا تَشْبَهْ لَبْهَاكْ بَاهْيَا مَأْنُوبــــا

لاَفْ : لَمْدُونْ وْلاَ فَ : عْرَبْ

ومنهم من وقف عند محاسن الوجه ، ومنهم من اقتصر على جمال العيون أو جمال الثغر ، ومنهم من اكتفى بإشراقة بسمة ، أو رنين ضحكة بل قد نعثر على أبيات هنا وهناك ، وحتى على قصائد كاملة ، تتجاوز جمال المرأة الحسي لتصل الى جمالها المعنوي ، رقة مشاعرها ... رهافة أحاسيسها نبل أخلاقها . و ....و ....وإلى أخر محاسنها المعنوية .

وخير من أعطى العطاء الاوفر في تجاوز القشور للتعامل مع اللباب هو"سيدي هاشم السعداني" رحمه الله

زِينْ وْتَحْتْ الزِّينْ سَرْ مَا يُوصَافْ فَ : الاشْعَــارْ مَا يَتَّنْظَرْ بَبْصَـــارْ

زِينْ ايْحَيَّرْ الافْكَـــارِي زِينْ الرُّوحْ الطَّاهْجَا يْخَلِّي لَمْحَاسَنْ عَاطْــــرَا

وْقَلْبْ حْلِيبْ صَفَاوْتُــــو بْعِيداً مَنْ كُلْ غْيَـــارْ وَالـــرُّوحْ مَنَ التَّطْهَــــارْ

" هِيَ سبَبّتْ تَطْهَـــارِي " وَالعزّاف : النّفْسْ خرْقْ عاداً فَ : النّظْرا ظَـــاهرْاَ

لُبيقًا ومْأدْبًا "لْطيـــفَا درّتْ الابْكـــــارْ بِك يْطهْجُوا الافْكـــــارْ

يَا روُحْ جْمِيعْ اشْعـَارِي يَا سرْ مْنْ أسرْارْ منْ عمْلْ فِيكْ اسرْاَرُو ظَـــاهرْاَ

وَالرأْفَا ، وَالذّوْقْ ، وَاللطَافَا ، وَاسرْاَرْ كْثَـــارْ فِيكْ احرّتْ الاحـــــرْاَرْ

وطيب عبْقْ علّل الْقمَارِي يَاما وَرْدْ الْخلْدْ فِي مرْشاً منْ جوهرْ بَاهـــــرْاَ

فيك كْتَابِي فِيكْ لُوحْتِي ، فِيكْ قْرِيتْ اسْــرارْ مَا دركُـــوهَا الاحْبَـــارْ

مَا كْتَبُوهَا فَ : شطَارِي يَا سبْحَانْ اللّي انْشَاكْ شَهْدَا بمْصَالُو عَامْـــرَاَ

فالمرأة إذن عند السعداني "مَاوَرْدْ الخلْدْ فِي مرْشاً منْ جُوهرْ" وتلك - لعمري - حقيقتها ... فسبحان من أنشأها "شهْدَا بمْصَالُو عَامْراً".

شعر الغربة

بقي أن أضيف أن "ملحون الغربا" وياما في ملحون الغربة ، من عواطف جياشة صادقة - هو أيضا يدخل في غرض العشاقي.

شعراء من فاس "دبّاغا" أو "لبّاطا" هاجروا الى مراكش ، والعكس صحيح ... شعراء مراكش "خرازا" أو "درازا" هاجروا الى سلا وأيضا العكس صحيح ...

شعراء من فاس من مكناس ، من سلا ... "بنّايا" "كبّاصا" "نبّارا" هاجروا الى الصويرة والعصر غير العصر ، والموصلات غير الموصلات ، فينبعث الحنين الى الاهل والاحباب ويكثر الشوق ، وتطول المسافات ، ولا يجد غريب الديار كمتنفس يروح به عن نفسه إلا هذا اللون من الشعر :

سلَم يَا منْ لاَم الْغرَامْ طْعَننِّي بنْصـــالُو كفْ ملاَمكْ لاَ تْلُومْ لُومَانكْ غِيرْ كـذُوبْ

خلِينِي كِيفْ قْضَى وقْدرْ الْمُولَى جلْ جـلاَلُو وَالْوَعْدْ نْودِّيهْ وَالْقْضَا لِيسْ علِيهْ اهْرُوبْ

فِي كل انْهَارْ نْكُولْ منْ غدًا وَالْوَعْدْ بْمجَالُو وبْلاَدِي جوُبَا مدرقا بشْنَاقرْ وَسهُـــوبْ

على رفُودْ عيْنِـــي يظْهرْ "زْلاَغْ" "وَاجَهْ" "تْغَاتْ" وْ "كنْدرْ" دَارْ بَالْجبَـــالْ الْمنْصُوبَـــا

هما يفكْدُونِي فِي "برْ مْـــرَامْ" "جاوْرُو" "كِيلِيزْ" أُو صمْعَـــا مقَـــابْلاَهُمْ مَنْصُوبَـــا

يزيــد كُلْ ســاعَا شوُقِي منْ فقد لاَ متِــي وتْعُودْ الدَّمْعَا علَى خدُودِي مسْكُوبَــا

بَــاقِي غرِيبْ فِي فَاسْ البــَالِي فرِيـــدْ منْ شفُو حــَالِي ؟

كَانْبـــاتْ نقْسَمْ دَاجِـــي وَدَمْعَتْ الشُّـــوقْ عطِيـــلا

ايمتَى كَـــانْ هنَا الْفـــرَاقْ

فرْقتْ نـــاسِي ورْجـــالِي أُو اللِّي شطْـــنُو بـــالِي

وَالْمَسْـــايَفْ شلاً وطْرِيقْهَا منَ الْخُوفْ طوِيـــلاَ

طُولْ زْمَانِي نَسْعَى اللَّهْ لَجْلِيلْ الْعَالِي يَجْمَعْ شمَلْــي بغْزَالــــي

لَلْمدِينَا الْحَمْرَا نمْشي نْشُوفْ زِينْ التَّخْلِيــــلاَ

غَايَبْ غَايَبْ هذَا شحَالْ وَايَّامْ الغيبَا طَــالُو وَاللِّي رَادْ اللَّهْ فِي زْمَانْ الْغرْبَا مكْتُــوبَا

عمْدًا عمْدًا لَلِّي غرِيبْ كِيفِي وقْوَا تَجْــوَالُو فَ : بْلاَدْ النَّاسْ مَا يْصيبْ الرّحَا مَتْعُــوبْ

طَالَبْ نعْمْ الْمتْعَالْ مَا يْخَيَّبْ قصدْ منْ سعَالُو يَجْمَعْنِي فَ : مدِينْتْ الْحضرْ فَامَانُو محْجُوبْ

وَالْغِـــيبَا جوُبَا وْحَرْهــا وَالوعْدْ الْمكْتــُوبْ

مَصبْرْنِي لَلتِّيهْ وَالْجفـــــــا وغْرَامَــكْ زَادْ الْقْلِيــبْ رَجْفــا

نَارْ الْفرَاقْ صعْبَا وَالْغيبَا وَاعْرَا علَى لَحبَابْ وَالرّزْقْ وَالطّعَامْ يْنَادِي اللِّي سابْقَا تَكْتـــابْ

وَاللـــي هـــوَانْ مَا يَصْعـــــابْ

طـــالَبْ رَبِّي عَالَمْ الْخفِيـــا يَجْمَعْنَـــا فَ : سَاعَا زْهِيـــا

ونْقـــولُو علَى سْلاَمَتْ الْغِيـــابْ

هذه أغنية ملحونة "السرابا" وقد سبق أن تناولناها ببعض التفصيل في الفصل الاول من هذا الكتاب .

قلت هذه أغنية ملحونة كتبها شاعر مراكشي وهو في مدينة فاس ... ولابأس في مقابلتها بأغنية ملحونة أخرى ، كتبها شاعر فاسي ، وهو في مدينة مراكش .

أَعْشِيرِي شِ ينَسِّينِي فْرَاق لُونَــــاسْ   أَعْشِيرِي خَلِّيتْ انَا بْلاَدْ الْحْضَـــــرْ

وبْقِيتْ غْرِيبْ فِي بْلاَدْ النَّـــــــاسْ

أَعْشِيرِي لاَ غَاشِي لاَ خْبِيرْ رَقَّــاسْ   أَعْشِيرِي يَا تِينِي بَ : الْبْرَا يْخَبَّـــرْ

وِيهَنِّينِـــي عْلَى مْدِينَةْ فَــــــاسْ

أَعْشِيرِي هِيَّ أَرْضْ الْمْيَاهْ وَغْرَاسْ   أَعْشِيرِي هِيَّ نَقْمَا لْكُلْ ضَاسَرْ

طاغِيهَا خَادْفَ : الْعْضَا مَدْعَــــاسْ

أَعْلِي ضَــــامَنْهَا سلْطَانْ أَرْضْنَا عَسَّاسْ

نَاضْ بَحْــرُو مَالِيهْ قْيَــــــاسْ   رُوحْ دَاتِي مُولاَيْ دْرِيــــسْ

لِيهْ طَـــاعَتْ مَنْ دُونْ عْكَـــاسْ   مَنْ الْهَنْدْ وْشَكْ الْمَقْـــدِسْ

وَالْغْـــرِيبْ امْلاَحَقْ الانْفَـــاسْ   تَاهْ عَقْلُو مَا صَابْ وْنِيـــسْ

أَعْشِيرِي وَقْتْ مَّا شَفْتْ ذُوكْ الاقْوَاسْ   أَعْشِيرِي نَتْفَكَّرْ دُورْتْ النْوَاعَــرْ

وَبْذُورْ الزِّيـــنْ مَنْ اخْيَارْ النَّـــاسْ

أَعْشِيرِي يَظْهَرْ فَاسْ اجْدِيدْ قَيَّـاسْ   أَعْشِيرِي مِيرْ العلْفَاتْ وَالْغْنَاضَرْ

تَمَّا قَصْرُ وِبْيَانْ فَ : الْعَسْعَــــاسْ

أَعْشِيرِي شَاهَدْتْ "تْغَاتْ" بِينْ الاغْرَاسْ   أَعْشِيرِي يَظْهَرْ بِين الْجْبَالْ "كَنْدَرْ"

"زَلاَغْ" عْلَــــى مْدِينْتُو عَسَـــــاسْ

أَعْلِى شُوفْ جْنَانْ الدُّوحْ فَ : الْبْطَايَحْ مَــــــاسْ

ولْعْشِيقْ بَ : الْغْــــرَامْ تْقَــــــاسْ

عْلاَلْ يَاعْلِي كَمْ لِي نَرْجَـــا   مَنْ غُرْبْتِي بَاغِي نَنْجَا   هَذَا اشْحَالْ كَانَتْرَجَّـــا

وَلاَ قْطَعْتْشي لِيــــــــأسْ   جرْحْ الْغْضــــا بْغِيـــــــــرْ مـــــأسْ

خُويَا وْصَاحْبِي طَالَبْ رَبِّي ، نَلْقَى عْشَايْرِي واصْحَابِي ، نَنْسَى امْحَايْنِي وَشْغَابِــي

مَنْ اللِّــــــي نْرَى مْدِينَتْ فـــــــاسْ

يقولون : "الشقي للشقي نسيب" . أما الاغنية الثالثة في هذه المجموعة تقول "الغريب للغريب حبيب"

مْبَارَكْ عِيدَكْ وَاهْيَا الْبَرَّانِي مَنْ لاَلُو سْنِيدْ   وَالْغَايَبْ يتْرَاحَمْ مْعَا اللِّي مَتْلُو فَ : الْغُرْبَا فْرِيدْ

وَاللِّي عَنْدُو مَحْبُوبْ صَارْ لِيهْ وْكِيــــدْ   يَتْغــــــــــا فْرُوا صْبَاحْ العِيــــــــدْ

وَانَا مْعَكْ نْتْغَـــــــــــافَرْ

قَرَّبْ لِيَّ نْعِيدْ لِيكْ اخْبَـــارِي

وتْعِيدْ لِي خْبَـــارَكْ

نَحْكِي لَكْ أَشْ صَارْ فِي أَيَّامْ اعْدِيــدَا

أنَا مْتْغَرَّبْ ... وَالغْرِيبْ يَرْجَاوَهْ نَاسُو

بَعْدْ حِينْ فِي أَيـــــــامْ سْعِيــدَا

وَانَا نَاسِي جُويَا اضْحَـــاوْا

حَايْرْهُمْ وَادْ " غْمَـــــاتْ"

الْمْكَنِّي " صَبَـــــرْا"

وَوَادْ " نَفِّيسْ" مْـــوَاجَهْ لّلْجْدَارْ

وَجْبَالْ " الدِّيرْ " و "تِــــيورْارْ"

بَهْجَا وْنَعْمْ بَهْجَــــا

صَالَتْ بْسَرُورْهَا عْلَى الْقَلْبْ لْذِيـــذَا

خُودَاتْ كَالجْـــــــلاَيَبْ

غَزْلاَنْ يْنَوْهُو فْ وَطْيَـــانْ الْبِيــــــدَا

أنَا فِي فَاسْ فْرِيـــــدْ

وَالْحْبِيبَا رَاهَا فِي بَهْجَتْ الْمْتُـــونْ "الْحَمْرَا" أَرْضْ اجْرِيـــدْ

وَالْمَرْكْـــــدْ نَـــادَا

وَالْقْـــدَامْ يْجُولُو بِيَّ عْلَى اللِّي سَابَقْ لِـــي مَكْـــتُوبْ

فِي سْطُورْ التَّنْفِيـــدَا

وَسْوَايَعْ الْفْـــرَاقْ يْفُـــوتُو

وَنْرَجْعُوا الْفُرْجَاتْ لْذِيـــذَا

أنَا الْغَـــايَبْ بِينِي وْبِينْهُمْ

عَشْرْ أَيَّامْ طْرِيــــقْ

وَالْمْسَايَفْ شْلَلاَّ وَطْرِيقْهَا

مْنَ الْخَوفْ شْـــدِيدَا

لَكِنْ مَا شَـــاءْ اللَّهْ وَاشْ بْيدِي نَعْمَلْ لَحْكَـــامْ لِيـــهْ

ارْجَايَا فِيـــهْ يْلَمْ لِـــي الشَّمْلْ ، وْانَهْنَا وْلاَ نْعُـــودْ نْكِيدْ

نَفْرَحْ بَالرْضَـــــا وَنْزِيـــــدْ

أوَاهْ يَـ : الْبَـــــرَّانِي ...

قَرَّبْ لِي النُّوحُو غِيرْ أَنَـــا وِيَـــاكْ

شَـــاقْ شُوقِـــي

وَتْفَكَّرْتْ لاَ مْتِي وَنَـــــاسِي

وَصْبَحْ جَمْرِي زْنِيدْ .... يُومْ الْعِيـــدْ

وشعر "الغربا" لا يوجد في الاغاني الملحونة فحسب ، أعني "السرابات" بل في القصائد أيضا : "يَاللِّي وِينْ أنَا مَا جَابْ لِي خْبَرْ" تغريبة الفقيه لعمري بتادلة ، ومسقط رأسه مكناس :

"يَا تَغْرَابِي علَى الْغَرْبْ اتَغْرَابِي" غربة بن علي المسفيوي في " الترك" وأصله من أسفي "غْرِيبتِي غْرِيبَا فـ : التَّغْرِيبَا " بوزيان ... على كل حال أعرف ست قصائد من شعر الغربة ، وما أخترت "الاغنية الملحونة" "السرابا" إلا لانها قصيرة خفيفة تيسر التعامل مع أكثر من شاعر من جهة ، ولان لها الحق في أن يكون لها مكانها هي الاخرى على صفحات هذا الكتاب .

وإلى جانب "شعر الغربا" نجد "شعر الرحلات" رحلة بلقاسم الى سلا :

قَالُو الاخبَـــارْ   السفْرْ يقْطَعْ اسلاَسَلْ الْفَقْــرْ   وَالجـــوْلاَ تَنْبِيهْ لَلْفكْرْ
وتْزِيـــــــدُوا يَضْمَـــارْ   وَالرْزَقْ ينْـــــادِي وَالْمْهَـــاجْـــرَا
صَحَّتْ الاخْبارْ   انهَـــارْ كْتَابْ سرِيتْ لَلسفْـــرْ   قُلْتْ الجُولاَ حدْهَا شهَرْ
هَايَــــمْ بــــيِنْ قْفَـــارْ   تَايَهْ فُوقْ الْبِيـــــدَا الْعــــامْرَا
مَاعبْتْ قْـــــرَارْ   غِيرْ انْفَاجِي الاهوَالْ وَالْكـــدْرْ   حتَّى جلْتْ سوَاحلْ الْبْحَرْ
وَمْهــــامَهْ الاقْطَـــارْ   رِيتْ الْمَرْسَـــاتْ وقْـــلْتْ يَـا تـــرَا
بَانُو الْجْـــدَارْ   وَظْهرْ "حَسَّانْ" همَامْ مَشْتْهـــرْ   عَنْ شلْيَافِي قُبْتْ النْصرْ
رَاقَـــــبْ علَلْ الاســـوَارْ   بِينْ سْـفَاينْ وَبْحـــــورْ زَافْـــرَا

رحلة "التجار" الى فاس ، رحلة بوزايد الى تلمسان ، ورحلات ورحلات تحتفظ لنا بالكثير من أسماء القبائل وعاداتها ، وتقاليدها كما تحتفظ لنا بالكثير من أسماء الانهار ، والعيون ، والآبار الى غير ذلك ، مما يزخر به شعر الرحلات ... وهذه الاسفار ، وهذه الرحلات قد أنتجت لنا شريحة أخرى من شرائح "العشاقي" هي :

"شعر المراسلة"

قَدْ يكُـــونْ سَاعِـــــي الْبَرِيدْ مِنَ الْحَمَـــــامْ
لَلَّهْ يَا حمَامْ الدِّي عنُـــــــوَانِي مْعَ الســــلاَمْ

لَلصَّحْرَى يَا "وَرْشَانْ" تَغْدَالِــــــي   وَهْدِي سَلاَمْنَا كَانْ وْصَلْتِي لَلْاشْــــرَافْ

فَكْدْهُمْ فـَ : الْغِيـــابْ

سِيرْ بْكْتَابِي يَا "وَرْشَـــــانْ"   سَلَّمْ عْلَــــى الْبَدْرْ السَّيَّـــارْ

وقد يكون مجرد نسيم ، أو ضوء القمر ، بل قد يكون من البشر :

أَمَرْسُــــولِي لَلَّــــهْ صَبْرِي   هَذَا اشْحَالْ وَانَـــا فَانِي مَهْجُـــورْ

مَيْسُورْ الْبِـــينْ وْطَالْ صَبْــرِي   نُوَّاحْ فِــــي ابْلاَدْ بْعِيدَا مَهْجُــورْ

وَالْهَاجَرْنِي مَا جِـــابْ خَبْـــرِي   مَا خَفْتْ غِيرْ نَمْضَـــا مَنْ قَبْلْ يْــزُورْ

✪☆✯

صِيفَطْتْ لَلْغْـــزَالْ "بْرَاتِـــي   "مَرْسُولِـــي" مْشَـــا طَرْدَاتُـــو

قْرَا لْـــهَا حْرُوفْ ابْيَــاتِي   قَبْضَــاتْ "الْكْتَــابْ"ارْمَـــاتُو

✪☆✯

هذا وقد رمزوا بالمرأة الى أمنا الارض :

صبحت بارزا ف : كساوي حســـان   دام الله جمـــالها وحسنـــو

ورمزوا بها الى الكعبة "مليكة" للغرابلي "فضيلة" ل : بن علي ...

"ليلى" للحاج ادريس ، ورمزوا بها الى الحكمة "دامي شرادا" لسيدي عبد القادر .

ورمزوا بها الى "اشجيا" أو "الإلهام " أو الموهبة" "حمامت الاسرار " للازموري و ... كما يقول المثل العربي : " مالايدرك كله لا يترك كله " هذا باختصار شديد هو ما اصطلح أهل الملحون على تسميته ب : العشاقي"

* "الساقي" أو "الخمرية" *

كل الابداعات التي تسمى "الساقي" ـ قصائد الساقي، سرابات الساقي ، عروبيات الساقي هي خمريات .

والخمريات في الشعر الملحون ، لا تقف عند حد ما يوحى به اسمها ، بل تجوب فضاءات وفضاءات لا نكاد نجدها في أي غرض آخر من أغراض الملحون .

لوحات الاصائل ، نسائم البكور ، ألوان الشفق ، ورح الفجر . والتراث ... أي نعم التراث ، هذا الفيض الزاخر من المعاني ، من التمثلات ، من الرؤى ، من التصورات .. وقد أفاضه الصانع التقليدي والرجل الحرفي ، على شاعر الملحون .

والفنون فن التعبير ، فن التصوير ، فن التشخيص ، فن التجريد ، وتجسيم ما لا يحسم ، وتجسيد ما لا يجسد ... يرحم الله الجيلالي متيرد إذ يقول :

"الزَّهْــو" فَ سَطْــورْ نْظَمْنَـــــــاهْ وَالْهَــوَى "سَاقِي" سَمَّيْنَـــــــاهْ

وَالْوَزْنْ سَمَـــــــــاعَا

وفي بعض النسخ زيادة هي : "وْلاَزْيَادَا إِلاَّ خَيْرْ"

فرنين كؤوس الخمرة أذن ... وألوان أنواعها ، وأسماء عيناتها ، وجمال ساقيها ، والزرابي .. والارائك .. والطنافس ... وما الى ذلك ماهي إلا من قبيل "الاكسوسوار" في صناعة "السيناريو" أما المحتوى في أبعاده ومراميه فهو أعلا وأرفع وأسما بكثير من هذه الشكليات .

وسنكتفي في هذا الغرض بقصيدتين فقط فجر "التهامي لمدغري" وفجر عبد القادر العلمي .

فأما فجر التهامي لمدغري فسنورد منه مجرد أبيات من هذا المقطع أو ذاك وأما فجر عبد القادر العلمي ، فسوف نسجل نصه الكامل ، مع تحليل له شامل ساهم به الاستاذ عبد الصادق سالم في ندوة "الشعر الصوفي" بملتقى سجلماسة الثالث للملحون أيام 8 . 9 . 10 يونيه 1990 .

يقول التهامي لمدغري في نسائم الفجر :

مَاشَمِّيتْ نْسَايَمْ الْفَجْــــــرْ حِينْ انْهَبْ تْبَشْرْ الزْهَـرْ فَ : خْمَـــــايَلْ الادْوَاحْ

وَتْرَشْ كْمَامُو الْفَايْـــــــــــحَا وَتْغْــرَمْ ادْنَـانْرْ الذْهَبْ دُونْ شْحَاحَـا

فالنسيم يهب على الاغصان فيحركها ، فيبدأ "الرش" من أوراق الاغصان و"الرش " قد يكون المقصود به "التصفيق" وقد يكون إشارة الى قطرات الطل المتجمعة على الاوراق ... وكيفما كان الحال ف : اللفظ من قاموس الدارجة المهجور ... وكذلك "لغراما" أي وريقات الازهار التي تتساقط بفعل النسيم وهي هبات الفارح المسرور لمن أدخل عليه الفرح والسرور .

مَاشَفْتِي هِـــزَارْ " تَايْوَرَّقْ" بَاوْرَاقْ الـــرُّوضْ وِيخْطَبْ فَ : مْنَـــابرْ الادْوَاحْ
وَعْيَـــونْ النَّرْجِسْ طَـــــافْحَة بْنْدَاهَا خَاشْعَا وْدِيمَا نُوَّاحَـــا

ومن قاموس الدارجة المهجور أيضا "التوريق" ف : العلامة المحدث يحدث الناس مما جمع الله في صدره من علم ومعرفة ، فهو دوما يرتجل حديثه ، أما الفقيه ، المورق " فهو الذي يحدث الناس من كتاب يقرأ لهم بعض صفحاته .

والهزار عند التهامي لمدغري هو ذاك "الفقيه المورق" : "تَايْوَرْقْ بْورَاقْ الرّوْضْ وِيخْطَبْ فَ : مْنَابرْ الادْوَاحْ .

مَاشَفْتِيـــشْ الْبَـاغْ كَا يْحَفَّظْ " لَمْحَضْرَا " مَنْ الطّيرْ وَرْدُو فِي كُلْ صبَـــاحْ
وَالْوَرْدْ وْذَاتُـــو مفَتْحـــا يَصْغَـــى لَقَـــرْايتُوا بْنَغْمَا صَيَّـــاحَا

"لمحضرا" لمحاضريا" أيضا من الدارجة المهجورة ... والمعنى ، تلاميذ الكتاب القرءاني .

والطير المعروف باسم "الباغ" يلقن "لمحضرا" أولاد الطيور ـ الوردالذي يرددونه قبل الشروق في كل صباح وأشرقت الشمس ، أو على حد تعبير عبد القادر العلمي : "وتْحَقَّقْ ضَلْ الْوَرَاقْ"

مَا شَفْتِـــي ضَلْ الوَرَاقْ يَتْعَانَقْ بَالْعَشَقْ الْحقِيقْ فُوقْ زْرَابِي الابْطَـــاحْ
تْقُـــولْ عْرُوسَا جَاتْ رَايْحـــا فَ : كْمَايَمْهَا بْعَزْ حَنْطَا وَسْيَاحَـــا

وهذه الاشارة الجميلة الى الرياح وهي تكتب على صفحات المياه الساكنة "سطور الوهب"

لُوشَفْتِ "السَّهْرِيـــجْ" سَطْرَتْ فِيهْ الرِّيـــحْ سَطُورْ مَنْ الْوَهْبْ قْرَاهَا نَصَّـاحْ

من أجل معجم الدارجة المهجور ، ومن أجل مافي هذه القصائد من وصف الاجواء الاصائل والبكور ، والضحى ... والليل إذا سجى ... والليل إذا يسري ... والصبح إذا تنفس ، من أجل هذا وما شابهه ... ومن أجل ما في هذه القصائد من إشارات صوفية سوف يكشف عنها الاستاذ عبد الصادق سالم بعد لاي ، من أجل هذا وغيره مما لا نريد أن نطيل بذكره ، نحب هذه القصائد ونعتز بها ، حتى ونحن نتحرج في إذاعتها ، أو الترويج لها .

النص الكل لقصيدة "الفجر .. أو "الساقي" وهي من غرر قصائد سيدي عبد القادر العلمي .

اللازمة:

رَاحْ اللِّيلْ وْعَلّمْ الْفَجرَ تَاكْ الصّبْحْ الرَّاقـــي يَا ســـاقـــي
دُورْ عْلَى الْحَضْرَا بْفَنْجلَكْ تَزْيَانْ الْموســـيــــقَى جَرَّعْ لَلـــساهِي يْفِيـــقْ

القسم الاول:

شُوفْ هْمَامْ الضوُّ بَانْتْ عْلُومُو فـَ : الافَـــــاقِ

وَنْظَرْ لَشْمُسُو الْبَاهْيَا عَلَ لَجْدَارْ شْرِيقَــــــا   هَرْمَتْ سُلْطَـــــــــــانْ الْغْسِيـــقْ

وَطْيَـارْ الْبُسْتَانْ كَاتْسَبَّحْ لَلْحَيْ الْبَاقـــــــــي

فُوقْ غْصَانْ الرَّوْضْ كَاتْحَنَّيْ بَاصوَاتْ رْقِيقَـــا   صَــــــــــاحْ الْبَلْبَلْ وَالْبَشِــــــــيقْ

شُوفْ أمْ الْحَسَنْ شَاكْيَا لَلْحَيْ الْخَلاَّقِــــــي

بَغْرَامْ هْوَاهَا لاَنْهَا مُولُـــوعَا وَعْشِيقَـــــا   بَالْحَـــبْ جَسْمَـــــهَــــا رْقِيـــــقْ

وَالْحَرْبَلْ يَنْشَدْ مَايْتُــو فـَ : طْلُوعْ السَّرْيَـــاقِ

وَالْحَدَّادْ ايْجَــــاوْبُو بْرَنَّا فـَ : نْغَامْ لْبِيــــقَا   تَسْبِـــي الْـــــــوَالَعْ وَالْعْشِيـــــقْ

✪☆✯

القسم الثاني :

مَــــاسْ الْغُصَنْ النَّـــايَقْ   وَزْخَرْفَتْ لَحْدَايـــــــقْ   وَتْحَقَّقْ ضَلْ الْـــــــوَرَاقْ

وَالْبُسْتَانْ الْبَـــــاسَقْ   وَمْيَاهُو تْدَافَــــــقْ   فْغْرَاسْ نْوَاحُو سَــــــاقْ

فَــاحْ الزَّهْـــرْ الْعَــــابَقْ   وَاصْبَحْ غُصْنُو رَايَـــقْ   وَرْوَاتْ الْغْصَانْ الرْقَـــاقْ

طَـــابْ سْـــرُورْ الْعَـــاشَقْ   ذَاتْ الْحُسَنْ الْفَـــايَقْ   يَخْجَلْ مَنْ شُوفْ الرْمَـــاقْ

طَارْ غْرَابْ الدَّاجْ وَالْخْمَرْ فـَ : الاوَانِي بَاقِـــــي

اهْدِي كَاسَكْ لَلْمْلِيــــــحْ وَخْضَعْ لُو بَتْبَنْدِيقَــــــا   وَفْهَمْ مَعْنَاتُو وْعِيـــــــقْ

رْوِي يَا سَاقِـــي خَمْرْ قَمْصَا لَكْ وَسْطْ رْوَاقـــي

وِيلاَ فَاضْ الْكَاسْ كُلْ قَطْـــرَا فـَ : الأرْضْ عْقِيقَـــا   وَاصْفَا مَنْ الدُّرْ اشْرِيـــقْ

غَدْرْ لِي تَكْمَلْ فَرْحتِي يَتْحَقَّقْ رَوْنَاقــــي

تَرْكْ الْخَمَرْ وْهَاتْ لِي الصهُّبَا فَ : الْكـــاسْ حقِيقــا   وَمْلاَلِــي ذَاكْ الْبَرِيــقْ

كَاتَبْ مُولَانَا السعِيدْ سَاعَدْ وَالشاَّقِي شاَقِــي

لاَ تَستَكْرَبْ مَنْ ذْنــــوُبْ وَلاَ تَتْكَــلْ عَنْ تِيــقَا   مُولاَنَا غَانِــي شفِــيقْ

القسم الثالث:

رَاحْ اللَّيـــلْ وْلَابقَــا   إلاَّ وَقْتْ الْمعَانقَــا   كُبْ .. أرَا .. وَرْخِي الرْوَاقْ

بِينْ الاشجَارْ الْبَاسقَــا   أوالاطْيَارْ النَّاطْقَــا   عَمْرَتْ بلْغَاهَا اســوَاقْ

كُبْ الْخَمْرَ الْخَارقَــا   فِي كِيسَانْ ابْنَادقَــا   مَنْ زَاجْ ابْلَادْ الْعْــرَاقْ

تَظْهَرْ خَمْرَا بَارقَــا   فِي أوَانِي شَارقَــا   فِي لُونْ سنْحِيقْ الرهْــاقْ

ســرُورْ الدُّنْيَا وَزَهْوْهَا فَ : الزِّينْ أوْ العرَاقِـــي

وَالصــوُّلاَ وَالْعَزْ فِي رْكُوبْ الْفُرْسَانْ حقِيقَــا   وَمْعَ الْفَضاً وَالْوْرِيــقْ

سَعْدْ زْمـــانِي تَاكْ كَوْكْبِـــي وَتْنَوْرْ إشرَاقِــي

هَذاَ وَقْتْ سعِيدْ كُبْ كـــاسْ الْخَمْرَا لَعْتِيــقَا   لاَ تَرْتَاشِي لَلرْحِيــقْ

غَنَّـي بَاشعَــارْ الْقَدَامْ وَذْكُرْ طَبْعْ الْعُشاَّقِـــي

مَتْعْنِي فَ : جمَــالْ صوُرْتك وَالْحَاظَكْ لَغْسِيقَــا   يَا خَدْ الْوَرْدْ اشْــرِيقْ

بَصْنَايَعْ وَسْجـــوُلْ وَالتْوَاشَحْ مَنْ شغُلْ دوَاقِـــي

وَاذْكُرْ قُصْدَانْ اكْبَـــاحْ وَبْرَاوَلْ فَ " تْرُونِيقَــا   مَنْ شغُلْ الْحَبَرْ اللْبِيــقْ

القسم الرابع:

خلَّعْ الدَّاجْ غسَاقُـــو   وَرْخَا الصُّبْحْ أرْوَاقُــو   وَلْبَسْ حلَّتْ الاشْـــرَاقْ

دَاقْ الْحُسْنْ أُوثَاقُـو   وَرْخَا سَرْ امْسَاقُـو   وَالزِّينْ خَلْقُـو الْيَـاقْ
دَارْالْحُبْ تْمَاقـُو   لَمْطَرْزْ بَمْسَاقُـو   وَخْرَجْ لاصْحَابْ الاشْـوَاقْ
وَامَرْ عَنْ عُشَّاقُـو   قُدَّامُوا يَنْسَاقُـو   وَحْيَا لَعْهُـودْ الْوْثَـاقْ

امْضَلْ ، وْقَادَاتْ ، وَالْمْزَارَقْ ، وَالتَّاجْ الرَّاقِـي

وَكْدَاشُـو ، وَمْحَافُّـو وْرَايَاتُـو فَ : تْرُونِيقَـا   وَطْبُـولْ الْحَرْبْ الزْعِيـقْ

أَمـًّا فَاكَمْ مَنْ دْهَاتْ ، وَمَا زَهَّقْ مَنْ تَاقِـي

وَمَا بَعْدّْ مَنْ افْضَـالْ عَنْ لَمْـرْوَّا وَالتّـيَّقَا   وَمَـا عَـادَا مَـنْ صَدِيـقْ

مَنْ حَرْبُو لَعْصِيـفْ تَاهْ "قَيْسْ" وْ "جَابَرْ" لَعْرَاقِـي"

وَالْعَبْسِـي لُهْمَـامْ "عَنْتْرَا" تَرْكُو الْحُبْ فْ ضِيقَا   وَسْقَـاهْ السّمّْ الْخْرِيـقْ

كِي كَانْ مَنْ ازْمَـانْ حَاطْ قْدَامُـو عَلّْ لَعْنَاقِـي

الْدَابَـا مَا زَالْ سِيرْتُـو عَنْدْ النَّاسْ حْقِيقَـا   لاَحَدْ لْحَرْبُـو يْطِيـقْ

✪☆✯

القسم الخامس:

يَا مَنْ دْرَا نَتْـلاَقَـا   بُونَجْلاَتْ غْسَـاقَا   وَكْيُـوسْ مْدَامِـي يَـدُوقْ
صَـالْ يَطْبَعْ عْشَاقَـا   وَكْيَاسَـا وَفْيَاقَـا   يَجْرَحْ مَنْ شُـوفْ الرْمُـوقْ
وَحْـنَا نْوُجْ رْفَـاقَا   وَالصُّهْبَـا دْفَّاقَـا   فَ : دْوَاخَلْ غُمْقْ الْغْمُـوقْ
فِيكْ الشُّوفْ عْشَـاقَا   بُوصَالَكْ نَتْلاَقَـا   رَافَـا يَا بَدْرْ الشْـرُوقْ

وْصَالَكْ فُرْجَا الْمَرْسْمِـي وَنْزَاهَا لَخْلاَقِـي

وْصَالَكْ تَفْرِيجْ لَلْحْجَا ،   وَصْدُودَكْ تَضْيِيقَـا   لاَحْسَاسْ الْجَسَمْ الرْقِيـقْ

إِلَى تَعْطَفْ لِي نْصِيبْ عَقْلِي وِيزُولْ حْمَاقِـــــي

وِيلاَ تَجْفِينِي تْعُودْ رُوحِي فَـ : الدَّاتْ قْلِيقَـــــا وَالنَّفْسْ فْـ : صَدْرِي تْضِيـــقْ

لاَيَنْ طَبْعْ الزِّينْ عَارْفُو فَـ : نْهَايَتْ تَحْقَاقِـــي

رَاكَبْ عَنْ سَمْحُوجْ لَلْغَدْرْ سَالَكْ كُلْ طْرِيقَـــا مَا عَنْدُو حَتَّـــى صْدِيـــقْ

وَوْصَالَكْ كَمْيَا لْحِيبْ فَكْرِي ، وَضْيَا لَغْسَاقِـــي

وْصَـــالَكْ رَافَا وْصَدْ هَجْـرَانَكْ نَارْ خَـرِيقَا بَجْمَارْ الْضَـــاهَا حْرِيـــقْ

✿☆☆

القسم السادس :

صَدْرْ الزِّينْ رْوَامْقُـــو وَرْخَا السَّرْ اسْوَابْقُــوا وَحْلَفْ عَـــارِي لاَتْقَـــا

تَظْهَرْ غِيـــرْ مَـــزَارْقُو وَسْيُوفُو وَدْمَاجْقُـــو يَطْعَـــنْ ذَاتْ اللِّي لْقَـــا

وَخْيُولُو وَصْوَاعْقُـــو وَبْطَالُـــو وَزْوَاعْقُـــو مَنْ قَابَلْ جِيشُو الْقَـــا

مَا قْدِيتْ نْـــرَافْقُو وَلاَ طَقْـــتْ نْـــرَافْقُـو وَكْيُوسْ مْدَامِـــي سْقَـا

رَاكَبْ عَنْ شَلْـــوِي سْرِيعْ شِيهَانُو مَنْ لَعْتَاقِـــي

اهْمَزْ سَمْحُوجُـــو وْسَارْ خَـــلاَّنِي فِـي تَشْوِيقَـا نَرْثِـــي بَالدَّمْعْ الدْفِيـقْ

سَلْتَكْ بَـ : الْخَـــلاَّقْ قَلْتْ لُو : يَاسَلْطَانْ رْفَاقِـــي

وَقَفْ لِي حَتَّـــى نْكَلْمَكْ يَا بَـــاهِي لَخْلِيـــقَـــا هَجْرَكْ بِـــيَّ مَا يْلِيـــقْ

رَاقَبْ فِيَّ وَجْـــهْ سِيـــرْتِي وَعْشَرْتِـي وَمْلاَقِـــي

شَـــاهَدْ فِيَّ وَجْهْ طَـــاعْتِي وَعْهُـــودِي لُوتِيـــقَا وَحْسَبْنِي خُوكْ اشْقِيـــقْ

هَـذَا حُكْمْ الله ، الْجْلِيـــلْ ، الْبَرْ ، الرَّزَّاقِـــي

يَا سعْـدَاتْ اللِّـي سعْـادتُو فـ: الازَلْ سبِيقـــا   ورْضاهْ الْحَقْ لْحقِيـــقْ

☆☆☆

القسم السابع والاخير:

مَنْ لاَ يرْكَبْ نَاقَـا   هيــرِيًا سبَّاقـا   مَا يرْبِي نَهْجْ الطـرُوقْ

مَـنْ لاَ يمْلَكْ طَاقَـا   مَا يبْـرَا منْ فـاقَـا   ولاَ يتْدَانَا لْسُـوقْ

حَفْظْ النَّظْـمْ فيَاقـا   وفْرَاسـا وَحـدْاقَا   يدْركْ بْحسْنْ الْخـلُقْ

وَالْميـزَانْ اليَـاقَا   ولْطَـافَا ولْبَـاقَا   شلاًّ يدْرِيوا الْوشُـوقْ

أُوِيحْ الــدَّاعِي الَى يذُوقْ فنْـاجَلْ ترْيَاقِـي

زَهْلـوُلِي بمْخَـالْبُو يمْـزَّقْ دَاتـو تمْـزِيقَا   ودْمَاهْ يتْركْهُو هْرِيـقْ

وَامَا منْ طَاغِي رَاحْ يشْتْكِـي منْ ضرْبَتْ سغْنَاقِـي

وَامَـا منْ بَاغِـي ترْكَتْ دَاتُو بَالشُـؤْمْ حرِيقـا   وسقيتُو خرْقْ الْخرِيقْ

وَامـا منْ هوَ جْحِيـدْ فـ سجْـانْ غلاَلِي بَاقِـي

وَامـا منْ هرْتَـالْ غرْتـو النَّفْخـا وَالتَّزْوِيقـا   سرْطُو الزَّخَّارْ الْغميـقْ

وَسْلاَمِـي لَلْمَاهْرِيـنْ الارْخَـاخْ أهْلَ التَّحْقَاقِـي

مَا هبْ نْسِـيمْ الازْهَـارْ وذْكـا بنْسُـومْ عْبِيقَا   مهْدِي لاربَابْ الطْرُوقْ

☆☆☆

كان هذا هو النص الكامل لقصيدة "الفجر" أو "الساقي" كما يسمونها في حضيرة الملحون ... وهذه مداخلة الاستاذ عبد الصادق سالم كما سبقت الاشارة اليها.

وإذ نثبت هنا بكل فخر واعتزاز، وبكل غبطة وانشراح وارتياح اجتهاد هذا الشاب الطيب، الهادىء، النبيل، فلان المحاولة في نظرنا، وحسب اطلاعنا وتتبعنا، الباكورة الناضجة الاولى في التعامل الصحيح الجاد، مع القصيدة الملحونة

قراءة في قصيدة الساقي

بقلم الاستاذ عبد الصادق سالم

العنوان : الساقي، من السقي - الري والارتواء

والسقي والري لا يكون الا بالماء : "وجعلنا من الماء كل شيء حي"السقي إذن هو " زرع عنصر الحياة في الجسد : " إخراج الحي من الميت" حديث قدسي : " الناس نيام ، اذا ماتوا استيقظوا"

"إن العالم كتاب مسطور الهي - الفتوحات / ج / 2 /ص 163

1 - في عنوان القصيدة : الساقي

يحمل الكثير من قصائد الملحون الخمرية عنوان "الساقي" مثلما نجد عند الجيلالي أمتيرد، أو عند التهامي المدغري، أو غيرهما ، والساقي في أدبيات الخمرة هو الغلام أو (الجارية) الذي يتولى توزيع الخمر على الندامى . يخاطبه الشاعر في لازمة القصيدة:

رَاحْ الَّيْل وْعَلَّمْ الْفْجَرْ تَاكْ الصبُّحْ الرَّاقـــــــــِي   يَــا سَاقِــــــــــــي

دُرْ عْلَى الْحَضْـــرَا بْفَنْجْلَكْ تَزْيَانْ الْمُوسِيقَـــــى   وَازْرَعْ لَلسَّاهِي ايفِيـــقْ

فإن عبارة "ياساقي" يحافظ المنشدون على ذكرها ، فتشكل شطرا متميزا داخل البيت ،وتمنح القصيدة وجهة خاصة مفادها ان الخطاب من المرسِل (الشاعر) موجه الى المرسَل اليه (الساقي) . فما دلالة هذا المفهوم المركزي في القصيدة ؟

كلمة "الساقي" اسم فاعل من فعل سقى ، أي أروى الغلة والعطش .

فالسقي هو الري والارتواء . والري لا يكون إلا بالماء . والماء هو مبدأ الحياة: وجعلنا من الماء كل شيء حي " فالسقي إذن هو : الارتواء وإخراج الحي من الميت .

وفكرة خروج الحياة من الموت الواردة في قوله تعالى : "يخرج الحي من الميت" طالما استغلها الصوفية للدلالة على سلوك الطريق وخوض التجربة،إذ أن التصوف هو إخراج للحياة الحقة ، المتمثلة في الروح ، الجوهر الرباني في الانسان ، من الجسد أي المادة رمز الموت والجماد ، والصنمية . ولا يأتي هذا للصوفي إلا إذا "قذف الله في قلبه نورا " على حد تعبير أبي حامد الغزالي ، وهذا هو المسمى إشراقا أو إلهاما أو حدسا ...

وعليه فإن مفهوم السقي والساقي هنا يفيد الاشراق والنورانية .

2 - البنية السردية في القصيدة :

بنى الشاعر قصيدته على خطة سردية ، يبرز فيها تدرج الحالات واللحظات الشعرية بشكل نسقي ، يتضمن الثوابت الاساسية التي تقوم عليها البنية الدلالية للقصيدة .

تتكون القصيدة من سبعة أقسام ، كل قسم تتقدمه سويرحة (أوناعورة) ، باستثناء القسم الاول . وفي كل سويرحة 4 أبيات ثلاثية الاشطار ، كما أن باقي أبيات القسم أربعة ، تنضاف اليها في نهاية القسم لازمة القصيدة ، وذلك عند الانشاد .

وبهذا تكون لدينا سبع وحدات شعرية هي التي تشكل الخطة السردية للقصيدة .

ففي الوحدة الاولى : يخاطب الساقي ويتوقف واياه عند العنصر الاول في المنظومة الرمزية للقصيدة : وهي الطبيعة ...

شُوفْ اهْمَامْ الضوُّ بَانْتْ علُومُو فَلْأَ فَاقــــي وَانْظُرْ لَشْمُوسُو الْبَاهْيَا علَى لَجْدَارْ شرِيقَا

هزْمَتْ سلْطَانْ لْغَسِيقْ

وَاطْيَار الْبُستــــانْ كَتْسَبَّحْ لَلْحَيْ الْبَــــاقِي فُوقْ أغْصَانْ الرَّوْضْ كَتْغَنِّ بَأصْوَاتْ رقِيقَا

صَاحْ الْبَلْبَلْ وَالْبَسِيقْ

ففي الوحدة الثانية والثالثة : يظل عنصر الطبيعة حاضرا ، ويتوجه بالخطاب الى الساقي لطلب الخمرة . فالعنصر الرمزي الثاني الذي ظهر هنا هو : الخمرة فيصفها ويصف مجلس الطرب المصاحب لها .

مَــــاسْ الْغُصــــنْ النَّــــايَقْ وَتْزَخْــــرفْتْ احــــــــدَايَقْ

وَاتْحَقَّــــقْ ظَــــلْ الْوَرَاقْ

وَالْبُسْتَــــــانْ الْبَــــاسَقْ بَمْيَــــاهُو تَــــدَّافَــــقْ

وَادْوَاحْ اغْرَاسُو سيَــــاقْ

الى أن يقول :

- وَارْوِي يــــا سَاقِي ....

- غَدَّرْ لِــــي تَكْمَلْ ....

إلى أي يقول في القسم الثالث :

- اسْــــرُورْ الدُّنْيَــــا ...

- سَعــــدِي زَانْ ....

في الوحدة الرابعة والخامسة : ينتقل الى العنصر الرمزي الثالث : الحب . فمن الحسن الى الحب ، يصف سلطانه وجبروته وقوة تاثيره ، ومن الحب الى المحبوب ، يصف قوته ، ويفتح باب المناجاة والتدرع الى المعشوق .

ـ دَكْ الْحُسَــــــنْ اوْتـــاَقُو .....

ـ دَارْ الْحُــــبْ اتْمــــاَقُو ....

ـ وَامَرْ عــــــنْ عُشَّـــاقُو .....

ـ بَمْضــــاَلْ أو كَـــــدَاتْ ....

الى أن يقول :

ـ سَلْتَـــكْ بَالْخَـــــلاَّقْ ....

ـ هــذَا حُكْمْ اللّــه الْغْنـــــي

في الوحدة السادسة والسابعة : يدخل الشاعر لحظة الحيرة بين الخوف والرجاء في الوصال والاتصال ، ليبرر في النهاية السبيل الى ذلك : ضرورة سلوك الطريق،متحديا العوائق المادية الشهوانية ......

ـ امَـــــدْرَا نَتْلاَقَـــــى .....

ـ فيـــكْ الشُوفْ اعْشـاَقَا ....

ـ اوْصَالَكْ فَرْجــــــــاَ .....

الى أن يقول :

ـ مَنْ لاَ يَرْكَبْ نــــاَقَا ....

ـ مَنْ لاَ يَمْلَكْ طَاقَـــا .....

الى أن يقول :

ـ وَامَا مَنْ دَاعِي اجْحـــــــــــيدْ

ـ وَاسْلاَمــــــــي ......

يتضمن البيت الاخير في القصيدة الذي يتضمن السلام ـ على عادة الملحون ـ عبارتـين جديرتين بالانتباه : "أَهْلَ التّحْقَاقْ" "أرْبَابْ الطْرُوقْ" ... أنهما عبارتان تكشفان عن شحنات صوفية واضحة .

من خلال هذه العجالة نتبين أن العناصر المكونة للمنظومة الرمزية في شعر الخمرة الصوفية ، تحتويها القصيدة وهي ثلاثة

الطبيعية ـ الخمرة ـ الحب (أو المرأة) فما دلالات هذه الرموز ؟ وما هي البنية الدلالية التي تؤطر القصيدة ؟

3 ـ البنية الدلالية في القصيدة :

سنقف هنا عند المفاهيم الاساسية الثلاثة التي استخلصناها من وحدات القصيدة للبحث في دلالاتها :

أ ـ مفهوم الحب :

هذه مقولة أساسية ضمن أدبيات التصوف ، بل هناك من الصوفية من يعتبر المحبة حالا من الاحوال أو مقاما من المقامات ، فلا يوجد صوفي من المتقدمين والمتأخرين إلا وتحدث في الحب والمحبة ، وهذا امر طبيعي لان التجربة الصوفية مبنية من مبدئها على أساس الحب ، فلولا حب الله والتعلق به الى درجة الحلول والفناء أو الاتحاد ، لما انقطع الصوفية عن الدنيا وملذاتها لينقطعوا الى الله كلية .

وهنا حديث نبوي يدعم هذا المسعى ويحفز عليه "وما يتقرب الىّ عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه . وأنه ليتقرب الي بالنوافل حتى أحبه . فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، ويصره الذ ي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها . إن دعاني أجبته وان سألني أعطيته".

هكذا تبلغ العلاقة بين المحب والمحبوب اقصى درجاتها وهي حالة التوحد حين يجعل الرضا والقبول من طرف المحبوب ويتحقق الاتصال . فالرضا وهب من الله يمنحه لحبيبه . وهذه حال السعادة القصوى يقول شاعرنا :

يا سَعْـدَاتْ اللِّـي سْعَدْتُو فِي الأَزَلْ سْبِيقَا   وَارْضَـاهْ الْحَقْ الْحْقِـيقْ

وهكذا نتبين أن مقولة الحب والمرأة وشبابهما من الكلمات ليست إلا رموزا يوظفها الصوفي لاداء معاني دقيقة وحالات خاصة .

ب ـ مفهوم الطبيعة :

ما دلالة أن يتوجه الشاعر في مطلع القصيدة الى الطبيعة : شُوفْ اهْمَامْ الضَوْ بَانْتْ عْلُومُو فَالأَفَاقِي ... " يتعامل الصوفي مع الطبيعة تعاملا متميزا ، وينظر اليها نظرة غير نظرة الانسان العادي اليها . فليست الطبيعة هي ذلك القطاع الذي يتحرك فيه الجسد . وتتحقق المآرب والاغراض المادية بل هي ـ حسب اتجاه صوفي عريض ـ تجلي لله "الذي أحب أن يعرف بعد أن كان سرا مجهولا ، فخلق الخلق ليعرف " كما قال محيي الدين بن عربي . فذات الله تعالى تتجلى في مخلوقاته على درجات من ادناها (الجمادات) إلى اعلاها (الانسان) باعتباره العالم الصغير الذي انطوى على العالم الكبير .

وبذلك تصبح ذات الصوفي بعد أن تتحقق لها الكمالات ، ترى الله في كل شيء : كما قال ابن الفارض .

تراه (أي الله) إن غاب عني كل جـارحا   في كل معني لطيف رائـــق بهـــج

في نغمة العود والناي الرخيـــم إذا   تألقا بين الحان من الهــــــــزج

وفي مسارح غزلان الخمـــائل فيهـــا   برد الاصائل والاصباح في البلـــج

ج ـ مفهوم الخمرة :

إذا كان الحب هو العاطفة الجياشة والباعث القوي ، الذي يدفع التجربة الصوفية ويوجهها ويؤطرها ، وإذا كانت الطبيعة هي الفضاء الذي تتحرك ضمنه هذه التجربة . كقول ابن عربي :

فما نظرت عيني الى غير وجهـــــه   ولا سمعت اذني خلاف كلامــــي

فإن مقولة الخمرة هي الغذاء الذي تتغذى به التجربة الصوفية . إن الحالات التي تتراوح بينها ذات الصوفي حين ينخرط في سلك السالكين ، هما حالتان : حالة يغيب فيها عن الواقع المحسوس (عالم الشهادة) ويخرج من تيار الزمن العادي ، ليدخل عالم الغيب ، العالم الجواني ـ بكلمة واحدة ـ عالم الحقيقة ، وهذه كلما وقف الشاعر عند موضوع الطبيعة إلا وأورد اشارات متنوعة لعالم الطير في القسم الاول :

اطْيـــارْ الْبُسْتَـانْ كَتْسَبَّحْ لَلْحَي الْبَــاقِي .

صــــاحْ الْبَلْبَلْ

صَبْحَاتْ أمْ الْحَسَنْ شــاكْيَا لَلْحَيْ الْخَلاَّقــي

وَالْحَرْبَلْ يَنْشَدْ مَا يَتُو فَطْلـــوعْ السَّرْيَاقــي

وَالْحَـــــدَّادْ يْجَاوبُو

ويقول في سويرحة القسم الثالث :

أُو لَطْيَارْ النَّاطْقَـــا   عَمْرَتْ بَلْغَــاهَا ســــــــوَاقْ

فما دلالة الطير وعالم الطيور في النسق الصوفي الرمزي ؟

يرى لويس ماسينون أن الطائر رمز للبعث والخلود ، وذلك استلهاما من قوله تعالى : "وإذ قال ابراهيم : رب ارني كيف تحيي الموتى . قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ! ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك . ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعيا " (سورة البقرة 260) .

ويقول تعالى : "إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله " . (ال عمران أية 49) .

وإذا كان الامر هكذا ، فهل من باب الصدفة ان يقول الشاعر العلمي :

وَاطْيـــارْ الْبُسْتَانْ كَتْسَبَّحْ لَلْحَيْ الْبــــــــاقِي ؟

لماذا لم يختر من أسماء الله الحسنى إلا اسمي "الحي" و "الباقي" ؟

فالعلاقة واضحة هنا ، إذن بين رمزية الطائر الى الخلود والبعث وبين مفهومي الحي / الباقي ، حالة غيبوبة أو سكر . والسكر كناية عن الوجد الصوفي "وما تقابله من معاناة في طلب المحبوب ، وهذه هي الحالة التي تجعل عقدة لسان العارف تنفك فتبوح الذات باسرارها وتنطق العبارة بالاشارة ، لان العبارة مهما أفصحت وبانت لا تقوى على استعاب المعطى الحاصل ، ألا ، هو انكشاف الحقيقة ، فتخرج اشارات مختصرة ، وعبارات مبهمة وهي ما يعرف في اصطلاحهم بالشطح الصوفي .

أما الحالة الثانية فهي حالة الصحو أي الارتباط بالواقع العيني والمادي ، وهو عالم مرفوض من طرف الصوفي وهكذا فالخمرة التي تحدث حالة السكر، ليست شيئا اخر غير الحقيقة التي تشرق في قلب العارف ، فتدخله في غيبوبة ، يتذوق فيها نشوة السكر وحلاوة الوصال فهذا ابن الدراج السبتي يقول :

ألا كل عقل لا تخامره الخمـــــــر فمعناه من معنى اشارتهم فقـــــــر

اضاءت كمشكاة غدت في زجاجــة تلالىء اشراقا كما يشرق الشهـــــر

خلعت عذاري في لدائذ شربـــــها فلا خير في اللذات من دونها ســــتر

سمحت لنفسي كي افوز بنيلـــها ومن خطب الحسناء لم يغلها المهـــــر

أما الاواني التي يتناول فيها شاعرنا الخمرة ، وقد ذكرها في أسماء متعددة : الفنجل (الفنجان) / الكأس / الابريق / ... فإنها لا تخلو هي الاخرى من إبعاد رمزية . فالكأس للاستمتاع بنعيم الجنان ، يقول تعالى في سورة الواقعة : "يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين " .

ويقول في سورة الانسان : "وسقاهم ربهم شرابا طهورا" .

(وهكذا نجد الصوفية ينتشون بالنعيم الذي يشربونه خمرة ورحيقا وصهباء .)

يقول العلمي في القصيدة نفسها :

غَدَّرْ لِي تَكْمَلْ فَرْحْتِي يَتْحَقَّــــقْ رُونَاقـــــي تَرْكْ الْخَمَرْ وْهَاتْلِي الصَّهْبَا فَـ الكَاسْ حْدِيقَا

وَامْلاَ لِي ذَاكْ الْبْرِيــــــــقْ

الصهباء هي الخمر ذات اللون الابيض تخالطه خمرة . فهي خمرة جيدة ونفيسة ومؤثرة فهو يفرق هنا بين مستويات في جودة وفعالية الخمرة ، كما يفرق الصوفية بين درجات في الحقيقة . فهناك الحقيقة التي هي من شيم الخاصة وهناك الحقيقة الحقة وهي من شيم خاصة الخاصة أي الاولياء والانبياء ....

4 ـ بنية النور / الظلام :

بعد أن تبينا العناصر الرمزية الاساسية التي تتشكل حولها القصيدة وهي : الطبيعة ـ الخمرة ـ المرأة ، نتوقف لاستخلاص البنية التي تنظم هذه العناصر الرمزية في بناء نسقي محكم يعكس رؤية خاصة للحقيقة .

ووقوفا عند المعجم اللغوي الذي وظفته القصيدة ، نجد مفهومين توزعا فضاء النص كله ، يتمظهران في أشكال مختلفة حسب كل عنصر من العناصر الرمزية المشار اليه ، هذان المفهومان اللذان يشكلان البنية العميقة للقصيدة هما :

مفهوم النور ومفهوم الظلمة والظلام .

أ ـ مفهوم النور : والعلامات التي تعبر عن مفهوم النور في قصيدة نذكر منها : ورد أولا في المطلع :

شُـــوفْ هْمَـــــامْ الضَوُّ بَانْتْ عْلُومُو فَالأَفَاقِـــي

فهناك كلمة الضوء والتي لم يستعملها الشاعر لوحدها بل جاءت مضافة لكلمة همام ، أي سلطان ، للدلالة على السلطة والنفوذ والجبروت .

المعجم : هْمَامْ الضَوْ ـ بَانْتْ عْلُومُو ـ شْمُوسُو الْبَاهْيَا ـ اشْرِيقَا ـ عْلَمْ الفْجَرْ ـ تَاكْ الصبْحْ الرَاقِي ـ الشَّارْقَا ـ تَاكْ كَوْكْبِي ـ اتْنَوَّرْ يَشْرَاقِي ـ ارْمَى الصبُّحْ ارْوَاقُو ـ لْبَسْ حْلاَتْ لْشْرَاقْ ...

ومع هذه الكلمات الدالة على النور بصورة مباشرة ، هناك جهاز مفاهيمي مركب من افعال وأسماء تفيد هذه الدلالة بصورة غير مباشرة مثل :

مَاسْ الْغُصَنْ ـ تْزَخْرْفَتْ احْدَايَقْ ـ فَاحْ الزْهَرْ ـ وَارْوَاتْ غْصَانُو ـ طَابْ اسْرُورْ الْعَاشَقْ ...
الْبُسْتَانْ البَاسَقْ ـ الْغُصَنْ النَّايَقْ ـ اغْصَانُو ارْقَاقْ ...

فالنور والجمال والجلال ... صفات لحقيقة واحدة هي التي اشرقت في فضاء القصيدة . والنور في النسق الرمزي الصوفي هو الله جل علا ، مصداقا لقوله تعالى : " الله نور السموات والارض" (سورة النور) . وكقوله في سورة القصص : "فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لاهله : امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى أنا الله رب العالمين" .

ب ـ مفهوم الظلمة : والعلامات التي تفيد هذا المفهوم في القصيدة :

رَاحْ اللّيلْ ـ طَارْ غْرَابْ الدَّاجْ ـ خْلَعْ الدَّاجْ اغْسَاقُو ـ اغْسَاقِي .

يلاحظ أن هناك تفوق للمعجم النور اني عن المعجم الذي يفيد الظلمة وذلك لان فضاء القصيدة ، فضاء الاشراف والنور

والتجلي ... بين الليل والداج و (الد جى) قد انهزم وولى ، فلم يرد حضوره في القصيدة إلا بصورة سلبية .

ومعنى هذا بلغة الصوفي ان الظلمة رمز لحجب النور الحقيقة . والذين تظل بينهم وبين الحق سبحانه حجب . فهم بعيدون كل البعد عن الحقيقة .

وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي أذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب "سورة فصلت ، اما الذين ارتفعت الحجب بينهم وبين الحق فاولئك هم السعداء .

ننتهي من كل هذا الى أن القصيدة التي بين أيدينا تعكس تجربة صوفية ورحلة رمزية ، توجت بالوصال ، لان صاحبها "يَدْرِي نَهْجْ الطُّرُقْ" ويملك طاقة لانه "صبر لبق" ومن "أَهْلْ التْحْقَاقْ" و "أَرْبَابْ الطْرِيقْ" .

※ "الترجما" ※

"الترجما" بتسكين الراء والجيم هي كما قال عنها الحاج إدريس في قصيدة "الكاس" : "قَصًّا ... وَعْجُوبَا ... وتَرْجْمَا" .

فهي أولا قصة ، "قَصًّا جْرَاتْ لَلْخَادَمْ وَالْحُرَّةْ" "يَاقَاضِي "قَصًّا جْرَاتْلِي مَعْنَاهَا" سَمْعُوا قَصْتْ "حُمَّانْ" .

وهي ثانيا "أعجوبة من أعاجيب الزمان" إذ أن الحياة الرتيبة الهادئة التي لا غرائب فيها ولا أعاجيب ، ربما لا تثير انتباه الانسان العادي ، فضلا عن أن تحرك شعور الانسان الممتاز .

وهي ثالثا "تترجم" لشخص أو لاشخاص ، تماما كما تفعل "الترجمة" في الادب الفصيح ... إلا أنها في الملحون لا تترجم للشخص أو للاشخاص ، من الميلاد الى الوفاة وإنما تهتم فقط ، باللحظات الغير المألوفة في حياة من تترجم لهم . لنقرأ أولا هذه "الترجمة" لشيخ هرم ، تزوج بفتاة في عمر الزهور ، وبعد سنة أو أقل من سنة ، ضاقت به ذرعا وقررت أن تنفصل عنه مهما كان الثمن :

قَالْ الشَّايَبْ لَلشَّابَـــــــا مَالَكْ لَفْرَاقِي زَارْبَـــــا

قَلْبِي أَنَا مَغْرُومْ بِكْ ، وَتْعَرْفِيـــنِي يَاحُرْتْ الْغْوَالِي وَاَلَفْتَكْ مَا نْطِيـــقْ صَبْرَا ، وَلاَ نَقْدَرْ عْلَى فْرَاقَكْ .

لَلّهْ الْحَدْ .. أَشْ ذَنْبِي يَا مُولاَتِـــي ؟ وْبَاشْ مَنْ جُرْمْ كْرَهْتِيـــنِي وْحَرْسْتِي ف : فْرَاقِي بَعْدْ الْمْوَالْفَا وَالْعَشْرَا ؟

ولا قطعت في قلبك ونسيتي وصايت امك وباك منين رحت ليك .

وَصَّاوَكْ ، مَا تْمَرْتِيـــنِي ، وتْسَعْفِيـــنِي وْلاَ تْهُونِي بِيَّ طُولْ الْحْيَاتْ . وَقْبَلْتِي وبْغِيـــتِي عْلاَ رْضَايْتْ نَفْسَكْ ، وَنْهَارْ جِبْتَكْتْعَاهَدْنَا بِيـــنَاتْنَا ، وْفَـ : الْمَصْحَفْ احْلَفْنَا لْبَعْضْنَا لْغِيـــرَكْ مَا نْكُونْ رَاجَلْ وَنْتِ لَلْغِيرْ مَا تْكُونِي زَوْجَا ، وَلاَ تْفَرْقْنَا غِيـرْ الْمُوتْ الْوَاجْبَا عْلِنَا .وَتْرَاضِينَا عْلَى الْمْحَبَّا ، عَشْنَا وَعْطَاتْنَا الْوَجْبَا ، وَطْبَايَعْنَا اتْوَالْمُو، وَنْتِ كُنْتِ مْطَاوْعَانِي وَانَا مَأْمُورْ كُنْتْ عَنْدْ كْلَمْتَكْ ، وبْوَالْدِيـــــــكْ رَافَعْ ، وَضْيَافْتَهُمْ كِيـفْ شَفْتِي عَمَّرْنِي مَا بْخَلْتْ فِيـهَا ، وَصْدَاقَكْ بَالْوْفَا ادْفَعْتُوا وَاكْثَرْ مَنُّو عْطِيـتْهُمْ زْيَادَا مَنِّي حْسَانْ .

وَعْطَاوَكْ لِيَّ ب : الصْفَا عْلَى السُّنَّا وَالْكِتَابْ وَامْرُوكْ عْلَى الطَّاعَا مَا تْخَالْفِي فَـ : كْلاَمِي . وَالْيُومْ

بَعْدْ مَاتُو وَمْضَاتْ ايَّامْهُمْ ، جرْتِي عَنِّي بَعْدْ الْعْطُوف ، وَسَعْفَتِي قُولْ الْحَاسْدِينْ فِيَّا وكَرْهَتِينِي بْدُونْ سبَّا وَلاَ خَفْتِي مَنَ الزْمَانْ يفَادِي وَعقُوبْت الدهْرْ وَالْوَقْتْ اينَقْلَبْ لاَ غْنَا وتْجِيبْكْ الايَّامْ كِيفْ جَابَتْنِي لِيكْ وْطَاحْ بِينْ رَجْلِيهَا وَدْمُوعُو سكَّابْ . وتْنَتْرَاتْ الْبَنْتْ مَنْ الشَّايَبْ مَا سمْعَتْ لُوكْلاَمْ ، كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ .

نَطْقَاتْ الْبَنْتْ عْلَى الصـوَابْ   قَالَتْ لَلشَّايَبْ فَ : الْجْـوَابْ

بَعْدْ مَنِّي ، يكْفَاكْ مَا تْعَزَّ فِيَّا ، مَلِّيتْ مَنْ عَشْرَتَكْ ، وَاللّه مْعَاكْ مَا نْزِيـدْ نْكَابَرْ وَلاَ نْكُونْ مَرْتَكْ ، وَلاَلِيَّ تْكُونْ رَجَلْ ، دَوَّزْنَا مَا كْتَابْ .

وَالْيُومْ انْتَيَا سِيـرْ شُوفْ غِيـرِي ، وَنَا نَمْشِي نْشُوفْ غِيرَكْ ، وَالـشَّايَبْ مَا تْنَاسبُوا غِيـرْ مَرَا قَدُّوا تْسَاعفُوَ وِيسَاعفْهَا وِيتْوَالْمُوا فَ : الْعَشْرَا مَنْ حَالتْ الْكَبْر ، فَارقْنِي لَلّهْ سِيرْ شُوفْ مَرَا قَدْكْ شَايبَا ابْحَالكْ ، وتْقَبْلْ عْلِيكْ بْزَمْنْهَا ، وتْطِيبْ لِيكْ مَا كْتَابْ مَنَ القُوتْ عْلَى شَهْوَتْ نَفْسَكْ .

وِيلَا جِيتِي تْلْقَا ، مُوضَعْكْ مْفَرَّشْ ، وَالطْعَامْ وَاجَدْ ، وَالضَوُّ مَشْعُولْ ، وَالوَضُو يَسَخْنْ لِكْ .

طْلَبْتْ الرْتَاجْ زْهَقْ لِكْ ، عَنْدَاكْ الْوْضُو يبْرَدْ لَكْ .

وِيلَا وْجَبْتْ لُوقْتْ نُوضْ تْوَضَّا ، وقَابَلْ الْقَبْلاَ وَتْهَلاَّ فَ : دِينْ رَبِّي .

وَعْمَلْ تَسْبِيحْ لَلْـذْكَرْ ، وتْوَلَّعْ بَالْـصوُمْ ... وَالْفْجَرْ ، صَلِّيهْ فَ : وَقْتُو لاَ يفُوتَكْ وَعْمَلْ فِي بَالْكْ الشْهَادَا ، وَشَهْوَتْ النَّفْسْ تُبْ عَنْهَا .

وَحْتَالْ الَّيلَتْ الْقْبَرْ، وَاعْتَصَمْ بَاللّهْ لاَيَنْ كبرتي وهرمتي ولا بقالك قد ما فات ف : العمر

وَانَيَا مَا زَلْتْ شَابًّا وَصْغِيرَا ، رَبِّي يَجِيبْ لِيَّ رْجَلْ قَدِّي نْوَالْمُو وِيوَالَمْنِي وَنْحَسَنْ زْوَاجِي وَنْفَادِي كُلْ مَا مْضَا ، وَنْدَوَّزْ صْغُرِي وَصُولَتْ شَبَابِي كِيفْ بْغِيتْ ، وَنْتْمَتَّعْ بَنْزَايَهْ كِي نْرِيدْ ، فِي أَيَّامُو نَبْرَزْ فَابْرَازْ ، أَو نَعْمَلْ مَا دَارَتْ الْبْنَاتْ ابْحَالِي ، وَنْذُوقْ غَلَّتْ الرجَلْ . وَنْتَ كُلْ مَا خَسرْتِي قَبْضُو وَعْطِينِي فْصَالِي بَالْعَقْلِيَا بْلاَ شْرَعْ نْتَفَرْقُو ، وَلَلَّ تْنُوزْ عَنْدْ الْقَاضِي ؟

يَفْهَمْ كْلاَمْنَا وِيجُولْ فَ : مَعْنَاهْ وِيفَرْقْنَا بَاحْكَامْ الشَّرْعْ ... هَكْذَا قَالَتْ لُو مَزْرُوبَا .

وَالشَّايَبْ كَشْفْ الْحَيَا وَشَدْ عْلَى الْعِيبْ احْزَامْ ... كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ

تَمْ الشَّايَـــبْ حَالُــو نْضَامْ وْغــوَلْ عَنْ تَـــاجْ الرِّيْـــــامْ

وَجْهَلْ عَنْهَا مَنْ حِيتْ جَرْحَا تُوفِي قَلْبْ جْوَارْحُو وْقَالْ فْ قَوْلُو :

خَمَّمْتْ فِيـكْ يَا أَدِيًّا وَنْظَرْتْ فِيـكْ نْصِيـبَكْ مْبَغُوضَا وْفَاجْرَا ، وَقْلِيـلَتْ لَحْيَا وْبَانْ عِيبَكْ وْلاَ صَبْتِي حْكَامْ ، وَتَّشْهِيـتِي لَفْجُورْ وَالْمْلاَهِي وَالْمُنْكَرْ اَلسَّايْبَا قُلْ اللَّهْ حْيَاكْ يَالرَّهْطِيًّا ، يَا مَكْرُوهْتْ النْسَا ، يَاعُرَّتْ لَبْنَاتْ ، يَالْمَفْضُوحَا ، يَا قَصَّارْتْ الرْقَابْ ، اغْوَاكْ الشِّيطَانْ يَالْكَرْفَا ، وَتْنَفَّكْتِي عْلَى النْعَايَمْ ، مَا خَلِّيـــتِي حْيَا لْنَاسَكْ وَلاَ هُمَا وْلاَ عْنَايَا وَفْضَحْتِي عَرْضْهُمْ ، أو سَفَلْتِي وْلاَ بْقَاتْ فِيـــكْ تْمَارَا ، وَمْنِينْ شَفْتِي حَالَك يَا مَخْرُوبْتْ الْعَقْلْ ، وَتْفَكَّرْتْ احْسَانْ وَالْدِيـكْ ، ابْغِيـتَكْ تَبْقَايْ كِيــفْ كُنْتِي ، مَنْ نَاسْ الْعَرْضْ وَالْمْرُوًّا ، وَحْفَرْتَكْ خَفْتْ مَنْ عْيُوبَكْ وَسْتَرْتَكْ مَارْضِيـــــتْ شُوهَا ، وَتْسَفَّهْتِي وْلاَ قْبَلْتِي رَغْبَا .

وَقَّرْتْ مَا نْفَعْتْ وْقَارَا ، بَشَّرْتْ مَانْفَعْتْ ابْشَارَا ، وَكْرِيتْ بَالْحْوَايَجْ ، وَعْطِيتْ الْمَالْ وَالنْعَايَمْ فِي كُلْ اصْنَافْ مَاخْطَاوَكْ ، وَنْتِ دِيمَا امْخَنْتَا فِي دَارَكْ ، وَالْـــسَّخَارَا عْلاَ مْرَامَكْ ، وَلاَ خَلِّيــتْ لِيــكْ بَاشْ تْعِيبِيـنِي يَا الْعَايْبَا ، وَبْغِيتِي عْنْوَا بْلاَ سْبَابْ خْصَامِي يَاكْ الظَّالْمَا شَفْتِينِي زَعْمَا كْبِيرْ ، وَحْتَجِيتِي بَالشِّيبْ يَا الْبَرْهُوشَا ، الشَّايَبْ اللَّهْ وَقْرُو ، وَسْتَحْيَا مَنُّو الَى حَسْنْ دِينُو بَالتَّقْوَى وْشَابْ مَسْلَمْ وَحْفَزْ رَجْلُو مَنْ الْحْرَامْ ، وْخَالَفْ نَفْسُو وْلاَزَمْ اوْقَاتُو وَاهْدَاهْ الْكْرِيمْ .

وَنَا مَنْ فَضَلْ اللَّـهْ وَالـنْبِي ، عَمَّرْ لُوقَتْ مَا خْطِيتْهَا ، وَالجَّامَعْ دِيمَا مْوَابْدُوا ، وَالْفَجْرْ مْعَا الـنَّاسْ كَانْصَلِّيهْ فْ : وَقْتُو مَا يْدُوزْنِي ، وَنْخَرَّجْ لَعْشَارْ وَالزَّكَا وَنْصَدَقْ وَنْحَاسَنْ الْمْسَاكَنْ .

وَالشَّايَبْ فَ :الاسْلاَمْ دِيمَـا — مَكْرُومْ بْغَايْتْ اسْمَاحَــــا
وَالشَّايَبْ سِيرْتُو قْوِيمَـــا — يَخْبَرْ وِيفِيدْ بَ : النْصَاحَــا
وَالشَّايَبْ بَرْكْتُو عْظِيمَـــا — عَنْدْ اَهْلَ الدِّينْ وَالنْصَاحَــا
الشَّايَبْ مَا يْعَرفْ حَقُّـــو — غِيرْ اللِّي صَوْرُو وْخَلْقَـــو

وَالشَّايَبْ حَقْ يَنْعْذَرْ ، وَبْنَاتْ الْعَرْضْ كَايْقَبْلُوا بَ : الرَّجَلْ يَا الظَّالْمَا كِيفْ مَا جَابُو اللَّهْ وَجْهَلْ عَنْهَا وَبْغَايْسَفْهَا لُو مَا فَكُّوهَا النَّاسْ مَنُّو وَقْرَا لَعْقُوبَا ، كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ

قَالَتْ مَصْبَاحْ الْبَاهْيَـــــــاتْ   لَلشَّايَبْ حِينْ تْغَلْغَـــــلاَتْ

هَدْ الْمَعْيَارْ امْعَا الـلِّي بْحَالَكْ دِيـرُو، وِنَامْرَا عْلِيـكْ بْ : لُوقَرْ ، وَحَلْفَتْ لُوبْمَا يَلْزَمْهَا ، لاَبُدْهَا فْ : دَارْ الْقَاضِي ...

وَمْشَاتْ لاَلَلاَّ كَاتْتَمَايَحْ كَالْعْلَمْ بِينْ عْسَاكَرْ فِي حُومْتْ السَّقَرْ ، وَالشّيبَانِي فِي خْلاَفْهَا تَابَعْهَا .

مْنُوضْ الْعْجَاجْ بْرَجْلِيهْ ، وَمْتَبَعْ الضّبَابْ بْعِينِيهْ ، وْحَالْتُو تْشَفِّي ، وَسْبَقْتْ الْبَاهْيَا الْدَارْ الْقَاضِي ، وَبْقَاتْ وَاقْفَا نَصْ نْهَارْ تْعَايْنُو يَلْحَقْ بِهاَ ، وَمْنِينْ جَاوْزَادُوا عَنْدْ الْقَاضِي بْزُوجْ .

كَعْدُوا قُدَّامُو بَعْدْ بَايْعُوالِيهْ ، رْفَعْ سِيدْ الْفْقِيهْ عَيْنِيهْ ، يْصِيبْ مْقَابْلاَهْ بْنَتْ صْغِيرَا ، تَسْحَرْ بْزِينْهَا وَحْدَاهَا رَجَلْ كْبِيـــرْ شَايَبْ ، يَحْسَابُو غِيـــرْ جَدْهَا ، وَتْلَفَّتْ لَلْبَنْتْ قَالْ : مَالَكْ ؟ قَالَتْ لُو ، خِيـــرْ يَالْقَاضِي ، حَالِي يَغْنِيـكْ عَنْ سَأْلِي ، هَذْا الـرَّجَلْ قَلْ جَهْدُو، وَكْبَرْ وَالـشّيْـبْ هَرْمُو، شُوفْ اوْصَالُو رَاجْفِينْ .

جَاوْخَطْبْنِي مَنْ عَنْدْ وَالْدِيَّا ، وَغْوَاهُمْ يَا فْقِيهْ بَالطَّمْعْ وْلِيهْ عْطَاوْنِي ، وَصْبَرْتْ صْبَرْتْ ، صْبَرْتْ ، يَالْقَاضِي ، أَنَا بَاللَّهْ وَالـشْرَعْ فَاصَلْنَا بَحْكَامْ اشْرِيعَا ، هُوَ يَمْشِي يَشُوفْ غِيرِي ، وَنَا نَبْقَى امْـأَمَّنَا فِي دَارَكْ ، حَتَّى تْشُوفْ لِي مَنْ يَا خُدْنِي عْلَى يَدِيكْ ، وَالْقَاضِي فِي عْوَضْ وَالْدِيَّا ، نَحْسَنْ دِينِي عْلَى الرْضَا وَنْوَلِّي مَنْ جُمْلَتْ النْسَا وَنْوَلْدْ اوْلاَدِي الَى عْطَانِي رَبِّي ، وَالْحَالْ مَاخْفَاكْ تْعَرْفُو ، وَنْتَ تْبَارَكْ اللَّهْ فْقِيهْ نْبِيهْ ...وَاشْ فَارَسْ مْغْوَارْ بْصَارْمُو مْهَنَّدْ يَشْبَهْ تْرَأْسْ عَنْ شْمَالُو كَلْخَا مَعْيُوبَا ؟ وِيَاكْ اللِّي مَا فِيهْ فَايْدَا مَا يَدْخُلْ لَزْحَامْ ..... كَانْ تْسَالُوا يَا حَاضْرِينْ .

انْطَقْ سِيدْ الْقَاضِي وْقَـــالْ   هَذْا الشَّايَبْ بِهْ الْهْبَــــــــالْ

وَنْتِ يَا هَاذْ الـبَنْتْ غِيرْ هَنِّي نَفْسَكْ ، وَاللِّي يْلِيـقْ بِكْ نْدِيـرُو ، انْتِ مَا تْتَاعْتْ مْحْنَا عَمَّرْ الزِّيـنْ مَا يَتْمَرَّتْ ، وَعْلاَ الـصْوَابْ صَبْتْ كْلاَمَكْ لاَ عَيْبْ فِيــهْ وَالـشَّرْعْ الْحْبِيــبَا الـلَّهْ جَعْلُو رَحْمَا ، وَالْحَقْ مَا يَنْجْحَدْ وَبْحَالَكْ فَ : الْبْنَاتْ مَا يَتْغَيَّرْ .

سُبْحَانْ مَنْ نْشَاكْ وُودَكْ بَ : الـزِّيـنْ وَالْبْهَا وَالـطِّيـبَا ، وَالـسَّرْ وَالْحْيَا وَالْهِيـبَا وْلاَ نْسَاكْ رَبِّي مَنْ

مَنْ شَيء ، وقَالْ بَالأمَرْ لَلشَّايَبْ هَذْ الْمَرا شَكَاتْ بْعَيْبَكْ جَهْرَاتْ بِه ، وَالْعَيْبْ اللِّي بَاشْ عَابْتَكْ ، فِيكْ ظْهَرْ لِيَّ بْشُوفْ عَيْنِي ، مَا نَحْتَجْ لُو شْهَادْ .

قَصرَّ الْكلاَمْ وَنُوض لَلْعَدُولْ اعطِي لَلْخَلْقَا بْرَاتْهَا وَسَتَرْ رَاسكْ مَا انْتَا ادْيَالْ صغِيراَ يكْفَا خْلاَصْ رَاكْ كْبَرْتِي ، وَاللِّي كْتَابْ دوزتيه مْعَاهَا ومَا يْغَلْبَكْ مَنْ غِيرْ اللِّي يقُولْ لِيكْ فَرْقْنِي ، أَوْ اعْطِينِي مْتَاعِي أَوْلاَّ خْرُجْ مَنْ مْكَانِي وَنْتِ هَاذُوا جَرْاَ وَلَكْ بْثْلاَثَا .

وَعْطَاكْ خَاطْرَكْ ، دوزْتيهمْ بَعْدْ مَا سْمَعْتِيهمْ ابُوذْنِيكْ غِيرْ مَنْ سيَّالاَ لَعْرَابْ قَالْتْ فْ : مَعْنَاهَا قَطْرَانْ ، الْعزْ وَلاَ عَسلْ الـدَّلْ هُوَ طَبْعْ الاحْرَارْ ، وَلاَيَنِّي بَعْدَ ادوِي نْسَمْعْ كْلاَمَكْ ، وَدْوِي وقَالْ ذَاكْ الشَّايَبْ أيَا فقِيهْ .

لُو كَانْ نْمُوتْ حرَامْ مَا نْطَلَقْ مرْتِي لَنِّي فْرِيدْ ، مَا عَنْدِي وَلْدْ وْلاَ بْقَاتْلِي بَنْتْ تْشُوفْ الْحَالْتِي وكْبْرِي وَلاَ عَنْدِي مرَا خْفِيفَتْ الْعَضَامْ ، تْقَرَّبْ الْبْعِيدَ وَتْجَالَسْنِي الَى صبْحتْ فْ : دَارِي ، وَتْكُونْ لِي وْنِيسَا ، وَنْوَالِيهَا وقُلْتْ بِهَا نَكْلَعْ خَمْجَا عْلَى قْلِيبِي ، وَتْوَاكَّضْنِي الَى وْفَالِي عمْرِي عَنْ كَلْمتْ اشْهَادَا حتَّى يَعْفُو اللَّهْ عْنِّي وَسكَتْ مَسكِينْ ، غَرْغْرُو بَالدَّمْعْ عيَانُو وْصَارْ يشْهَقْ وَيكُحْ وْطَاحْ علَلْ الأرْضْ ايْقُولْ انْيَا فْ : عَارْ رَبِّي وفْ عَارَكْ رَدْلِي عْمَارْتْ دَارِي مَالِيكْ خِيرْ ، أيَا قَاضِي مَالِيكْ خِيرْ نُوبِي فِي حقْ الْكْرِيمْ ، بَاحسَانَكْ صَالَحْنِي مْعَا غْزَالِي ، سَاعَا وَحْدَا الَى اخْطَاتْ عْلِيَّ رَانِي بَذْ نْمُوتْ ، وَفْرَاقْ الزِّينْ صعْيَا .... كَانْ تْسَالُوا يَا حَاضْرِينْ

مِيَّزْهُمْ فْصِيحْ الْعلُومْ   وَلْقَا نَفْعُو فْ : فْرَاقْهُمْ
شَافْ الْغَادَا تْسَاهَلْ النْصرْ   بسْوَالَفْ يَهْجِيوْا بَالْعْطَرْ
وَالْغُرَّاكْ : دَارتْ الْقَمرْ
وَحْوَاجَبْ نُونِينْ فْ : السطْرْ   وَالْعَيْنِينْ كْوَابس الْغْدَرْ
وَخْدُودْ كْمَا الْوَرْدْ وَالزْهَرْ
وَشْفَايَفْ تَقْصيرْ لْلْعْمَرْ   وَعْلَى الجوهر فايق الثغر

والرقبـــــا عراض في قفـــــــر

وَالْعَضْدِّينْ اصـــــــوْارَمْ اسْقَـــــــرْ وَصَبْـــاعْ قَلُـومَا بْلاَ فْخَـــــرْ

وَالْبَـــــــلأرْخَــامَتْ الصَّــدَرْ

وَالنَّهْــــدِينْ اتْفــــَافَحْ اشْجــــــرْ وَرْدَفْ بُو دْوُاحْ مَعْتَمَـــــــــرْ

وَالْبَطْـــنْ الطــاوِي مْعَا الْخَصَرْ

وَالســــرَّاكَ : طَـــاسَتْ الْخَمْـــرْ وَالْفَخْـــدِينْ اشْـوَابَلْ الْبَــــحَرْ

وَالسِّيقَـــــــانْ تْهَيْـــجْ الفْكَــرْ

وَقْــــدَامْ اخْـــدَلَّجْ بْـــلاَ عْكــــرْ وَالْقَـــدْفْ : جَهْـــدُوا بْلاَحْكَـــرْ

وَالْعَـــــــذْرَا تَرْبِيْـــتْ الْحَضْــرْ

وَالْقَـــاضِي مَا فَـــادْلُو صَبْـــرْ تَيْهْتُــو مَسْبُـــولَتْ اشْعَـــرْ

بَصَــــغْرْهَا وَالتِّيـــهْ وَالْغَفَــرْ

وَبْـــذَاكْ الشُّمُـــوخْ كِـي ظْهَــرْ فَ : وْجِيــهْ كِي طَلْعَتْ الْبَــدَرْ

أوْثْـــرِيًا وَسْـــطْ شِي قْصَــــرْ

وَالشَّيِّــــبْ مَنْ يْمَــــايَرْ الْكُبَــرْ

وَالشَّايَبْ مَسْكِينْ ، غِيرْ كَا يَبْكِي وِينِينْ ، مـــــالُو ؟ مَـــــالُو ؟

مَغْبُونْ عَاجَزْ الْقُدْرَا وَكْبَرْ مَا بْقَاتْ فِيـهْ مْزِيًا ، وَمْلاَمْحُو اشْهَابُو ، وَالسعْلاَ قَبْطَاهْ ، عَادْ يَكَحْكَحْ وِيزِيمْ وَالْبْخَاشْ تْعَاقَبْ ، وَلاَ بْقَا فْ : عَمْ الشَّايَبْ ، مَنْ غِيرْ مَا بْقَا يَاحَضْرَا فِي شِيخْ الضَّبْوعَا قَلَّتْ لَمْلاَقْ وَالـنْكَارْ ، وْقَالْ الْقَاضِي ـ وْشَارْ لاَعْوَانُو ـ : عَدْلْ لَعْدُولْ دَوْزُوهْ ... أودَغْيَا ...سيــرُوا مْعَاهْ ، يَعْطِي لَلْمَسْكِينَـا ابْرَاتْهَا فَ : الـسَّاعَا ، وِيـلاَ تْفَاصلُوا رَدُّوهَا بْبْرَاتْهَا الْعَنْدِي ، وْمَا خَسْرُوا غِيـرْ نَوْضُوهْ الـلْعْدُولْ بْغَا وْلاَ كْرَهْ حَتَّى طَلَّقْهَا وِصِـيـفْطُوهْ مْبَالَصْ ، وَمْشَى بْلاَ عْقَلْ لُوكَارُو وِيــقُولْ مَنْ

صْمِيمْ اسيَارُو ، اغْرُبْتُو فْرَقْ خنَّارُو ، وبْقَى بْلاَ عمَارتْ دَارُو ومْنَ الْفرَاقْ شعْلَتْ نَارُو .

وَالشَّابًّا رْجعْتْ امعَا الْحَرَسِي مطْلَقَا لاَ عنْدْ الْقَاضِي وبْنْدقْتْ لِيهْ ، وقَالَتْ لُو يَجْزِيكْ خِيرْ عَنِّي وَانيَا لِيكْ يَالْقَاضِي خَادَمْ مكْسُوبَا ، ومَشَاتْ الدَّارُ وَامعَا الْجوَارْ أونقْطَعْ الْكْلاَمْ ، كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ

وبْعْــــدَهَا شَخْشْ الشْخْــــــوُشْ حبُّوهَــــاجْ ومَاسَامْحــــــوُشْ

ونْدمْ عنْ مرتُو غايْتْ النْدَامَا ، وَالْقَاضِي دُونْ غرْضْ طلّقْهالُو .

وَالْحبْ جَارْ عنُّو وفْرَغْتْ عزَايمُو وبَارتْ الْحيَالْ وقَالْ مَا يفَاجِي ضيْمِي غِيــــرْ الْهمَامْ ، وبْقَا وَاقَفْ سَاعَا وكَا يرْجَلْ رَاسُو وِيرِيْضْ الزّعَامَا وِيجُولْ فْ : مَا يقُولْ قُدَّامْ الْمِيرْ الَى دعَا الْقَاضِي ، ورْجَعْ عنْدْ الْفقِيــهْ ودْعَاهْ وسَارْ معَ الطْرِيــقْ كَايتْخَرْوَعْ ، مرّاً ينُوضْ مرّاً يكْعُدْ ، مرّاً يزِيدْ مرّاً يسْخَفْ ، وحدِيثْنَا لْسِيدْ الْقَاضِي ؟

ولْلاَّ لْقلْبْ دَارُو ، ورْفَدْ مصْحفْ تحْتْ بَاطُو ، نَادَا لَلشَّابًّا تبْعَتْو ، ومْشَاوْ بزُوجْ لَحقُوا لَلشَّايَبْ ، صَابُوهْ كَا عدْ وكَا ينْهَجْ ، فَ : الْحِينْ جَاوْا زُوجْ منَ اصْحَابْ الْمِيرْ زِيدُوهُمْ بتْلاَتَا وَالْهمَامْ جلَسْ فِي محْفَلْ مَا يلُو نْهَايَا وَالْوُزَارَا علَى يمِيــــنُو وشْمَالُو وَالْمزَارْكِيَّا ، حتَّى الْقيَّادْ وَالْفرَادَا ، وَالاُمنَادْ كُلْ حنْطَا وَالشكَّايَا مصَافِّينْ ، منْ مُورَاهُمْ لَمْسَخْرِينْ ، عنْدْ الطَّاعَا متْشَمْرِينْ ، وكَلْمَتْ الْملَكْ نَافدَا ، وَالْمَشْوَرْ بعْجَايَبْ الْملاَكَا عَامَرْ .

وبْشرتْ سِيدْنَا مبْشُورَا ، وكْذَاكْ صُورتُو مهْيُوبَا ، وَالشَّابًا معَ الشَّايَبْ وَالْقَاضِي سرَاتْ فِيهُمْ رهْبَا منْ هِيبتُو ، ونْطَقْ الْهمَامْ اللَّهْ ينْصرُو قَالْ لْهُمْ : ادْوِيوْا مَالْكُمْ اشْكِيوْا علِيَّ وخَضْعْ لِيهْ الشَّايَبْ ودْوَا وقَالْ لُو : يَا سلْطَانْ ، أنَا جِيتْ شَاكِي لَلَّهْ ولْيكْ خُذْ لِي حقِّي وَانْظُرْ منْ الْحَالْ هذَا الْخلْقَا مرْتِي وجَارتْ علِيَّ وبْغَاتْ الْفرَاقْ منِّي وأنَا وَالْفــتْهَا وقلْبِي مَا طَايَقْ لَلْفرَاقْ ، وعْيِيــــتْ امُولاَيْ مَانْسَاعَفْ ، ونْسمْعْ الْعِيــبْ ونْتْعَامَا ، ومنَايَنْ شفَتْهَا بغَاتْ الْمُنْكَرْحجبْتْهَا فْ :دَارِي ، وبْعدْهَا غدْرتْ بِيَّ ومْشَاتْ دْعَاتْنِي لْهذَا الْقَاضِي وشْكَاتْ لُوبْشِيــبِي ورْجعْ لِيَّ خصِيــمْ ، وشْتَمْ فِيَّ قُدَّامْهَا ، وبْهدْلْنِي ، ونْهرْنِي وبْزْمنِّي طلّقْهَا لِي وحَازْهَا لُو كَارُو ، ولاَ قْرَا عقُوبتْ مخْزَنْ ، ونْتَ قْضِي بعْرفْكْ ، شَافْ الســلْطَانْ

فَ : الْفقيـهْ أُو فَهْمُوا بَرْجَاحْتْ الْعْقَلْ ظَلْمْ الـشَّأَيبْ فِي غْرَاضْ لَمْرَا ، وَامَرْ سِيَّافْ قَالْ دَرَّجْ رَاسُو ، وَنْشُوفْ سِيدْ الْفْقِيهْ اجْبَدْ مَصْحَفْ لَلدْخِيلْ وْحَطُّو لَلْمِيرْ فُوقْ صَدْرُو وَبْسَطْ خَدُّو وْكَتَّفْ يْدِيهْ وْقَالْ أَنَا فْ : جِيرْتَكْ يَا أَمِيرْ الْمُؤمْنِينْ وَعْفَا عَنُّو سِيدِي وَخَيْتُو وَحْلَفْ لُو لُولاَ كْتَابْ رَبِّي حَتَّى يبْرِيهْ .

وَأمْرُو يْلاَزَمْ دَارُو، وَلاَ بْقَاتْ لِيـهْ حكَامَا ، وَامَرْ عْلَى الْعْدُولْ اتْوَجْدُوا فْ : الْحِينْ رَجْعُوا لَلـشَّأَيبْ مَرْتُو وْسَارْ بِهَا مَبْشُورْوْخَاطْرُو مْهَنِّي وَتْمَامْ الْقُولْ : خَالْقِي يَسْمَحْ لِيْ "قَصاً" بْدَعْتْهَا لَلـنَّاسْ فْرَاجَا وْلاَ يْظَنُّو صَارَتْ وْلاَ جْرَاتْ ، غِيـرْ رْجَاحَتْ عقْلِي مْعَا الـرِّيَاسَا ، مَاجَبْتْ خْبَارْ مَنْ الـشَّأَيبْ ، وْلاَ شَاهَدْتْ شَاباً مَغْرُوراً وَلاَ تْوَاصلُوا لَلْقَاضِي ، وَالْمِيـرْ مَنْ سْلاَطَنْ الْهْوَى ، أَمَّا الْهْمَامْ سَرّ فْ : لَوْقَرْ وَمْعَا أَهْلْ الافْكَارْ كْلاَمِي ... وَالدَّامْرِينْ هَلْ الْعْقُولْ الْمَخْرُوبَا ، مَافقْهُوا مَعْنَا وْلاَ الدَّاوْا يْفَادَ التّمَامْ ... كَانْ تْسَالُو يَا حَاضْرِينْ .

خُذْ احَفَّاظْ عْلَى التّـقَانْ حـلاَّ مَرْكُو مَـا فَ : الْوَزَانْ

بَجْوَاهَرْ زَهْوَا لَلادْهَانْ ، وَاليَّاقُوتْ الشَّعَّالْ وَالتّبَرْ ، وَسْلاَمِي بَالْوَرْدْ وَالزّهَرْ وَالْخِيلِي وَالْيَاسَمِينْ ، وَالنَّسْرِي وَالـسُّوسَانْ وَالْعطَرْ ، وَعطَرْشَا وَالْغَالْيَا وْعَنْبَرْ ، وَالنَّدّْ مْعَا الْعْبِيـرْ ، وَالْجَاحَدْنِي مَا جَافْ : شَايْ يْعْذَارْ فْ : جَهْدُو مَايْلُو دْرَايَا فَ : فْنُونْ الْقُولْ ، وَالـكْلاَمْ مْعَاهَلْ لَعْقُولْ فَاهْمِينْ الْمَعْنَا ، وَمَعْـنْتْهَا عْجِيبَا بَلْسَانْ الْحَالْ رَايْقَا كَا تَشْرَحْ لَعْقُولْ ، وَالْغْنـى يَسْمَحْ لِي فِيـمَا عْصِيـتْ ، مَا وقَعْ خْصَامْ وْلاَ حْضَرْتْ لُو غِيرْ الْسَانْ الْحَالْ كِيفْ رَادْ تْكَلّمْ ، وَخْيَارْ مَا نْقُولْ : الشَّأَيبْ حَاشَا نْمَارْحُو ، مُولاَنَـا عْذَرُو وْسَامْحُو ، وَسْمَعْتْ اللِّـي شَابْ فَ : الاسْلاَمْ مْعَنَى غَدّ فْ : الاخْرَا مَا يَدْخُلْ لَلـنَّارْ مَا يْرَاهَا وَدْعَوْتْ الشَّأَيْبِينْ : مقْبُولَا مَنْ رَبِّي وْقَالْتْ اهْلَ التَّحْقِيقْ "الشِّيبْ نُورْ"

وَالِّلي مَاشَابْ يْشِيبْ لاَ غْنَا يَا حفَّاظْ الَى طْوَالْ لَعْمَرْ كْمَا قَالُو شْيَاخْ مَنْ قَبْلِي حَتَّى أَنَا نْقُولْ

مَا أَنَا جَاحَدْ مَا أَنَا سفْيـهْ ، مَا أَنَا دَاعِي مَا أَنَا وْقِيحْ ، قَابَضْ وقْرِي وَمْلاَزَمْ الـصّبَرْ وَالدَّعْوَا مَا أَنَا فْ : سُوقْهَا وَاهْلَ الدَّعْوَا مَالْهُمْ صُولَا ، وَلاَوَصْلُو الْجَاهْ وَسْلاَمْ الله عْلَى الاشْرَافْ نْعَمْ اسْيَادِي وَعْلَى الاشْيَاخْ هَلْ الامْجَادِي ، وَعْلاَ\

اهْلَ الْعْـــــــلُومْ اُوطَلْبَـــــا وَعْلَـــى اهْـــلَ الذَّكْرْ مَتْـــــزَادِي
وَعْلَــــى الاقْطَـابْ هَلْ لَمْحَبَّــا وَعْلَـــىَ السَّامْعِـــينْ انْشَـــادِي
دُونْ الْجْحـــــودْ وَهَلْ الْغَتْـــبَــا وَعْلَـــى أُمَّـتْ الْمَهْتَـــــادِي
سِيــــــدْ الرْسُولْ خِيرْ النَّسْــــبَا

مُحَمَّدْ الْمْفَضَّلْ عَيْنْ الرَّحْمَا شَفْيعْنَا صَلَّى اللَّهْ عْلِيهْ قَدْ مَا دَايَمْ مُلْكْ الرَّافَعْ السَمْا وَعْلَى الْوُغَايْتْ الــرضَا ، وَهَلُو وَازْوَاجُو وْلاَمْتُو وَانْصَارُو ، وَالْحَمْدْ وَالــشكْرُ لَلــدَّايَمْ وَسَمِي نْبَيْنُو "الْمَدَانِي" عبدْ الاشْرَافْ هَلْ الاسْرَارْ الْمَوْهُوبَا ، قُولُو كَاعْ : اللَّهْ يَرْحْمُو، وَالرَّاحْمْ يُرْحَامْ . كَانْ تْسَالُو يَاحَاضْرِينْ

الحربة ، او " اللازمة "

شَاهَــــدتْ الْيَـــومْ عْجُوبَــــا شَايَبْ ضَلْ مْعَا الشَّابًا فَ : مْعَايَرْ وَخْصَامْ
كَـــانْ تْسَـــالُو يَاحَـــاضْرِيـــنْ

هذا إبداع من إبداعات " فن الترجما " في الملحون ، ولا أقول قصيدة من قصائد "فن الترجما " فنحن في هذا الابداع لم نكن مع "الشعر الملحون" وإنما كنا مع "الادب الملحون" مع "النثر الفني " المعروف باسم "السوسي"وقد مر معنا ذكره في أول الفصول .

نعم ليست كل "الترجما " في السوسي بل فيها ما هو مكسور جناح "أقَاضِي قَصًا جرَاتْلِي مَعْتَاهَا "الْخَادَمْ وَالْحُرَّةْ" "الْجَلْنَارَا" "الطَّيْرْ" وفيها ما هومن الشعر العمودي " الدِّيْجُورْ" "حُمَّانْ" وَ "حْرَارِيزْ"

إلا أن معظم "الترجمات " وأروعها ، هي تلك التي في " النثر الفني" أي السوسي وقد قدمت منها "الشايب والشابا " كنموذج .

فماذا يرى القارىء الكريم في هذا النموذج الادبي الدارجي الذي عمر مائة سنة بالتمام والكمال ؟ أو نحتاج الى شيء من التجاوز لنطلق عليه اسم : "أقصوصة" ؟ فهو كما لا شك قد لا حظت لم يبدأ بتمهيد ولا بتوطئة أو تقدمة . وإنما بالحوار " قال الشايب للشابة" ومن خلال الحوار ، والتعليق على الحوار نبدأ في التعرف على الحدث شيئا فشيئا الى أن تكتمل الصورة ...

حتى رسم الشخصيات لا يأتي إلا حيث ينبغي وبالقدر الذي ينبغي، "مْلاَمحُو شْهَابُو ، وَالسَّعْلاَ قَابْطَاهْ" "مْنَوْضْ الْعْجَاجْ بَرْجَلِيهْ " مْتَبْعْ الضْبَابْ بْعِينِيهْ " بل نحن لم ننتبه لمفاتن الحسناء ، إلا عندما رأيناها من خلال نظرات القاضي وهي تكاد تلتهمها ... أما اللفظة العامية الساطعة والعبارة الشعبية الرائعة وكيفية السير في الموضوع ، وتلك السلاسة وذلك الانسياب ... وما بين السطور من إشارات خفية يستلزمها الطرح ولا ينبغي الافصاح عنها ... على أية حال النماذج بين يديك ، والرأي رأيك ، وما أنا إلا "دَلاَّلْ الْخَيْرْ" والله الموفق . صحيح أننا في الملحون ، لا نعرف عن هذا الغرض إلا أنه طافح بالمستملحات

اللطيفة والطرائف الشيقة ، والهزليات الممتعة ، والانتقاد الساخر لكل من ، وكل ما يستحق الانتقاد . والحق أنه - أي هذا الغرض - أكبر بكثير من مجرد مستملحات ، وطرائف ، وهزليات ... ف : ترجمات الحراز مثلا ... وقد تجاوزت في عددها المائة حراز ... لو وجدت من يحلل بعضها التحليل السيكلوجي الصحيح الجاد ، لتبين أنها في جملتها تحارب الكبت والقهر بكل أنواعهما ، وفي تفصيلاتها تحارب سائر ضروب الاحتكار والاستغلال ، وجميع أشكال الشعوذة والتدجيل ، وأنماط الذل والمهانة وأوضاع الدعة والاستسلام .

وإذا كان الملحون خصوصية مغربية لا يمكن أن توجد إلا في البلاد المغربية ، فإن الحراز خصوصية من خصوصيات الملحون المغربي ، ولا يمكن أن توجد في غيره من سائر أنواع فن القول .

و "ترجمات" الخادم الحرة " وهي أربعة إبداعات ، ظهر الاول في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي ، وظهر الثاني في التسعينيات من نفس القرن ، والثالث في الثلاثينيات من هذا القرن ، والرابع في الخمسينيات منه ، وأصحاب هذه الابداعات هم على التوالي :

"الحاج أحمد الغرابلي ... فاس" ، "المدني التركماني ... مراكش "

"الحاج الحسن بنشقرون .... مراكش " "العيساوي الفلوس ... فاس" .

فقراءة متأنية في هذه القصائد تظهر بوضوح ، أنها أكبر من مجرد شجار عابر بين أمرأة سوداء وأخرى بيضاء ، بل أنه الصراع الازلي المزمن ، بين سكان شمال أرض الله ، وأبناء جنوبها ، بدأ بالاسترقاق والاستعباد ، مرورا على الاحتلال والاستغلال ، وصولا الى انتفاضات الافارقة التي لا تزال متوالية في بعض الجهات الى يوم الناس هذا ....

وترجمات "الفقيه المسلم والمبشر المسيحي" و"العابد والراهب" و "النخلة والصفصافة" و "والناسك والشيطان" كل ذلك فكر ... وفن ومعرفة وثقافة .

وليس من لغو القول أن أشير الى أن هذا الغرض الذي يسمونه "الترجمة" يعيد قراءة كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، سواء منها ما تناولناه حتى الآن ، وما لم نتناوله بعد ...

فالمناجات الالاهية والامداح النبوية نجدها في ترجمات " جمهور الانبيا" "جمهور الاوليا" "جمهور اهل النوبا" جمهور رجال الله"

والوصايا "لوصيات " ... تتناولها "الترجمة" ... لا بالاسلوب الواعظ ، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، بل بأسلوبها الفني الرائع الذي يجعل الشعور يمقت المساوئ ويهجها ، ويغتبط بالمحاسن ويتعشقها ...

ف : "الترجمة" لا تقول عن الخمر مثلا : "كُلْ مُسْكِرْ حرَامْ" وكفى ... أو "بِيعْهَا وَشَرْاهَا وَشْرَابْهَا حرَامْ".... وإنما تصور لك المخمور الفاقد الوعي ، الذي "عْمَا لَمِيمْتُو الْعِينْ" ، أو الذي صفع أباه ... أو الذي تبول في الفراش ليلة زفافه ، وهكذا كل أنواع الفسوق والفجور والزيغ ، من كذب ، وخيانة ، وغدر وما شابه ، وغرض "العشاقي" في "ترجمات الحراز" وفي غيرها ... ووصف الطبيعة في الربيع ، وفي غيره من فصول السنة نجده في "تَرْجَمَاتْ الْفَصَادَة ، والشَرْاطَة، وَالْوَشَامْ للاَنَاث و "ترجمات ، الصيد

والقنص والنزه الجماعية "للذكور ... وهكذا وهكذا الى أن نأتي على كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، فنجدها جميعها حاضرة في هذا الغرض الذي أطلقو عليه اسم "الترجمة" أتراهم قد أخطأوا الصواب بتسميتهم للابداعات هذا الغرض ... الترجمة ؟ لنرى .

إذا نحن اعتمدنا مفهوم اللفظ كلفظ " ترجمة" وتجمع على "ترجمات" فقد سبق لاحد رواد الفكر ، وجهابذة اللغة ... أن أطلق على ديوان شعر له اسم : "ترجمان الاشواق" انه محي الدين بن العربي .

وإذا جاز أن نعتبر الشعر ترجمان الاشواق ، جاز أن نعتبره ترجمان الخلجات التي تختلج في الاعماق ، وترجمان المشاعر والاحاسيس بل وجاز أيضا أن نعتبره ترجمان الاحوال في كل الحالات ، وتلك هي حقيقة " الترجما" الملحونة.

أما إذا اعتمدنا مفهوم اللفظ كاصطلاح أدبي "ترجمة" وتجمع على "تراجم" ، فإن هذا الاصطلاح ما كان ينبغي أن يقتصر فقط على الترجمة للاشخاص ، النابغة فلان ، والعبقري فلان ، والبطل فلان ... فأهل المللحون مثلا ترجموا للمدن :

مْدِينَتْ سَلْوَانْ كَالْمَنَارَا   مَنْ سَبْعْ مْدُنْ مَا تْبُورْ

مَاقَبْلُوا نَاسْهَا جْسَارَا   كَتْبُوا فَ : شْوَاهَدْ السّْطُورْ

لُوجَاتْ قْبَايَلْ الجْسَارَا   تَفْنَا بَدْوَايَبْ الشّْرُورْ

صَالَتْ بَاسْوَارْ   قَلْعَا مَبْنِيًّا حَازَتْ الْوَعَرْ   بَالْهِيبَا وَالْعَزْ وَالْوَقَرْ

وَمْنَارَهْ وَدْيَارْ   بِينْ سْقَايَلْ لَبْرَاجْ عَامْرَا

فِي كُلْ شْبَارْ   مَهْرَازْ الْكُورْ يْهَدْ مَنْ دْسَرْ   وَنْفَاضْ العَسًا عْلَى النْمَرْ

وَالْعَسْكَرْ جَرَّارْ   وَصْحَابْ الْوَزْنْ بْمِيزْ غَارْزَا

وترجموا للجبال :

حَدّْثْنِي عَنْ عَيْنْ فِي ضْلُولْ الصّْفْصَافْ مْبَرْدَا وْعَذْبَا تَحْيِي الارْوَاحْ

وَعْلَى شِي طَفْلاَتْ رَايْحَا   وَالشّْيَخْ رْوَايْحُوا فَ : الْهْوَا فَيَّاحَا

يَاطَوْدْ مَنَ اطْوَادْ أَرْضْنَا عَالِي مَثْلْ انْفُوسْنَا اللِّي مَا تَخْضَعْ لُوقَاحْ

حَدّْثْنِي عَنْ كُلْ مَا ضْحَا   كَايْنُو لِيسْ كَانْ يَخْطَرْ فِي وَاحَا

حَدّْثْنِي لَلَّهْ عَنْ الصّْيَّادَا   وَعْلَى خَيْلْهُمْ وَعْلَى ذَاكْ التّْحْيَاحْ

وَسْـــرَابْ الضـــايـــَا اللاَيْحـــَا   وَالصـــلاَحْ الْقْطـــابْ وَقْتْ السيَّاحــَا

وترجموا للحصان:

هـــاَجْ وَجـــدْيِ وَجْـــوَادِي هَاجْ لِي مْسَرَّجْ   نْجَالْ جَرْدْ مْجَرَّدْ مَتْغَنْجَا دْعَاجـــُو

☆★★

ســـاَلْ عُـــوْدِي عَنْ وَعـــدِي يْبـــاَتْ يَرْثِي وِيضَلْ مْعَا اللْجَامْ مَسْكِينْ يْكَدَّ

وترجموا للنحلة :

صــــُولِي يـــاَ "شَامَا" الضــْـرِيفَا وَزْهَاَيِ وْغَنِّـــي وْدَنْدْنِـــي قَطْفِي مَنْ الازْهـــاَرْ

يــَا تِرْيــاَقْ عْلاَجْ كُــــلْ ضَــرْ   يـَــابَنْتْ الْمْلْكْ فِيكْ هَمَّا وَتْجَـــــاراَ

وترجموا للشمعة :

لَلــــهْ يـــاَ الشَّمْعَــــا سلْتَــكْ رَدِّيــلِي اسْاَلِي اعْلاَشْ كَاتْبَاتِي تَبْكِي مَادَاَلْكِي شْعِيلاَ

بل وترجمو للفتيل الذي بداخل الشمعة :

أَنَـــا الِلْـــي اتْحْـــرَقْتْ وَمــــا انْتِيَّـــاغِي الصَهْـــــــــدْ اكـــــوَاكْ

ترجمـــــواللذئــــــب:

فَـــرْخْ الذْيـــــاَبْ مَا يَتـــــرَبَّا قــــــاَلُوا الـــنَّاسْ وَانَا رَبِّيتْـــــــو

ترجمواالنملــــــــة:

"لَحْوِيــــدَكْ" دِيمَا امْحَزْمـــاَ مَشْمُــــــــوراَ وَمْخَمْلاَ جْلاَيَلْهَا كُلْ نْهـــاَرْ

هِيَّ وَالنَّحــــــلاَ مَنْ الْفْـــــــجَرْ   وَجْنُــودْ الْمْلْــكْ مَا اتْخَالَفْ لِيشَــاراَ

وترجموا للاطلال:

جِيتَـــــكْ يَـــــارَسْمْ الْبَـــاهْيَاتْ صَبْتَـــكْ خــــــــاَلِي مَهْجـــُورْ

سكــــأنَكْ جَابُـــــونِي نْزُورْهُمْ لَلّهْ وَاينْ ســــارُو وَاعْطِيـنِي الاخْبَــــارْ

و ترجموا للمسجد :

لُــو شفْتِــي كــم مّنْ حبّــابْ دَخْلُــو مَنْ هذْا الْبَـابْ ، مَنْ عُلْمَا وَاقْطـابْ

مَنْ ذَاكْ الْيُـومْ الْدّابَــا وَالصُّـلاّحْ اللّي اعْتَاكْفُـوا فِيـهْ سْنِينْ مْوَاضْبَــا

و ترجموا الانهار ...

"مْلْوِيَّــا ، مَــنْ حِيثْ عَـايْرَتْ وَرْغمَا بِينْ هْضَابْ وَ "سبُو" يَسْمَعْ لَخْطَــابْ

وَ "اللّيــرَ" وَ "السبّابَــــا" وَالرّغْـيَانْ يْـورَدُوا وْلْبْنَـارَتْ عْلَى الْمَـدَاعْبَا

لابد من أن نعود الى "الترجما" مرة أخرى ، عند تناولنا للملحون المعاصر، أما الآن ، علينا فقط أن نتمم لها حصتها من النماذج كباقي الاغراض .

"بيكْ مَالْيُونْ" كما لا يخفى على مثقف ، ينحت تماثيل الاجسام من الحجر ، ومن غير الحجر ، وقد نحت مرة تمثال امرأة فأبدع فيه كما لم يبدع في أي تمثال آخر قبله ، ولما فرغ من العمل ، وأصبحت المرأة ماثلة أمامه تكاد تخاطبه ، أحبها ، وطلب من الآلهة أن تهبها الحياة ففعلت ، وارتمت المرأة في أحضانه وجن جنونه ، وقرر أن يتزوجها ... فصبت عليه اللعنات ... وسمع الاصوات تردد من كل جانب "بيكماليون الملعون.... أو يتزوج الخلاق من مخلوقاته ؟ " هذه في سطور ، هي أسطورة "بيكماليون" وكما ترددت في اليونان قبل الاف السنين ...

وسوف يأتي "برنادشو" فيستوحي من الفكرة مسرحيته المشهورة : "سيدتي العزيزة " وستأتي السينما ، فتنتج المسرحية في أكثر من فيلم ...

ويأتي "بن الصغير الصويري" - وقد مر معنا ذكره .... وسبقت الاشارة الى أنه شاهد عهد السلطان العلوي الحازم مولانا الحسن الاول فيستوحي من الفكرة هذا الابداع الخفيف المرح ،

كَانُــو بَاثْنِــينْ مْسَافْـــرِيــنْ فَ : طْرِيـقْ الْخِيــرْ مْرَافْقِــينْ

وَاحَدْ فِيـهُمْ نَحَّاتْ صَانَعْ رْفِيـعْ بْهَرْ جمْعْ الْعْقُولْ ، مَاعَنْدْ بْنَادمْ مَا يْقُولْ ، مَنْ غِيـرْ صْوِيـرِي مَا يْطَوَّعْ جْدَرْ دَالْعَرْعَارْ الْهْشِيشْ ، مَنْ غِيرْ قْشَرْ مَنْ دُونْ فِيشْ كَايْصَنْعْ بَ : الْعَرْعَارْ شِي عْجَايَبْ مَا يَشْرِيهَا الْوِيزْ وَلاَ جُوهَرْ وَلاَ بْرِيزْ وَالثَّانِي كَانْ مْجَادْلِي ، وَفْ كُلْ افْرَاحْ مْوَاوْلِي .

وتْجَرْ دَغْيَا دَغْيَا غْنَاهْ أتَايْ وْصَارْ مْنَ الـلْبَابْ يْبِيــعْ وْيَشْرِي فَ : الاثْيَابْ ، عَنْدُو لَحْرِيــرْ مْعَا

السَّابْرَا ، عَنْدُو الْمَلْفْ مْعَا الكَامْرَ ، عَنْدُو لَغْوَالِي الْعَاطْرَا وعَكْرْ وَالْحَرْقُوس وَالسْوَاكْ وَ الْكْحُولْ ،
وْمَا عْلَى الْجْمَالْ مْنَ حمُولْ ، زَارُو مْقَامْ سِيدِي مَكْدُولْ أُوسكْدُوا
خَرْجُوا فَ : السَرْوِيًا مْنَ الصْوِيرَا جدُّوا فَ : السِيّرْ فَ : الْفْيَافِي وَاقْفَارْ ، كَايْغَنِيوْا اشْعَارْ
قَاصْدِينْ بْعَزْمْ وْنِيّْ الْبَهْجَا الْحَمْرَا

★★★

فَ : عْوِيــــنَتْ سِيــــدِي يَاسِّــــينْ صَابُــو صَاحبْنَـــا بَنْ الزِّيـــــــنْ
هَرُوّهْ وْكَــــالْ كْلاَمْ مَا نْقَدْ نْكُـــــولُو ، وَاللِّـــي قْوَا عْلِيهْ فْضُــولُو ، زَعْمَــــا
بْغَا يْسَمْعُـوا ، إِيجِي حَتَّى الْعَدْنَـــا وِيرَافقْنَا فْ جَمْعْنَا وَنْجِيبُوا لِيهْ خَيْنَــا
وَحْدَاهْ نْهَرْوُهْ لِيـهْ ، أُو يَسْمَعْ أَشْ يْكُولْ لِيـهْ ، عَنْدَاكْ يْكُولْ عْلَى سفِيـهْ لَحْدِيـثْ قْيَاسْ وْغَايْتُو دْرَاوَهْ
قَابَطْ دِيكْ الطْرِيقْ
وَرْجَعْ حَتَّى هُوَ رْفِيقْ ...
يَا مَاحْلاَهــاَ دِيـكْ الْمَرَافْقَا ، مَنْ حكَايَاتُو الْخَارقَا ، وَالْمُغْرِبَاتْ رَايْقَا وَالــضْحَكْ أُو الاَقْجَامْ فِي طْرِيقْ السَيَّارْ ، هَكْذَا دَازْ انْهَارْ ، رَوْحُو فِيهْ الْفَرْحْ عْرِيس لْلْمَسَرَّا .
رَاحَـــتْ شَمْسْ انْهَـــارْ الاثْنِـــينْ دَقُّـــو قَيْطُـــونْ مْعَــاوْنِــــــينْ
تْوَضَــاوْا وْصَلاَوْ عْــادْ جَبْدُوا الْعْشَـا وَبَعْدْهَــا تْرَايَا وَايْقَسْمُـوا لِيلْهُــــــمْ
عْلَى الْعَشْا مَا بِينْهُمْ ، بَالْمَشْخرَا ضَرْبُو الْعُودْ ، عَاوَدْ ثَانِي ضَرْبُوا الْعُودْ
وْبَانْ شْكُونْ اللُوّلْ أُوشْكُونْ الثَّانِي ، وْجَا الْعُودْ فَ : التِّيجَانِي
وَخْرَجْ مَنْ الْكَيْطُونْ يْدُوزْ نُوبْتُو ، يَحْرَسْ بَالْجَدْ رْفَاقْتُو ، بَاشْ يْدُوزْ وَقْتُوا ؟ وْبَاشْ يْتُونَّسْ ؟ صَابْ صْنِيعْتُو ، صَابْ جْدَرْ دَالْعَرْعَارْ غِيـرْ مَرْمِي وَطْوَلْ مَنْ طُولْتُو ، اجْبَدْ أدْوَاتُو وْزَادْلُو ، يَنْقَشْ وِيـدَقْدَقْ وِيمْرِي بَالْمْلاَكْيَا ، وْكَانْ مَسْكُونْ مْعَا الصَّنْعَا مْخَلْخَلاَلُو الافْكَارْ ، وْلاَ ابْحَالُو صبَّارْ ... صَانْعْ نْقِي .. وَنْقِي ... وَمْعِيشْتُو مْعِيشَا مَرَّا .

عَسْ سْوِيعَـــاتـــو كــَامْلـــينْ   وَنْحَتْ قَــامَا تَسْبِـــي الْعِـــــينْ

مْــــرَا خُمْــــرِيًّــا كَامْــــلاَ   وَقْفْهَـــا وَقْفــــا صَــايــــلْاَ

وَمْشَافَيَّقْ مَنْ نُوبتُو يَعَسْ ، وتَكَّا فَفْرِيْشُو نْعَسْ وَالـتَّاجَرْ مَنْ حِيـتْ شَافْهَا ... اجْمْدَ فِيـهْ الـدَّمْ ، أُوفْهَى ، وتْرَاجعْ دَغْيَا وْعَرَفْهَا ، دَاتْ مَنَ الْعَرْعَارْ صَنْعْهَا دَاكْ الْجَنْ ، وبْدَ يْخَمَّمْ أو يتْمَكَّنْ ويَعْدْهَا مْشَا كَايَجْرِي لَصْنَادْقُو ، جبْدْ قَفْطَانْ خَضَرْ دَا الْمُوبَرْ وْقْمِيص مَنَ الْحْرِيرْ وَالسَّبْنيًّا وَزْوَاقْهَا مْشَجَّرْ ، وَسَقْلَهَا كْتِيرْ وَالْعَبْرُوقْ أوعَصَّابتُو دَالاوبَرْ وَالشَّرْبِيل الْكْبِيرْ لَبَّسْهَا .. نَبَّتْهَا .. وزَيَّنْ لْهَا .. خَلاَّهَا فِينْ صَابْهَا لَلتَّبْهَارْ ، وفَيَّقْ الْبَاعْمَرْ ، بَنْ الزِّينْ يْعَسْ النُّوبَا ، ويْلْقَى لَمْرَا

★★★

فْهَــــــا فِيـــهَا يَافَاهْمِـــــينْ   دَارَتْ بِـــهْ الدَّنْيـــا فْ : حِـــــينْ

زَكَّا رَاسُو دَغْيَا وْزَادْ لِيهَا وَخْزَرْ فِيهَا مْلِيحْ ، طَيَّرْ سَبْنِيتْهَا الرِّيحْ وَعْلَى رَاسُو غَادِي تْطِيحْ ، غُمَّاتُو ، فَزْعَاتُو ، وهْوَسَاتُو ، وَقْلَتْ لِيهْ الرَّتَاجْ زَادْ تْفَاكَمْ لِيهْ الْمْزَاجْ

أُو مَنْ هَاذِي مُحَالْ وَاشْ بَاقِي يَفْلَتْ

اتْلاَحْقَــــاتْ فِيـــهْ انْفَــاسُو   وَطَـــاحْ فَ : الْوَطَا كـــــــايَلْهَتْ

لُوكَــــانْ شَاهـــدُوهْ وَنْــاسُو   مَسْكـــــينْ كِيـفْ كَايتْمَــــرَّتْ

اشْحَــــالْ عـــادْ عَرَّا رَاســــو

وَمْنِــينْ شَافْ فَ : جْنَابُو صَابْ امَامَنْ شَـلاَخْ الْعَرْعَــارْ   الْكْبَارْ أُو الصْغَـارْ

ابْحَــالْ مَنْ جَــاهْ أُومرْمَقْ لُـــو وْعَرفْ الْجرَا

عَادْ وَلَّ عَنُّو لَغْيَا وْعــادْ مَسْكــينْ انْهَـــارْ   وْعَاوَدْ ارْفَعْ الابْصَارْ

بَاشْ يَنْظُرْ هَاذْ الْخَشْبَا وْجَــاتــو حكــــرَا

كِيــــفْ حَتَّى يَتْفْزَعْ بَالْخْــــوَا وْهــو عَيَّــــارْ   مَا بْحَالُو عَيـــارْ

وْبَاشْ مَنْ كِيدْ يْرَدْ الصّاَعْ بَالَفْ عبْرَا

بْدَا يْخَمَّمْ كِيفَاشْ وْبَاشْ خَصْ يَاخُذْ بَالثَّارْ		مَــنْ خْسِيــسْ التّْجَــارْ

عْلَى اللِّي مَا خَبْرُو وتْخَانْفَاتْ فِيهْ الْحَسْرَا

وْبَعْدْ سَاعَا ضَرْبْ كْفُوفُو الارْضْ ضَرْبَتْ تَطْهَــارْ		تِيمُّمْ بَاخْتِصَــارْ

وْدَارْ لَلْقَبْلاَ يَرْجَا خَالْقُو عْظِيمْ الْقَــدْرَا

وْغِيرْ كَبَّرْ وَسْجَدْ سَجْدَا سْمَعْتْ عَطْسَــا بَجْهَــارْ		احيَاتْ بَنْتْ الْعَرْعَــارْ

وْغِيرْ سَلَّمْ طَاحَتْ بِينْ يدِيَّهْ عَذْرَا سَمَــرَا

كَــالْ لِيهَا نَبْغِيكْ تْفِيقِــي عْدِيمْ الْيَضْمَــارْ		أُو الدِّيــبْ النَّجَّــارْ

وْغِيرْ فَاقُو شَعْشَعْ لَحْمَاقْ فَ : الاثْنِينْ بَمْرَا

شْكُــونْ مَنْ حَقُّو يَاخُذْهَا مْنَ اثْلاَثَا يُذْكَــارْ		وَاهْيَــا هَلْ الافْكَــارْ

يَــالْوَدْ بَايَاهَلْ لَعْلُــومْ نَعْمْ الْقُرًّا

قَــالْ مُحَمَّدْ بَنْ الصّْغِيــرْ وَالسّْلاَمْ فْ : الاشْعَارْ		عَمْ سَــايَرْ الابْــرَارْ

وَالْجْوَابْ يْصِيبُوا مَنْ رَادْ فَ : "الْبْيَاتْ الْعَشْرَا"

اللازمة:

هَــاذْ هِيَّ ، مَا هِيَّ غِيرْ مَنْ جْذَرْ دَالْعَرْعَــارْ		نَحْتْ مَاهَرْ عَيَّــارْ

دَمْ وَلْحَمْ رَجْعَتْ وَحْيَــاتْ وَلَّاتْ مْــرَا

شغل هذا السؤال الكثير من الناس مدة ليست بالقصيرة ، بل وجدتهم في حضيرة الملحون عندما التحقت بها في الاربعنيات ، لا يزالون يرددون : "شْكُونْ مَنْ حَقُّو يَاخُذْهَا" تماما كسؤال من سبقت الى الحياة البيضة أم الدجاجة ؟ ولقد قال عبد الواحد العصفوري لشيخنا الجليل سيدي ادريس متضاحكا فكر معنا ياسيدي ، من أحق بهذه المرأة من الثلاثة ؟ فقال له سيدي ادريس : ولماذا تريدني أن أفكر في شيء ما كان ، ولن يكون ؟ فقال العصفوري والبيضة فالدجاجة ؟ فقرأ سيدي ادريس قوله تعالى : "وجعلنا من الماء كل شيء حي ...."

وبصرف النظر عن الفكرة التي قامت عليها هذه القطعة الادبية الدارجية ما دمنا لم نعثر حتى الآن عن الابيات العشرة التي تحمل الجواب ، بل ولا نعرف حتى هل هي سرابة من عشرة أبيات ؟ أو اعروبي في عشرة أبيات ؟ أو أنها عشر ة أبيات من قصيدة ما من قصائده؟...

بصرف النظر عن الفكرة ، يبقى الابداع كمرآة ساطعة تظهر فيها بجلاء مدينة الصويرة على عهد السلطان المقدس ، مولانا الحسن الاول تغمده الله برحمته .

في النحت "مَنْ غِيرْ صْوِيرِي مَايْطَوْعْ اجْدَرْ دَالْعَرْعَارْ الْهْشِيشْ ، كَا يَصْنَعْ بَالْعَرْعَارْ شِي عْجَايَبْ تَبْهَرْ جَمْعْ الْعْقُولْ

الصناعة التقليدية ، الحضارة ، الرواج ، الفرص المتاحة ، الطموح الذي لا تضيع معه الفرص

... كَانْ مْجَادْلِي بوفْ كُلْ افْرَاحْ مْوَاوْلِي ، وتْجَرْ دَغْيَا دَغْيَا غْنَاهْ أَتَايْ وْصَارْ مْنَ الـلْبَابْ ، يْبِيعْ وِيشْرِي فَ : الثْيَابْ .

وذاك الوصف الجميل النبيل لدعابات أويقات المرح وسويعات الانس ، وذاك التشخيص الدقيق للحظات الفزع المفاجىء والروع المباغت .

أَتلاحْقَـــــاتْ فِيــهْ انْفَــــاسُو وْطَـاحْ فَ : الْوْطَــــا كَايْلَهْتْ

ورحابة الترحيب ، وكرم الضيافة ، ودفىء التآلف .

"يْجِي حَتَّى الْعَنْدْنَا ، أُويَدْخُلْ فِي وَسْطْ جَمْعْنَا ، وَحْدَاهْ نْهَرُّوهْ لِيهْ

على كل حال ربما لا يستغني من يؤرخ للصويرة ، أو يترجم لها عن شعر محمد بن الصغير الصويري ... لانه يأتي من قلب أحياء الصويرة وأسواقها وبيوتاتها ...

وسوف يأتي معنا ذكر بن الصغير مرة ثالثة ، عندما نعرض للهجاء ونتناول من ضمن ما سوف نتناول فيه ، تراشق "فن الرزْوْن الصْوِيرِي" أما الآن فإلى لمسة أخرى من لمسات الثقافة العالمية في الملحون إنه الموضوع الذي قامت عليه "رسالة الغفران .. لابي العلاء المعري ، و "الكوميديا الالاهية" ل :دانتي ، موضوع ما بعد البعث ، والحشر والحساب .

وقد سبقت الاشارة الى أن "الترجمة" لا تكون فقط في "النثر الفني السوسي" وإنما تكون أيضا في الشعر العمودي "لبيت" وفي "مكسور جناح"

وهذه المرة مع "لَمْرَمَّا الثّلاثِيًّا" من الشعر العمودي الموزون المقفى

كَانْ رَاجَلْ مْعَا مَرْتُو فَ : الدُّنْيَا عَشْــــرَانِي تَـابْعِينْ الشِّيطَـــــانْ

لاَ صـــــلاَ لاَزَاكَا لاَ صَوْمْ عَايْشِينْ عْلَى الْمُنْكَـــرْ

ويصف هذا "المنكر" في أبيات ، فيصور بيت الزوجية لهذين الزوجين وقد تحول الى حانة خمر وقمار تقع فيها من القاذورات البشعة ما يجعل الشرفاء من الناس يتمنون إحراقهما في الدنيا قبل الاخرة .

ونحن نترك كل ذلك الوصف ، لننتقل مع الشاعر الى حيث يقول

نْهَارْ مَاتُو هَادُوكْ بْزُوجْ يَا الفَاهَمْ تَمْكَــــانِ   خَلاَّوصَبِـــي عَرْيَـــــانْ
كَانْ خَادُو رَجَلْ مَسْكِينْ حَايْزُو عَنْدُو فْ : الدَّارْ

وينشأ الطفل اليتيم في بيت صلاح وورع ... ويحفظ القرءان الكريم والاحاديث الشريفة ، ويتعلم من العلوم ما يصلح الحال والمال ... ويفتح الله عليه ... فيصير من السبعة بالصفات السبع .

اقْـــرَا الْقُرْءَانْ تْفَقَّهْ فِي عْلُومْ دِينْ الدَّيَّـــانِ   بْـــدَا يْقَرِّ الصَّبْيَـــــانِ
وْكَـا يْحَدَّثْ وِيوَاعَظْ فْ : الْعْبَادْ وِيرَتَّلْ الاسْوَارْ

وهنا يقف وقفة خاشعة أمام فضائل القرءان ، وأسرار القرءان ، يختمها بقوله :

نُورْ رَبِّي فْ : قْلُـوبْ الْمُومْنِينْ سَــرُّو رَبَّانِي   بِهْ تَصْـلَحْ الازْمَــــانْ
عَزْنَا فْ : الدُّنْيَا وَفْ : الاخْرَى ايْنَجِّي فْ : الْمَحْشَرْ

ونفخ في الصور ، وانتهى كل شيء وقال الله ولا شيء معه : "لمن الملك اليوم؟ "ليجيب عن سؤاله بنفسه جلت قدرته وتعالت عظمته : "لله الواحد القهار "

ونجد نا مع الشاعرالفيلالي فيما بعد البعث

جَا انْهَارْ الْمُوقَفْ لَعْظِيمْ وَالرّْجَالْ أونَسْوَانِي   شَـــاخْصِينْ بْ : الاعْيَـــانِ
فْ سَـــايَرْ الانْبِيَا وتَبْـــاعْهُمْ شَلاَّ رَاتْ عَيْـــانْ

وينتهي يوم الحساب ، وتمتلىء الجنة بأهلها والنار بأهلها ... ويحدثنا الشاعرعن الشاب حافظ القرءان الذي نشأ في عبادة الله ، وهو يمرح في الجنة بين الحور :

فْ :حِـــينْ نَادَاتْــــو حُورِيًا وْقَـــالَتْ لُو أيَا "بَانِي" يَا السَّاكَنْ لَجْنَـــانِي
رَاه يَمَـــــاكْ امْعَا بَابَاكْ حَارْقَاهُمْ نَارْ الْحَـــرْ

ويضحك الشاب من قولها ، ويشير الى الاسرة التي تبنته ، وهو يحسبها أسرته الحقيقية . وتتغاضى الحورية عن ضحكه وتؤكد :

ابـــــاكْ فِي أَشَدّْ الْحَالاَ ، أمَّكْ فِي شَرّْ امْحَانِـــي فِي غمُوقْ النِّيـــــرَانِ
وْسُوْلْ اللِّي ربَّاوَكْ بَالاثْنِينْ يَعْطِيوكْ لَخْبَرْ

ويستفسر عن جلية الامر .... ويأتي الجواب مصدقا لما قالته الحورية :

كَاللُّو لَوَاهْ أَوْلْدِي البَّاكْ وَسْطْ النِّيـــــرَانْ امْعَـــا امَّكْ فَ : التَّمْحـــــانِ
مَا احْنَا الاَّ رَبِّنَاكْ يَالْمَحْبُوبْ مَنْ صَغْــــرْ

وْمَا كْرَمْنَا رَبِّي إلاَّ عَلَىْ الْخِيرْ أُو الاحْسَانْ اللِّـــي اعْمَلْنَـــا بَتْنَـــــانِ
انْهَارْ مَاتُو وَحْسَنَّابِكْ فِي مْعِيشْتَ دِيكْ الــدَّارْ

وتقترح المحسنة على الشاب حامل القرءان ، أن يتشفع لوالديه عند الله ويتوسل إليه بالقرءان الكريم ...

زَاوْك فْجـــُودْ اللَّهْ عْلَى البَّاكْ ومَّكْ بَاثْنَـانْ بْجــَاهْ حَـــقْ القرْءـــــــانْ
مَا يْخَيَّبْ ســــَايَلْ رَبِّي كْــرِيمْ يَسْمَحْ أو يَغْفَرْ

ويتوسل الشاب الى ربه الكريم أن يعتقهما من النار ويدخلهما الجنة برحمته ويقول الله : لك أن تخرج أحدهما ... وعليك أن تختار ... ويمضي الشاب الى حيث النار ... ويقترب منها ... فتبتعد عنه . ثم يقترب منها فتبتعد عنه ، وخازن النار في حيرة مما يجري ... لا الشاب تراجع عن النار ، ولا النار التهمته ... ويعلق الشاعر على المشهد :

"حِيثْ مَاشِي مَنْ أَهْلْ النَّارْ كَاتْبَعَدْ بْلْعَانِي" ويتساءل هو أيضا فِي حِيرة لَكِنْ يَا إخْوَانِي بَاشْ عَرْفَاتُو ؟ أَمْرْ غْرِيبْ بَايْنْ يْحَيَّرْ الفْكَرْ

ويفترض افتراضات :

وَاشْ شما تُوصَابَتْ رِيحتُو رْوَايَحْ الْجِنْــــانِي ؟ أوْ هـــــوَ نـــُورَانِـــــي ؟
غِيرْ بَالشُّوفَا عَرْفَاتُو ، وْكَاتْشُوفْ بْغِيرْ بْصَــــــرْ

ويأتي الامر الالاهي بالسماح للشاب بأن يدخل النار ليخرج منها من يختار من أبويه ...

ويبدأ في البحث عنهما ... وتثير انتباهه بعض الوجوه من أصحابه ومعارفه كان يحسبها في الدنيا "وْجُوهْ الْجَنَّا" ولكن سرعان ما نسيها في غمرة البحث عن أبويه ... وأخيرا يجد الام ... ويعرض عليها أن تخرج ... لكنها تمتنع :

سِيرْ خَرَّجْ بُوكْ أَوْلْدِي اشْحَالْ قَاسَا لَمْحَـــانِي   عَلَّ اللُّقَما وَاحزَانِـــــــي

وَاللِّيَـــالِي وَهْرِيدْ الْمَا فْ كُلْ لِيـــلْ وْكُلْ نْهَـارْ

اشْحَالْ مَنْ مَرّاً كَانْ مْرِيضْ ويمْشِي جَسَمُو فَانِي   كَا يْعَانِـــي وِيِنَـــانِـــــي

بَـــاشْ يَاتِي لِنَا بَالْقُوتْ مَا تْخَلِّيهْشْ فَ : النَّـــارْ

وينزل عند إرادة والدته ، ويذهب للبحث عن والده ... ويجده ويخبره بما دار بينه وبين أمه ، ويعرض عليه أن يخرج معه ... فيأتي هو أيضا :

امِّيمْتَكْ يَاوَلْـــدِي لِيهَا جْرِى عْلِيكْ الرَّضْـــوَانِ   حَـارْقَاهَا النِّيرَانِـــــي

جْـرِي عْتَقْهَا عَنْدِي هِيَّ اوْلاَ بْجَنَـاتْ الرِّضْـــوَانْ

يَاكْـــدوّرْتِي تَسْعْ شْهُورْ فُوسْطْ بْطَنْهَا فَانِـــــي   وَالدَّهْرْ عَـاوَدْ ثْـــانِي

وْمَا رْضَعْتِي مَنْ بَزُّولَة حْلِيـبْهَا صَافِي الاعْيَـــارْ

ويحتار الشاب بين والدته ووالده ، ويلجأ مرة أخرى إلى ربه الكريم ويرحم الله ضعفه ، ويتكرم عليه بعتقهما معا .. وفي طريقه بهما الى الجنة ... يتكره أهل الجنة ، من روائح النار التي تفوح منهما ... ويأتي الامر الالاهي بغسلهما في "واد الكوثر" سبع مرات ... ومرة أخرى يقع نظره بالصدفة على أناس كانوا في نظر غيرهم كفرة فجرة لا مآل لهم إلا النار ...

وبعد ... إذا سلمنا بأن الفكرة التي قامت عليها قصيدة بن الصغير تسربت الى مدينة الصويرة ... من تجار الشواطئ ، الذين كانوا يجوبون البحار المغربية جيئة وذهابا - وللفنيقيين آثار لم تزل قائمة بالجزيرة الى الآن - أو تسربت من القوافل التي كانت تمر بالصويرة سواء تلك التي تمضي من الشمال الى الجنوب ، أو تلك التي تأتي من الجنوب الى الشمال ، أو جاءت مع أفواج اليهود الذين تساكنوا مع المسلمين ، بل فاقوهم عددا في بعض الفترات ... إذا سلمنا بشيء من ذلك ، فإننا لا نسلم أبدا بأن الفيلالي بن الفيلالي قد جاءته الفكرة من هذه الجهة أو تلك ، أو بهذا السبب أو ذاك .

فهو بالتاكيد ما قرأ : "الكوميديا الالاهية لدانتي - ولا سمع عنها ... لا ولا أطلع على "رسالة الغفران" للمعري ، ولا بلغه خبرها ... فالمسار غير المسار ، والطرح غير الطرح ، والقصد غير القصد ... ولا أثر فيها لاية أيديولوجية ، وما قلت عنها أنها لمسة من الثقافة العالمية ... إلا لان الشاعرالممتاز ... قد تصل إبداعاته الى مستويات عالمية ، وهو ما برح قريته أو : "كصره" ، فالانسان الممتاز ، ممتاز في أي زمان ومكان ، وبكل لغة ولسان .

فلقد كان قصد القصيدة في بادئ الامر ، ترغيب الآباء في تعليم أولادهم القرآن ، كما تفهم من بيت القصيد ، أي اللازمة أو "الحربا"

يَاللِّي عَنْدُو تَرِّيكَـــا حَـــــلاَلْ تَقْـرَا الْقَــــرْآنِي   رَاهْ فَضـــلُو فَضــــــلاَنِ
فَضْلْ فَ : الدُّنْيَا وَفْضَلْ الاخْرَى اكْثَرْ يَاهَلْ لَفْكَرْ

ولا شك عندي أن هذا البيت هو أول ما خطر بباله ... وبشيء من التأمل فيه رأى أن عليه أ ن يبين بعض أفضال القرآن على أهله في الدنيا ، ففعل وأوضح أنه يصلح الحال والمال ، ويصلح ما فسد في الزمان وييسر العيش النظيف، ثم رأى أن يوضح بعض أفضال القرءان في الآخرة ... فحاول ... فإذا به في هذا السياق ... فاستمر فيه وانساق معه الى النهاية ولكانني بالقصيدة كلها ماقامت إلا على تداعي الافكار و الفكرة عن الفكرة من بدايتها الى نهايتها ، وهي في مجموعها لا أثر فيها لاي لغم .. ف : الشاعر مثلا لم يجد في الجنة أصحابه ، وفي النار خصومه ... بل وجد العجب ، وجد في النار من كان بعض الناس يعتقدون فيهم الخير ، ويرون أنهم من أهل الجنة ، ووجد في الجنة العكس تماما ...

ثم أنه جعلنا في بداية القصيدة نتكره من الابوين ، ونشمئز من مآتيهما وفي نهايتها نتعاطف مع الشاب ونتمنى أن يعتقهما الله من النار بفضله ، وان يدخلهما الجنة ورحمته .

بل وفرحنا له ولهما بالخروج ، ثم فوجئنا معه بتكره أهل الجنة لروائح أهل النار ، وأصبحت القضية وكانها قضيتنا ، أو على الاقل هكذا تكون مع هذه القصيدة ، ونحن نستمع إليها بأصوات فيلالية شجية رخيمة ، وبإلقاء معبر يوصل المعنى الى أعمق أغوار النفس ...

حسبنا هذا القدر من "الترجمات " والحديث عليها ، بل حسبنا هذا القدر من الحديث عن الاغراض ، لان معظم شعر ما تبقى منها ومعظم نثره ... هو للمتأخرين ، وسوف نفتتح به الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله .. لنبني حاضر الملحون على أسس ماضيه ، ولنؤكد على أن الصلة بين حاضره وماضيه هي صلة وصل ... لاصلة فصل .

الفصل الثالث

البديـــــــــع
فـــي فنـــــون الملحـــون

※ البديع في فنون الملحون ※

إن إشغال الفكر بالبديع يكاد يكون ضياعا، لان عهد البديع ولى وانقضى ... ولكن هذا لا يعني أن الكتابة عنه وخاصة في الملحون هي عديمة الجدوى ، لاسيما إذا علمنا أن البديع ، كان الى الامس القريب قد سجل في الادب الشعبي من التحف الرائعة ما الله به أعلم ، وأرى أن لا أغفلها في هذا الكتاب . وأن النقاد العرب قد أسهبوا في الكتابة عن بديعيات الادب العربي ، سواء في المشرق أو في المغرب في حين بقي بديع الملحون في زاوية النسيان ، ولذلك احببت أن يطل القارئ ولو إطلالة قصيرة على هذا الجانب الذي كان في وقت مضى مهما بالنسبة للابداعات الملحونة .

ولقد عرف الملحون كل المحسنات اللفظية والبديعية بدون استثناء وسنتناولها جميعا في هذا الفصل ، ولو بنفس الاختصار الشديد الذي تناولنا به الجوانب الاخرى

التضمين

ضمن أهل الملحون شعرهم بعض الآيات من القرآن الكريم ، يقول مريفق في الحسناء التي يرمز بها الى "العروبة" ، وقد جاءتنا من شبه الجزيرة العربية ممتطية صهوة جوادها ، تماما كما وصفها "بجيوات" في قصيدة : "الضيف"

مَكْتُوبْ عْلَى جْبِينْهَا : "أَلَمْ نَشْـــرَحْ"   وَحْــرُوفْ الزِّينْ شَرْحْ وبْكُلْ فْصَاحـــا

سَعْدْ اللِّي حَبْهَا بْقَلْبُو : "قَدْ افْلَـــحْ"   يْنَامْ افَرْحْتُو عْلَـــى جَنْبْ الرَّاحـــا

هذا عن التضمين الحرفي ... أما تضمين المعاني ، فحدث عن البحر ولا حرج .

استوحى السي التهامي من قول الله عز وجل : "والتف الساق بالساق" قوله :

"وَالْتَفْ السَّاقْ مَنْ الْفَرْقَا بَالسَّاقِي   ورْجَايَـا فَالْجْلِيـلْ لَكْـرِيمْ البـــاقِي

ووظف المشهد القرآني للكيفية التي غرق بها فرعون :

"رْمَانِي فَـ : الْبْحُورْ وَجْمَعْ لَمْلاَقِي"

وضمنوا شعرهم أمثال سائرة .. اقرأوا هذا المثل البدوي ، وقد تكرر عند مريفق في أكثر من قصيدة :

هَاذُوكْ يْضَايْفُوكْ يَاوَلْدْ الْعْرِيـــــفْ ؟   مَا فِيهُمْ غِيرْ : فُمْ صِيفْ وكْلَبْ خْرِيفْ"

وهذا المثل ... وهو أيضا من البادية ... "الصبْعْ لَعْوَجْ مَاوَاتَاوَهْ الْخْوَاتَمْ"

وقد سبق تضمينه في لامية العلمي ... بل ضمنوا شعرهم بعض الامثال العربية ... وأيضا مريفق في الحالية "

كُلْ مَنْ قَالْ مَنْ مْطِيرَا مْلِيتْ لَمْـــــرَاسْ   قُلْ صَدَقْتْ حـــدَامِي" وْلاَ تْعَــــاكَسْ

وعند لعميري في أول الاغراض

في "حيصـــــا بيــــض" ليس نَفْعَاتـــو حيـــلاَ

التجـــــــريـــد

يجرد الشاعر نفسه من المسألة ، ويتحدث بضمير الغائب ، كما لو أن الواقع ليس واقعه ، وإنما هو واقع غيره ، فإذا اطمأن الى أنه أثار انتباه المستمع ، وأنه اهتم بالمسألة الى حد أن اندمج معه فيها وانفعل بها ، وبدأ يتعجل النهاية ... حينئذ فقط ... يقول له : "أنا المعني بالامر"

نجد مثل هذا التجريد عند "التهامي لمذغري "في "طالق المسروح مثلا" ، استعمل ضمير الغائب لا في المقطع الاول .. ولا في المقطع الثاني :

ديمــــا مْدَامْعُـــو مَجْرِيــــاً   تَجْـرِي علَـى الْخْدُودْ سَخْيــــاً

أَلِيعْتُو .. وتَزْلاَعو .. ودْمُوعُو .. وكَيْتُو ووَجْاعُو .. وفْرَايْحُو وسْهَرُو ، ومْحَانُو فَـ : الْهْوَى وعْشَقُو ، واشْوَاقُو وَالشْغَابْ .

وَالـتَّلْحَاحْ أوتَقْطِيــعْ خَاطْرُو ، ولْهِيبُو ومْحَاوْرُو وفْقَدُو ، وغْرْبْتُو .والـنْوَاحْ وَحْدُو مثْلْ الْمَلْيُوحْ بِينْ الْعْدَا ، منْ تَخْمَامُو ... مْعَا غْرَامُو .. طَارْ منَامُو .. منْ نْيَامُو .

هَايَمْ مَهْمُومْ منْ هْجَرْتُو نَايَحْ ، يْشفِّي الــــنْصَارَا ولاَ مثْلُو حمَامْ فَـ : الـــتَّنْوَاحْ منْ فَقْدْ لاَ مْتُو مَجْيُوحْ .. فَـ اللّيْل وَالنْهَارْ يْغرّْدْ مَسْكِينْ مَا يْصِيبْ الصبْرَا منْ اللّي تْقَاطْعُو الارْيَاحْ .

☆☆☆

نَــــارُو افْخَاطــــرُوا مَكْـديــاً   فِـــي قَلْبْ مُهْجْـتُو مَكْمِيــــاً

وَحْدُو عْلَى اجْمْرْ يتْكَلّبْ ، فَاني علَى اللْهِيبْ مْصَلّبْ ، بمْحَاوْر الْجْفَا متْعَذّبْ قَلْبُو هْمِيمْ .

هَايَمْ وَالَهْ عَطْشَانْ .. منْ فْرَاقْ احْبَابُو ولْهَانْ .. حَالْتُو عدَّاتْ اليرْقَانْ ، مَا يْطِيقْ صدُودْ الْهُجْرَانْ .. وقْتْ مَا يتْكَلّبْ ، يُوقَعْ في غْيَارُو .. منْ تَمْرَارُو قْوَا كْدَارُو .. فُوقْ اسْيَارُو .

مَا يحَنْ ولاَ يشْفَقْ .. مَا يرُوفْ ، ومْصَمّمْ يَا لَطِيفْ مَا يطْلَقْ سرَاحْ مَا دَارْ دُونْ : دُونْ الرُّوحْ . قَلْبُو منَ الْحجَرْ وَالْهَنْدْ وصْمْ أوحْدِيدْ زَادْ قْصَاحْ

فإذا كان المقطع الثالث يباغتنا بقوله : "شللا نصيف صاير بي" أي أنه يصف حاله هو ... وليس حال غيره .

ونجد مثل هذا التجريد عند الحاج ادريس ، في مثل قصيدة زينب :

أهْ علَى مَنْ شَافْ ونكْوَى بَالجمرْ اللَّهَّـــابْ   مَنْ نارْ الْخدّْ الْمنِيـرْ كَيْ علَـــى
جَـرْحْ صنْعِيـــبْ

جَـــرْحْ بْسِيـــفْ سقِيـــلْ عنْترِي مَسقـــوُلْ مهَدَّبْ

اَهْ علَى مَنْ كَانْ شُوفْ عيْنُو لَبْـــلاَهْ سبَبْ   وَلاَ صابْ اَشوُمْ لِيعتُو دُونْ الْوَصـلْ
طْبِيـــــبْ

وَالْهَاجرْ خَلاَّهْ رَايْحْ وقَـــــايَمْ يَتْـعَذَّبْ

اَهْ علَى مَجْرُوحْ جَايْحْ ونَايَحْ عنْدْ الْبـــَابْ   دَمْعُـــــو فُـــوقْ الْخَـدْ مَا فتْـــرْ
مثْلْ الْمَطرْ سكِيـــــبْ

يَشْبَهْ قَيْسْ فْ : حَالْ غُرْبْتُو مَفْقُودْ مغْرَبْ

فهو حتى الآن لا يتحدث إلا بضمير الغائب ، وأن الآهات الثلاث التي افتتح بها الابيات الثلاثة كانت وكأنها عن غيره ، فإذا ما اطمأن إلى أن المستمع بدأ يهتم بالقضية ... وبدأ يتساءل : من هو هذا التعس الذي عاش هذا الواقع ، سارع الى القول في البيت الرابع :

حَالِي مَنْ حَالُو ولاَ يْشَـــــابَهْ لِـــيْ فَ : عذَابْ   مَنْ فكّْ اللِّي حبْهَا تْركْنِـــي نَحضَرْ ونْغِيـــــبْ
ضَبْيَا تلْعـــبْ بَ : الاسدْ لَعْبْ الْخَمــــرْ بَ : اللُّبْ

هذا هو التجريد كما تعارف عليه شيوخ الملحون الاوائل ... بل وكما عرف به ناقد عربي كابن كثير في كتابه "المثل السائر" وهو ـ في نظر شعراء العصر من أمثال عبد المجيد وهبي ، وبوشعيب مجبور وأمثالهما ـ تجريد شكلي متجاوز ... إذ التجريد الحق هو تجريد معنى الصورة من الصورة نفسها ، وعرضه للناس على حدة . تجريد المضامين من أشكالها وطرحها بمفردها .تجريد الاحاسيس من الاحساس ، تجريد المشاعر من الشعور ، تجريد الخلجات من الاعماق التي تختلج فيها ، ومحاولة استخراج كل ذلك من قلب ظلمات أغوار النفس ، ونشره في العراء ، تحت أشعة الشمس

والحق أن بعض شعراء العصر ـ وسنتعامل معهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله ـ نفذوا الى المرثيات وعادوا

منها بمشاهدات ، فهم لا ينظرون بالنظر بقدر ما يبصرون بالبصيرة ..

فالمنظورات عندهم إذا لم تفضي الى مشاهدات ، فهي لا تستحق أن ينظروا إليها ... ألهمهم الله الى ما يحبه ويرضاه ، فلقد زودوا الملحون المعاصر ، بكل ما يمكنه من البقاء في محله الرفيع ، بين سائر الفنون المعاصرة ، كما كان في كل عهوده الزاهرة ، ولنعد الى البديع وكما كان في الماضي .

"الجناس" ويعرف بين أهل الملحون بالتجنيس .. وهو اللفظ المشترك أو بعبارة أوضح : أن يكون اللفظ واحدا ، والمعنى مختلفا .

فعندما يقول أبو تمام مثلا :

فأصبحت "غرر" الايـــــــام مشرقة

باليمــــين تضحك من أيـــــــامك "الغرر"

تكون "الغرر" الاولى استعارة من غرر الوجه ، و "الغرر" الثانية مأخوذة من غرة الشيء ، وكذلك عند ما يقول شاعرنا الكندوز :

مَاشَفَّكْ تَعــــــــــدَّابِــــي وْلاَ "مْحــــاَنِي"

سِيـــــفْ الْجْفَـــــا "مْحـــــــــاَنِي"

تكون "محاني" الاولى جمع محنة ، و "محاني" الثانية : لم يترك لي أثر .

وعندما يقول البحتري :

إذا "العين" راحــــت وهــــي "عين" علـــى الهوى

فليس بسر مــــــا تسر الاضـــــــــــالع

تكون "العين" الاولى : العين المعروفة ، و "العين" الثانية "الجاسوس" ، وكذلك عندما يقول شاعرنا امتيرد :

"كْتَافِي" مَنْ الْهَجْرْ يَا شَـــارْدْ الْعْفَـــا خَفَّفْ حَمْلْ الْجْفَى اللِّي هَدّْ "اكْتَافِــــي"

وانْعَمْ لِي بَالسْرَاحْ مَنْ قَيْدْ "اكْتَافِي"

تكون "كتافي" الاولى بمعنى : كفاك ، والثانية بمعنى : كتفاي أما الثالثة فتعني قيدي

وهكذا أشرك "الجيلالي امتيرد "ثلاث معان في لفظة واحدة لم تتغير ، ولست أريد أن أطيل في الاتيان بالامثلة والنماذج ، إذ خير الكلام ما قل ودل .

وحسبي أن أسجل هنا : أن القصيدة التي تسمى بهذا الاسم : "قصيدة مجنسة" تكون جميعها مجنسة" ، ولا يخلو أي بيت من جناس ، أضف الى هذا أن الجناس في "القصائد المجنسة" يلزم أن يكون في آخر لفظة في الصدر ، وآخر لفظة في العجز هذا إذا لم يكن البحر ثلاثيا أو رباعيا ، فما فوق ، أما إذا كان كذلك ، فالجناس يكون في لفظة قافية كل شطر من الاشطار الثلاثة ، أو الاربعة ، أو ما فوق ، ذلك في حين ، أن الجناس في الشعر العربي يكون دائما حيثما اتفق ، وأينما تيسر ، هذا باختصار هو الجناس ، أو التجنس في الشعر الملحون ، ومن أراد المزيد فليراجع "القصائد المجنسة" - غاسق الانجال للكندوز راحة المهج للزفري - الهيفا للجيلالي متيرد - الهيفاء للحاج ادريس ، ومجنسات أخرى لشعراء آخرين .

"التلزيم" إنه لزوم مالايلزم ، ولابي العلاء المعري فيه صولات وجولات وكذلك الحاج أحمد الغرابلي في "مليكة" وبن سليمان في الرعد ، والعميري في "الغربة" والكندوز في أكثر قصائده وغيرهم كثير.

ومن أمثلة هذا النوع من البديع ، أعني لزوم مالا يلزم ، هذه الابيات من قصيدة مليكة للحاج أحمد الغرابلي :

ايلاَ وفَى مِيعــــــادَكْ

رُوحِي نْهِيبْ لَفْــــداَكْ

نَنْكِي اعدَايْ وَعْـــداَكْ

★✪☆

نَبْغِي تْوَدْنِي ونْـــودَّكْ

وَزْيَارْتِي اجْعَلْـهَا وِرْدَكْ

حَتَّى حْبِيبْ مَا هُوَ بْعَدَكْ

يَامَنْ قْوَامْ قَــــدَّكْ

مَرْهَافْ اسقِيلْ هَازَمْ اعدُوكْ

وِيحَدْ نَاسْ حَــــدُّوكْ

تلاحظون أن كل شطر من هذا المقطع ينتهي ب : "الدال" قبل "الكاف" فاذا كان في مقطع آخر يعوض "الدال" ب : "الراء" ويترك "الكاف" على حاله كقافية رئيسية ثابتة ويقول :

مْحَـــاسنَكْ وَسَـــرْاَرَكْ

فَتْنَة لْكُلْ مَــــنْ رَاكْ

وبْهَاكْ ليسْ يـــــــــدْرَاكْ

لاَ زَلْتْ أرْتَجِي بَشــــــارَكْ

يَاتِي لْمَنْزْلِي بَخْبَــــــارَكْ

وِيفِيـــــدْنِي بْصَحْ امـــزَارَكْ

وهكذا يمضي بالقصيدة من بدايتها الى نهايتها الكاف هو الكاف والحرف الثاني ، الذي يلازمه يعوض بآخر في كل مقطع .ومنهم من يلتزم بحرفين اثنين لا يتغير أي حرف منهما في كل القصيدة ، وذلك ما فعله أحد المتأخرين في قصيدة القلب :

الْيُومْ أَقَلْبِي رَايَدْ نْسَالَكْ

تَسْـــــــوَالْ مَنْ تْعَـــذَّبْ بْعَـــذَابَكْ يَالْقَلْبْ وَرْثْتْ لِـي لَهْـلاَكْ

لَلَّهْ احْكِيلِي شَايَنْ جْرَالَكْ

وَرْوِي قْصِيتَكْ يـَـا قَلْبِي نَصْغَـاكْ لاَ يَنِي مَا عَنـــــــدِي إِلاَّكْ

أَنَا الْمَمْلُوكْ أنْتَ اللِّي مَالَكْ

إِلَـــى سْعَدْتِـــي نَسْعَدْ وِيــلاَ نَبْلِيتْ لاَ غْنَا نَتْبْلاَ بَبَـــلاَكْ

شُوفْ لْجَسْمِي مَنْ حُرْقْتَكْ هَالَكْ

وَالْعَقْلْ يــَا قَلْبِي سَاكَنْ بِينْ الْكَـوَاكَبْ أو الانْجُمْ أو الافــلاَكْ

وَالدَّمْعْ فْ : خَدِّي شَاقْ مْسَالَكْ

هُــوَادْ مَنْ جْفُونِــي غَلْيَانْ تْقُولْ طَابْ عَنْ صَهْدْ لْهِيبْ صْـلاَكْ

ومن بديعيات الشعر الملحون كذلك "النشب" ، وهو أن يكون أول الشطر يبتدئ بآخر الشطر الذي قبله كما فعل بوزيان في قصيدة المحبوب.

اَمَنْ تْلُـــومْنِي شَعْلَتْ نـَـارْ ادْخَالِي	ادْخَالِي كَاوِي بْفَرْقَةْ الشَّمْــــلاَلْ
شَمْلاَلْ مَنْ فْرَاقُه لْعْقِيلْ مْشَـــالِي	مْشَالِي وَالنُّومْ ضَجْ مَنْ الانْجَـــالْ
الانْجَالْ عْلَى الْخَدْ دْمَعْهَا سَلْســـالِي	سَلْسَالِي يَهْوَى كْمَا الْمَطْرْ هَطَّالْ

أو أن يكون أول البيت يبتدئ ، بآخر شطر من البيت الذي قبله أو ما قبل الآخر .. مثل ما فعل "التهامي لمدغري "في قصيدة" فارحة" :

سَألْتَكْ بَبْهَاكْ يَالرَّايَحْ   مَالَكْ سكْرَانْ دُونْ رَاحْ
وَنَا عَقْلِي مْعَاكْ رَاحْ   "بَايَتْ مَنْ لِيعَةْ الْقْرَايَحْ"
سَاهَرْ وَالنَّاسْ رَايْحَةْ
"بَايَتْ مَنْ لِيعْتْ الْقْرَايَحْ"
عَقْلِي بَهْوَاكْ مَا ارْتَاحْ
وَنْبَرَّدْ غِيرْ بَاحْ اَحْ
"بِينْ التَّنْهَادْ وَالْجْوَايَحْ"
كَاوِي بَجْمَارْ لاَفْحَةَ
بَالشُّوقْ نْكَمّدْ الْجْرَاحْ
وَنْصَارَعْ دَقّةْ اللّمَاحْ "
وَالْغَالَبْ مَابْغَا يْسَامَحْ "
وَلاَ يَدْرِي امْسَامْحَةَ

وَالْغَالَبْ مَا ابْغَا يْسَامَحْ ... وهكذا .. سلسة أبيات متصلة الحلقات من أول القصيدة الى آخرها .

"أما التصريع" لا من ناحية الشكل ، ولا من ناحية المضمون ، لا تخلو منه اية قصيدة من قصائد الملحون على الاطلاق .

أقول التصريع" من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون لعلمي : إن التصريع من ناحيةالشكل ، هو أن تكون القافية من البيت في الصدر والعجز معا ، وعلى هذا قامت قصائد الملحون جميعها ، وليست في مطلع القصيدة فقط - كما هو الشأن في الشعر العربي ، وإنما في القصائد كلها - ومن أولها إلى آخرها ، ومن دون أدنى تكلف أو تصنع وهذه وحدها إن دلت على شيء ، فإنما تدل على سعة القدرة في أفانين الكلام عند جميع شعراء الملحون .

أما التصريع من ناحية المضمون ، ففيه مراتب منها :

أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه ، غير محتاج الى صاحبه الذي يليه .

مثال ذلك ، قول امرىء القيس :

أفـــاطم مهـلا بعد هذا التـدلل وإن كنت قد أزمعت صرمـي فأجمـلـــي

فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه ، غير محتاج الى مايليه ومثله قول : "عبد القادر العلمي" يناجي خالقه

بـــــابْ الاجـــابة عنْدَكْ مَا تْسَدْ بَقْفَـالْ

مْخـــازْنَكْ مفْتُـــوحَة لَلســـاعِي بْحَـــــالِ

ومنها : أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه ، غير محتاج الى الذي يليه ، فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به

كقول المتنبي مثلا :

الرأي قبل شجـــاعة الشجعـــان هــــو أول وهـي المحل الثـــــــاني

أو كقول المدغري :

يَا الْعَرْصَة صوُلِي ، صوُلِي بْطِيبْ الاطْيَابْ سَاكْنَكْ سِيدِي وَلْدْ السَّاكْنِينْ طِيبَــة

فالمصراع الاول في كلا البيتين ، غير محتاج للثاني في فهم معناه ، لكن لما جاء الثاني ، صار مرتبطا به .

على العموم ، التصريع بكل مراتبه المعروفة في الشعر العربي ، له نماذج كثيرة في الشعر الملحون ، بل ان قصائد الملحون جميعها نماذج له .

وهذه القصيدة لعبد القادر العلمي خير دليل :

يَـــالِّي قَلْبُه بَعْدْ زْيَانْ عَاوْدْ شيْـــانْ يَالِّي عدْتِي مَنْ شوُرِي حذْر نـــــافَرْ

يَـــاكْمَا دَخْلُواْ مَا بِنَاتْنَا الْعَدْيَـــــانْ يـــاكْ مَا عوَلْتِي مَنْ جَانْبِي تْسَـــــافَرْ

قْصَدْتْ شَاطْءُ نَهْرَكْ زَعْمَا نْعُودْ ريَّـانْ مْشَارْبَكْ نَدْيرِهَا وَنْعُودْ بِكْ ظـــــــافَرْ

احْسَنْتْ فِيــــكْ النِّيَّة وَقْـــرِيتْ فِيكْ الامَانْ حِيتْ كُنْتِـــــي تَاتِـــينِي كُلْ يُومْ زَايَرْ

الِيكْ حزْتْ اكْتَافِي وَحْيِيتْ بِكْ فَرْحَانْ عَلْ الْكَلْمَة وَالطَّـــاعَة مَا نْخَـــالَفْ أَمَرْ

حَاجْتَكْ نَقْضِيهَا دَغْيَا بْشُوفْ الاعْيَانْ مْعَنْتَـــكْ نَفْهَمْ دُونْ الرَّمْزْ وَالاشــــــايَرْ

الَى حَضَرْتِ تَحْضَرْ لِيَّ مْعَاكْ الادْهَانْ الَى تْغَيَّبْ نَدْهَلْ وِيغِيبْ لِي الْخـــــاطَرْ

بَاشْ نَطْفِي نِيرَانَكْ مَنْ صَمِيمْ الاكْنَـــانْ   وبَاشْ يَبْرَدْ مَنْ قَلْبِي حَرْهَا الزَّافَـــرْ

نَارْ حُبَّكْ مَا تَطْفِهَا مْيَاهْ وِيـــــدَانْ   وْلاَ تْحَدْ جَمْرْهَا مُوجَاتْ بَحْرْ زَاخَـــرْ

مْحَبْتَكْ يَشْهَدْ لِي بِهَا الإِنْسْ وَالْجَـــانْ   مَا بْقَا لِي مَا نَكْتَمْ بَحْتْ بَالسَــــرَايَرْ

جِيتْ نَكْتَمْ حُبَّكْ مَا فَادْ فِيهْ كُتْـــمَانْ   وْلُونْ نَكْتُمْ عَشْقِي حَالْ الْعْشِيقْ ظَاهَـرْ

لِيعَةْ الْقَلْبْ سَفُورْتْهَا فِي الْوَجْهْ تْبَـانْ   وَاللّْسَانْ يْخَبَّرْ بَالنَّعْتْ وَالاشَـــايَرْ

تْزُورْنِي حَتَّى يَشْرَقْ مَنْ ضِيَاكْ الْمْكَانْ   تْغِيبْ حَتَّى مَا يَبْقَى مَنْ بْهَـــاكْ أَثَـرْ

تْرُوفْ حَتَّى يَبْدَا حَالِي مْعَكْ يْزْيَـــانْ   وْجِيتْ تَهْجَرْ يَرْجَعْ سَعْدِي مْعَكْ خَاسَـرْ

الَى هْدَاكْ عْلِيَّ الرَّحْمَانْ يَالْغِيْضَانْ   رَدْ سِيفْ صَنْدُودَكْ لَجْوَاهْ يَالْقَـــاصَرْ

إلَى اخْطَاتْ ، أَوْ اغْلَطْتْ مْعَكْ يَا الفَتَّانْ   رَانْتَ قَطَّعْتِي قَلْبِي بْسِيــفْ بَـــاتَرْ

دَرْتْ مَدْحَكْ مَا بِينْ بَدْرُو أَرْضْنَا شَـانْ   كِيفْ يَفْخَرْ بَمَــدْيحْ الزِّيـنْ كُلْ شَـــاعَرْ

فْرَحْتْ سَاعَةْ زَرْتْنِي يَا هْلاَلْ الْمْكَـــانْ   بَتْ ذِيكْ اللِّيلَةْ مَنْ دُونْ خَمْرْ سَـــاكَرْ

نْكَدْتْ سَاعَةْ شَرَّبْتِنِي اكْؤُوسْ هَجْرَانْ   بَاتْ دَمْعِي فُوقْ خْدُودِي سْكِيبْ كَـاطَرْ

يَاكْ الْوُفَا والْعَفَّةْ مَنْ شْرُوطْ الاحْسَـانْ   وَالسْمَاحَةْ مَنْ بَعْدْ الْغْلَبْ طَبْعْ وَافَـــرْ؟

يَاللِّي مَا يْعْيَا لِي مَنْ مْدِيحَكْ لْسَـــانْ   وَاشْ تَعْذَابِي يَطْلَعْ لِيكْ فِيهْ الاجْــــرْ؟

هذه واحدة من عشرات الالاف ، من قصائد الملحون المبعثرة هنا وهناك فماذا في هذه القصيدة يا ترى ؟

لا جدال في أن فيها عاطفة صادقة ، وحرارة انفعال جد مرتفعة ، وتعبيرا عن هذا الانفعال كأقوى ما يكون التعبير. أضف الى ذلك التصريع الرائع الذي يتجلى في كل شطر من أشطارها ...

أعيدوا قراءتها يا أعزائي القراء ، لتلاحظوا أن ليس من بين أشطارها شطر واحد لا يظهر معناه كاملا الا ببعض الذي يليه أو كل الذي يليه كما هو الشأن مثلا في هذا البيت للمعري :

يغادر غابه الضرغام كيمـــــا   ينـــــازع ظبي رمـــل في كنـــــاس

يعتبر في عرف أهل الملحون رديء التصريع ، وأرد أمنه في فهمهم هذا البيت لبشار :

حـــــوراء ان نظـــرت اليك سقتـــــ ك بالعيـــــنين خمـــــــرا

ويعلقون عليه بقولهم : "ماكفاه تمزاق المعنى قطع الكلمة"

وخلاصة القول ، هي أن "فن القول" قد خضع لشعراء الملحون ، ودان لهم بالطاعة دون غيرهم ، فاستعملوه وأحسنوا استعماله .. لكن بالدارجة .. انما ماذا يضير الشعر والادب اذا كان بالدارجة أو بالسوسية ، أو بتمازيغت الشعر والادب ، هو الشعر والادب في أي زمان ومكان ، وبأي لغة ولسان ... هو :

هِبَةْ هـَاذْ الشَّعْرْ لَلْعْبَادْ وْهَبْهَا مُولَاهُمْ رَوْحْ وْرَحْمَةْ لَلْقْلُوبْ وَضْيَا نُورْ الافْهَامْ

بَرْدْ وْسَلَامْ أُونْسِيمْ فِيهْ لَلأَرْوَاحْ دْوَاهُمْ فِيهْ الرَّاحَةْ لَلنْفُوسْ لاَ تْحَاسَبْهُوهْ وْهَامْ

رحم الله السي اسماعيل ، لقد عرف كيف يعرف بالشعر ، في بيتين اثنين فقط أنها قصيدته "لمزركشة" تلك التي أعتبرها شخصيا لوحات رائعة من معرض الكون الهائل ، تحدث فيها عن البحر ، والليل ، والمطر والشعر ، والحب ، والحياة ، والناس والشقاء والبؤس ، وعن السعادة والهناء والامل ، واليأس .. و .. أشياء كثيرة ، لابد أن أطلع القراء عليها عند تناولي للشعر المعاصر إنشاء الله .

بقي أن أقول عنها أنها من لزوميات السي اسماعيل ، ولكان التلزيم ما خلق الا لها ... وأن تصريع أبياتها في منتهى الروعة ... وبها وبأمثالها من القصائد الخالدة ، كتب الخلود للشعر الملحون.

ومن بديعيات الشعر الملحون "السجع" أو التسجيع على حد تعبير أهل الملحون .

يقول التهامي المدغري في قطعة : "طالق المسروح" وهي قطعة من "أدب السجع الملحون" كما سبق القول "رَحْمِيهْ ، وْسَالِي فِيهْ ، عَالْجِيهْ ، وْدَاوِيهْ وْسَاعْفِيهْ" "كَافِيهْ ، لاَ تْحَافِيهْ ، تْعَالِي لِيهْ ، مْعَ الطَّفْلاَتْ لَرْسَامْ" ويقف هنا ، وأحس به يلهث من كثر ما هرول ، ويبطئ الجرس الموسيقي ويطيل جمل السجع شيئا ما .

"تْعَالُوا لِي بَجْمِيعْكُمْ ، نَتْوَصَلْ بِيْهَا زِينْكُمْ حَرْمَةْ مُولَاكُمْ" "مَنْ أَنْشَاكُمْ وْصَوَّرْكُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمْ"

وْلاَحْنِي فْي عَشْقْ هْوَاكُمْ ، وْدَرْنِي يْسِيرْ بْهَاكُمْ الى آخره .

ويقول "بلقاسم" في "مينة" وهي أيضا قطعة من أدب السجع الملحون"

"مِينَةْ فْي رْيَاضِي كُلْ آنْ ، تْتْمَايَلْ مَا بِينْ الاغْصَانْ ، فِي حْرَايَجْ بْلَعْمَانْ"

"بِينْ وَرْدْ وْيَاس وْسُوسَانْ ، وَالاغْصَانْ بْتِيهُوا تِيهَانْ ، بَاهْتِينْ احدَاهَا"

"جَمْعْ الالْوَانْ ، فَاقَتْ بَالْقَدْ الْخَيْزْرَانْ ، وَالْبَانْ امْنِينْ تْبَانْ ، وَسْطْ"

"بْسْتَانِي بِينْ أغْصَانْ ، كَايْتْنَدْقْ لِيهَا .. "الى أخره .

الاشتقاق في الشعر الملحون .. أو التشقيق كما يسمى عندهم . ومثال ذلك قصيدة "مسعودة للتهامي المدغري

قُولُوا لَمَسْعُودَة يَا "طْلُوعْ كْوَاكَبْ الاسْعَادْ"

أنَا مَنْ "سَعْدِي" "سْعَادْتَكْ وَنْتِ مَسْعُودَة" "وَنْتِي" سَعْدْ السْعُودْ" وَنْتِ هِلاَلْ اسْعُودْ"

فهو يشتق من اسم المحبوبة : "كواكب الاسعاد" و"سعده" أي حظه من سعاتها " ثم أنها مسعودة" أي محظوظة ، وبالتالي ، هي "سعد السعود" الذي يبشر بالربيع ، وهي هلال السعود .

وهكذا يمضي في شحد قصيده بمعطيات هذه المشتقات ، وهو لا يعدو التغزل في حبيبته ، والتغني بمحاسنها ، ومفاتنها ، فهو من مواليد ليالي كواكب الاسعاد ، ولهذا مسعودة من "سعده" أي من حظه ، وحيث أنها : "مسعودة" أي محظوظة ، كان من نصيبها هو ... ومن هو ؟ وهنا يمضي في التعريف بنفسه كشاعر مبدع وكانسان خلاق ، وكعبقري ملهم .

يرى أن الشعر والحسن توأمان وأن التغزل بمحاسن الجميل ، تعويذة لتلك المحاسن ، وهكذا الى أن ينتهي القصيد .

كذلك فعل المدغري في قصيدته "مسعودة وكذلك أيضا فعل أحد المتأخرين في "فاطمة" اشتق من اسمها "الفطام" .

وذهب يقول : إذا ما أفطموا الطفل عن لبن ثذي أمه ، عوضوه له بشيء آخر ... وأنا : أنا الذي ليس لي سواك ، ولا أستطيع أن أحب غيرك ، فبماذا يا ترى أعوض هواك ؟

أنَا "فَطْمُونِي" عْلَى هْوَاكْ أبَاشَةْ الارْيَامْ

وَنْتِي مَفْطُومَة عْلَى عْذَابِي يَا فَطِيمـــَا   وِيلَا كُنْتْ اذْنَبْتْ فَايْنْ عفْوِ صِيلَةْ لَكْرَامْ ؟

كان هذا هو فن البديع كما اتفق النقاد العرب على تسميته منذ القدم ، ومن الفنون البلاغية أيضا ، تجسيم مالا يجسم ، أو تجسيد ما لا يجسد ... وسوف نكتفي بأغنية ملحونة واحدة "سرابا" .. كنموذج للدلالة على وجود هذا الفن في الملحون كغيره من سائر فنون البلاغة ... ما ذكرت منها ومالم أذكر .

فَصْلْ الرْبِيعْ أقْبَلْ وَالْوَقْتْ زْيَانْ وَعْلاَمَاتْ الْخِيْرْ لْلْوْرَى بَانُو

جَادْ الزْمَانْ وَ "ضْحَكْ ثْغَرْ السلْوَانْ "

من هنا نبدأ "وضحك ثغر السلوان" أو "السلوان" أو "السلوا " أو "السلوى" ماهي الاحالة شعورية مريحة جسمها الشاعر ، وجعل لها الثغر ... وتركها تضحك تماما كما تعامل البحتري مع "الربيع الطلق" في هذا البيت :

«أتاك الربيع الطلق "يختال ضاحكا" من الحسن حتى كاد أن يتكلم " » فهنا جسم البحتري الربيع الطلق وجعله يختال ويضحك ، هناك جسم رجل الملحون "السلوان" وأكسبه الثغر ، وجعله يضحك ، وكلاهما لا يجسم لا "السلوان" ولا الربيع .

جَادْ الزْمـــَانْ وَضْحَكْ ثْغَرْ السلْـــوَانْ   وَالنْكَدْ تْفَـاجَا وْزَالْتْ احـــزَانُو

وبْطـــايَحْ الزْهَرْ عْلَى كُلْ الالـوَانْ تَسْبِي مَنْ رَاهَا بْشُوفَتْ اعْيــــانُو
وَالارْضْ غِيرْ حُورِياً مَنْ رَضْـــوَانْ لَبْسَتْ مَنْ ثُوبْ الدبْاَجْ حِيجَــــانُو
"صَبْحَتْ" بَارْزَا فَ : كْسَاوِي حَسَانْ دَامْ اللَّهْ جَمْـــالْهَا وَحْسَـــــانُو

وهنا أيضا يجعل من الارض ، العروس الحسناء ، وقد تزينت بأفخر الازياء ، وتزينت بأثمن الحلي .. و .. "صبحت" "بارزا" لفظ "صبحت" لا علاقة له بالظرف الزماني على الاطلاق ... بل هو اصطلاح يطلق على تقليد ... الصبوحي " أو "الصباح" هو الحفل الذي يقام للعروس البكر المصون وقد جعل منها زوجها امرأة .. ربما لا يقام حفل "الصبوحي" أو "الصباح" إلا بعد الظهر ويبقى إسمه "الصبوحي" وبعد أن يأتي الفطور " من دار لعروسة" وبعد أن يقدم الزوج لزوجته هدايا "الصبوحي" ... يبدأ الاستعداد ل " البرزا" أو "أبراز" وهو تقليد آخر من تقاليد "العرس المغربي

وشتان بين "بارزا" في البيت الاخير وبين "تبرجت في هذا البيت لابن الرومي ، والارض هي الارض لا عند شاعرنا ، ولا عند ابن الرومي

"تبـــرجت بعد حيـــاء وخفر تبــــرج الانثــــــى ....

الحفر هو الخفر : "النكُأفَات" "التقْلاَت" "لُوزيرَات" إلاأن العروس عندنا تكون " بارزا " في حياء .. وحتى إذا ما جاءوا بالزوج لينظر إليها وهي في أكمل زينتها ... لا تنظر إليه ، لا تحييه ، بل لا تبتسم له حتى مجرد ابتسامة ...

لكنها عند ابن الرومي " تبرجت بعد حياء" وهذا كله لا يهم ... المهم هو أن شاعرنا جسم الارض وجعلها العروس البكر المصون "صَبْحَتْ بَارْزَا فَ : كْسَاوِي حْسَانْ " وابن الرومي جسم الارض وجعلها غانية من الغواني الحسان وقد تبرجت بعد حياء وخفر ... والشعر يقبل هذه الصورة كما يقبل تلك والمعول ليس إلاّ على صدق التعبير ، وجمال العرض وأن تكون كل صورة في إطارها الحقيقي .

مَهْمَـــــا نْظَرْتْ بَاعْيَانـــي فَ : كْمَالْ زِينْهَا وَمْحَاسَنْهَا بَاحْ كُلْ مَكْنُـــونْ
طَبْعِي مْنَ الصغْرْ فَــــانِي وقْتْ الرْبِيعْ تُوجَدْنِي مَا بِينْ الْحْرَاجْ مَشْطُـونْ
نَنْشِي الْفَاظْ وَمْعَــــانِي وَاهْلَ الْهْوَى يعَرْفُونِي مَاهَرْ مَنْ أصْحَابْ لَفْنُونْ
وَالْيُومْ هَزْنِي سلْطَانْ الْغِيوَانْ "وَنْطَقْ مُولَايْ الرْبِيـــعْ بْلَسـَــانُو"

لاشك قد لاحظ القارئ الكريم عند البحتري قوله عن الربيع : حتى كاد أن يتكلم " لكن الربيع هنا تكلم .. بل أطال في الكلام :

دْوَاوْ قَال لِّي : عوَّلْ يَا إنْسَانْ تَقْطَفْ وَرْدَا رْيَـــــاضْنَا وَسُوسَـــانُو

وأطال في الكلام :

شُوفْ الرّيَاضْ فَاحْ وْزَهْرَتْ الاغْصَانْ ... كُلْ غْصَنْ يَهْجِي بْ : رِيحَتْ افْنَانُو

وَاطْيَارْ نَاطْقَا فَ : دْوَاحْ الْبُسْتَانْ ... وْكُلْ عْشِيقْ افْشَا سْرَارْ كَتْمَانُو

لَلّهْ كِيفْ مَا تَزْهَا يَا حَسَنْ ... يَامَنْ سَاكَنْ فْ : الاسْيَارْ غِيوَانُو

كل ذلك قاله الربيع ، واستمع إليه شاعرنا ووعاه ... ونقله إلينا بالحرف الواحد قاله بلسان حاله ، أو لنقل ... بعطر زهوره ، بزقزقة عصافيره ، برنين نحله بتراقص فراشاته ... ولمن يقول كل ذلك مولاي الربيع ؟ للانسان ... والانسان في نظر مولاي الربيع هو الرقيق الشعور ، المرهف الاحساس :

"اللّي سَاكَنْ فَ : الاسْيَارْ غِيوَانُو" هذا نموذج من الابداعات الملحونة التي استعمل أصحابها هذا الفن من فنون البلاغة وأجادوا استعماله ... تجسيم ما لا يجسم ، أو تجسيد مالا يجسد .

ولعمري أن مثل هذه الابداعات ، جعلت العوام من هواة الملحون ، يجيدون الاستماع الى القراءن ، وهذه وحدها فضيلة وأنعم بها من فضيلة .

استمع بنعيسى اسوَايْنِي في مقهى بلفيلالي بسلا .... الى مقرئ الاذاعة يقرأ قوله تعالى : "والليل إذا يسري" فضحك وقال : "ابْحَالْ الَى اللّيلْ عَنْدُو الاخْتِيَارْ الَى بْغَا يَسْرِي يَسْرِي ، وِيلَا مَا ابْغَاشِي مَايَسْرِيشِ ... الله يرحم البري :

يَسْرِي لِيْ فْ : الاسْفَاقْ ... سْرَى اللّيلْ فَ : الآفَاقْ

تفطن البستاني الامي الى ما في الاية الكريمة من جمال ... بل واستحضر من محفوظاته التي جعلته يتذوق هذا الجمال النموذج المناسب ، وبسرعة فائقة استمع "لكحيلي وأنا معه في "الفرناتشي" الذي يعمل فيه - الى قوله تعالى "حمر مستنفرة فرت من قسورة" فقال : وَاللّهْ الَى اتْخَيْلَتْهُمْ مْطَنْشِينْ قْزَازَبْهُمْ وَمْقَلْشِينْ وْذْنِيهُمْ ، وْكَايْزَعْرْطُوا وَالسبْعْ وْرَاهُمْ " والله إنه مجرد "قطاب ف : الفرناتشي" ولا يقرأ ولا يكتب .

ودخل علينا ابن الفيلالي مرة - ونحن بدار الحسن بن زايرا - يقول : علمني هذا الشطر الازموري : "انْفَاسْ الصبْحْ انْسَامْ مَنْ عْبِيرْ الْجَنَّة" كيف أتذوق وبتلدد قوله تبارك وتعالى "والصبح إذا تنفس"

أما الاستعارات ، والتشبيهات ، والتعبيرات المجازية

أما الرؤى و الاخيلة والصور ، فكل "الربيعيات" "العشاقيات" و "والخمريات" وكل قصائد الاصائل والبكور ، والصبوح والغبوق ، هي نماذج لها .

وقد أثبتت منها في فصل الاغراض الكثير من النصوص الكاملة .

بقي أن أشير فقط : الى الاسم الذي أطلقه الشيوخ الاوائل على هذا الارث الحضاري الثمين : "الملحون" فما معنى كلمة "ملحون" ؟

ربما كان يتعين علي أن أشير هذه الاشارة الى الاسم منذ البداية ... الا أنني فضلت أن أجعل القراء يتعرفون على حقيقة المسمى ، قبل أن أطلعهم على الاقوال التي حاول أصحابها تأويل الاسم الذي يطلق على هذا المسمى والان وقد تم لي بعض ما أريد ، وتعرف القراء على حقيقة الملحون ولو باختصار شديد ، نرجع الى الاسم : "الملحون" .

ذهب بعضهم الى القول : أن كلمة "ملحون" تعني الخطأ اللغوي ... فما دام غير خاضع لاصول النحو وقواعد الصرف ، فهو القول "الملحون" أي القول "المغلوط" أو القول "المخطوء" ... وأنا أرى أن "الخطأ اللغوي" لا يمكن أن يظهر إلا من خلال الصواب اللغوي . نقرأ قصيدة شعرية فصيحة ، أو قطعة أدبية فصيحة ويكون في القراءة بعض الخطأ .. فذلك هو اللحن أما الملحون فلغة الخطاب فيه هي الدارجة المغربية ، وتلك طبيعتها .

نعم أن الدارجة المغربية هي الابنة البكر - أي الاولى - للعربية الفصحى ولقد ورثت عن أمها سائر مقومات التعبير العربي ، وقيمه ، وخصائصه وخصوصياته .

إلا أنها تحررت وبصفة نهائية من كل قيود النحو ، وأصبحت لا يحكمها إلا "المنطق" الذي ينبثق عنها في الاستعمال اليومي السريع ، والذي يمكن أن نعتبره "فقه الدارجة المغربية" ولغة هذه طبيعتها ... لا يستساغ أبدا أن نعتبر آدابها مغلوطة أو مخطوءة .

وذهب البعض الاخر الى القول أن كلمة "ملحون" أصلها من "اللحن الموسيقي" فهو القول الملحون ... أي الملحّن بتشديد الحاء ...

ولا أنكر أنني سبق وأن اقتنعت بهذا الرأي بل وروجت له في مستهل حياتي العملية ... يوم أن كنت لا أزال اخذ المعلومات من أفواه الشيوخ ، وأعمل بها دون أن أجرؤ حتى على مناقشة أصحابها ، لكن الآن ، وأنا أستجوب القصيدة،فتبوح بأسرارها ، واستنطق السراية،فتفصح عن مكنوناتها ، تَعَيَّنَ عليَّ أن أعيد النظر في كل المعلومات التي أخذتها من هنا وهناك،على ضوء المعلومات التي بدأت أجدها في الابداعات نفسها .

فمثلا أول من وجدنا كلمة . "ملحون" في بعض آثاره الشعرية ... هو مولاي عبد الله واحساين ... ويرجع عهده الى العصر السعدي ... نقرأ له "الهدونا" فنجده يقول في بعض ابياتها :

وَالْكُـــــولْ كُلْ "مَلْحـــــُونْ" أُوفَ : النْظــــَامْ مَـــــــــوْزُونْ

ويقول في ختام وصية له

" مَلْحُونْ" فَ : الْمْعَانِي مَوْزُونْ عْلاَ نْظَامْتْ النُّظَّامْ"

وكلمة "ملحون" في البيت الاول كما في البيت الثاني لا تشير أبدا الى الالحان الموسيقية ، وإنما تشير الى ما في هذا القول من فصاحة وبلاغة وبيان .

وهكذا فإن القول الملحون هو القول البليغ ، الواصل المقنع .

ومولاي عبد الله واحساين الذي ثبت أنه كان يفصل بين الناس في قضاياهم اليومية ، وأنه كان يفتيهم في شؤون دينهم ودنياهم ... لا أظنه كان يجهل معنى الحديث النبوي الشريف :

"لعل أحدهم يكون "الحن" بحجته من أخيه فاقضى له ...."

صلى الله على الصادق الامين ، وعلى اله وصحابته أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

مؤسسة شؤون جماعية
للتأليف والتصفيف
والاخراج والتركيب
والافلام والطباعة

العنوان ، انفا 2 شارع غاندي
36 زنقة ابن ماجة الدار البيضاء
ص — ب 829 15 البريد الرئيسي
الدار البيضاء
الهاتف ، 57 32 39 / 56 32 39
الفاكس ، 58 32 39

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الإيداع القانوني رقم 1993/982